

إدوارد هایل بريستاد

الخيانة الكبرى



دور الإمبريالية في أحداث آسيا الصغرى
عام ١٩٢٢ وفي معاهدة لوزان

ترجمة : جورج أرويان



الإهداء

إلى الشعب اليوناني الصديق

ΕΝΤΟΥΑΡΝΤ ΧΑΙΗΛ ΜΠΙΡΣΤΑΝΤ

Η ΜΕΓΑΛΗ ΠΡΟΔΟΣΙΑ

(Ο ρόλος του Ίμπεριαλισμού
στην Μικρασιατική Καταστροφή
και την Συνθήκη της Λωζάννης)

Athens october 1982

Πρόλογος: Τάσος Βουρνάς

عنوان الغلاف باليونانية والصادر
عند مركز الدراسات الأرمنية
أثينا تشرين الأول عام ١٩٨٢



ΚΕΝΤΡΟ ΑΡΜΕΝΙΚΩΝ ΜΕΛΕΤΩΝ

تأليف : إدوارد هاييل بريستاد

الخيانة الكبرى

دور الإمبريالية في أحداث آسيا الصغرى
عام ١٩٢٢ وفي معاهدة لوزان

ترجمة : جورج آرويان

العنوان الأصلي للكتاب بالإنكليزية

THE GREAT BETRAYAL

EDWARD HIEL BRISTAD
NEW YORK 1 MARCH 1924

ترجمها عن اليونانية

جورج آرويان

الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣

جميع الحقوق محفوظة للمترجم

موافقة وزارة الإعلام

تاريخ ٢٠٠٠/١٠/٩ برقم ٤٩٠٧٩

الفهرس

٥.....	تعليق الكاتب
٧.....	مقدمة الطبعة الأمريكية
٩.....	كلمة المترجم
١٢.....	الفصل الأول : الإمبريالية الاقتصادية والشرق الأدنى
٢٨.....	الفصل الثاني : الحقيقة بخصوص إزمير
٦٠.....	الفصل الثالث : الأقليات القومية اليوم
٧٨.....	الفصل الرابع : الاستثمار الأمريكي في مجال الأعمال الإنسانية في الشرق الأدنى
٩١.....	الفصل الخامس : بعض وسائل الدعاية التركية
١٠٦.....	الفصل السادس : اتجاهات السياسة الأمريكية في الشرق الأدنى
١١٤.....	الفصل السابع : دور اليونان
١٤٥.....	الفصل الثامن : العامل الاقتصادي في مشكلة الشرق الأدنى
١٥٨.....	الفصل التاسع : السرد التاريخي لأحداث الشرق الأدنى
١٨٣.....	الفصل العاشر : تحديد المسؤوليات
١٩٥.....	الفصل الحادي عشر : ماذا سنفعل الآن
٢٠٦.....	ملحق :
٢٠٧.....	قبل أحداث إزمير
٢٢٢.....	إزمير
٢٣٦.....	حرق إزمير
٢٤١.....	بعد أحداث إزمير
٢٦٢.....	مقتطف من تقرير عن مشافي النساء الأمريكية

الخارجية التعليمية كما كانت عام ١٩١٤.....	٢٨٥
المعلومات التي تم تجميعها لاستخدامها الرسمي من قبل الدكتور جيمس.ل. بارتون رئيس المجلس الأمريكي للجان البعثات التبشيرية الخارجية.....	٢٨٩
نص قرض الدول العظمى الثلاث عام ١٩١٨	٢٩٣
البعثة اليونانية الملكية	٢٩٦
احتجاج نساء آسيا الصغرى اليونانيات	٢٩٩
تقرير لجنة يونانيا بخصوص الاغتيالات التي تمت ٢٧ آب عام ١٩٢٣ ٣٠٢	
تقرير برايس الشهير.....	٣١٣
تقرير لجنة كينغ - كراين بخصوص الطريقة المناسبة لتقسيم الإمبراطورية التركية	٣٢١
الوحشية التركية في آسيا الصغرى	٣٣٩
اتفاقية تبادل الشعوب بين اليونان وتركيا	٣٤٦
المعاهدة التركية - الأمريكية	٣٥٢
المصالح الأمريكية في تركيا	٣٥٩

تعليق الكاتب

بصفتي سكرتيراً تنفيذياً للجنة المساعدة العاجلة للاجئين الشرق الأدنى تم إرسالني إلى واشنطن في كانون الثاني من عام ١٩٢٣ كي أقوم بدفع عملية التصويت على قانون ، يمكن بموجبه قبول كل اللاجئين القادمين من الشرق الأدنى في أمريكا الذين لهم أقرباء في هذه البلاد .

إنَّ الجهل والإجحاف وسوء الفهم الذي لقيته في ذلك الوقت لمحمل الوضع في الشرق الأدنى في واشنطن بين التنظيمات المعنية بشكل خاص للأوضاع في الشرق الأدنى وبين عامة الناس ، جعل الحاجة واضحة لكتاب يلقي الضوء الساطع على كل المسألة .

هذا ما حاولت عمله في ((الخيانة الكبرى)) ، باهتمامي بالعوامل المتورطة في المسألة ، وبتركيزي على كل الشهادات الموثوقة التي كانت بحوزتي محاولاً أن ألقى نظرة سريعة على الإطار التاريخي الذي ينبغي تفسير التطورات الحالية فيه .

وقد قامت وزارة الخارجية الأمريكية أثناء مواصلة نشر ((الخيانة الكبرى)) بالكتابة إلى الناشر مشيرة إلى حصول أخطاء كبيرة في العمل . وهكذا قام الكاتب والناشر بالسفر إلى واشنطن للاجتماع بوزير الخارجية السيد هيووز ، ومعاون وزير الخارجية السيد فيليبس ومدير قسم الشرق الأدنى السيد داليس .

وبعد نقاش يوم ، لم تكن وزارة الخارجية في موقع القادر على أن تبرهن على أي خطأ بخصوص هذه الأحداث

ببساطة لا يوافق مسؤولوه على الاستنتاجات التي توصلت إليها .

أشير إلى ذلك لأنه مؤشر للصعوبات التي ترافق محاولة الكشف عن الحقيقة بخصوص الشرق الأدنى .

لقد تم إجراء تعديلات عميقة على ((الخيانة الكبرى)) قبل إصدارها في كتاب .

هذا ويتضمن هذا الكتاب مواد تم أخذها من دوريات تم نشرها وقد أضيف إليها مواد بطريقة تجعلها كاملة إلى الدرجة التي تسمح بها الحدود الطبيعية لهذا الكتاب .

لقد استقيت بصورة خاصة في ((الخيانة الكبرى)) من مصادر أمريكية لا يمكن اتهامها بسوء الظن، حيث قمت باستخلاص نتائج وشرعت في الحصول على قرائن، تتوافق مع وجهة النظر اليونانية والأرمنية عملت ذلك معتمداً بصورة خاصة على حكمي على الأمور وليس لأنني رغبت في أن أكشف عن أي قدر من التحيز إزاء اليونان أو أرمينيا .

فالمشكلة التي تبدو عليها الأوضاع في الشرق الأدنى هي أنها ذات صفة عالمية أكثر منها وطنية .

وسوف يتأثر العالم نحو الأفضل أو الأسوأ من حل هذه المشكلة أو الاستمرار فيها وهكذا إذا كان قراره هو لصالح الأقليات القومية وضد تركيا ، فإن حصل هذا لأن الأحداث لا تقبل تفسيراً آخر .

أود هنا أن أعبر عن خالص شكري للأشخاص والمنظمات ، التي ساعدتني في جمع المادة التي استخدمتها وقمت بالإشراف عليها .

أخيراً ، أود أن أوجه تقديرى الكبير للمساعدة القيمة ، التي قدمتها لي السيدة هيلين دافيدسون كريتون في هذا العمل ، ليس فقط بسبب إرشاداتها سواء كناشرة خبيرة ، والتي لا تقدر بثمن أو في نشرها المتواصل للكتاب على حد سواء ، ولكن أيضاً لتفانيها في هذا العمل وشجاعتها أن تلح على الاستمرار في خدمة هذا العمل على الرغم من مرضها ووهن عزيمتها .

إدوارد هايل بريستاد نيويورك ١/ آذار عام ١٩٢٤

مقدمة الطبعة الأمريكية

ربما ستمر سنوات عديدة قبل أن يتمكن باحثو قضايا الشرق الأدنى من إعادة جمع مصادر الوثائق التي يُعتمد عليها ، الأمر الذي سيكون بمثابة التاريخ الحاسم للأحداث الجسام ، والتي غيرت على نحو مفرج ، الظروف السياسية والوطنية في جنوب شرق أوروبا والشرق الأدنى ، في فترة ما بعد اندلاع الحرب العالمية .

هذه الوثائق ، التي ستظهر الحقائق أخيراً وستلقي المسؤوليات بخصوص القرارات ، التي أدت إلى اقتلاع حضارتين قديمتين ، كانتا قد أعطتا آسيا الصغرى منذ فجر التاريخ تقريباً كامل حضارتها ، سوف توجد بلا شك لا سيما في أرشيف حكومات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية هذا ، لأن الشعوب الشرق بإرادتها أو بتبعيتها ، كان لها دور صغير في القرارات المصرية ، التي أدت إلى هذه النتائج المدمرة ، وهذه النتائج التي أسفرت عنها هي أمر مؤكد لكل هؤلاء .

في غضون ذلك كان الاهتمام الذي أبداه جميع المراقبين الحاذقين للمصير المخيف ، الذي حل بالشعبين الأرمني واليوناني ، واللذان كانا يعيشان على نحو مسبق في أرجاء الإمبراطورية التركية ، هو بهذا القدر ، إلى حدّ تبدو في أي محاولة كمحاولة بريستاد ، للتأكد من الحقيقة في فترة زمنية قصيرة كما العمل الراهن ، هي أمر مقبول أو مسر .

فالأحداث الخارجية — ماذا جرى ومتى — هي معروفة لنا بدرجة كبيرة . ففي حالات عديدة كان الفاعلون الذين كانوا يخضعون خلف أحداث مختلفة وحتى خلف دوافعهم — يمكن أن تصبح معروفة من خلال الوثائق التي تم نشرها علانية ونستطيع في وقت ما استخلاصها بتحليل منطقي .

علاوة على أن النقاط التي توجد حولها قضايا وتخمينات وشهادات متضاربة هي عديدة في الوقت الراهن .

إن ما نستطيع طلبه فقط من الباحث عن هذه الأحداث المعاصرة ، والتي يوجد حولها بقدر ما سوء ظن وتضارب مصالح مختلفة والعديد من الدوافع التريهة والغير شريفة لإخفاء أو تحريف الأحداث، هو أن يحاول عن إدراك فحص الأدلة والبراهين العديدة وأن يقدر بتراهة صفة المادة ، التي يعتمد عليها في استنتاجاته .

إن محاولة السيد بريستاد ستقوم بدفع قضية الحقيقة إلى الأمام بعرض الأحداث والدوافع التي بقيت حتى الآن طي الكتمان على الرأي العام . إنه لأمر مؤلم أن لا تكون المادة الغنية لوزارة الخارجية في واشنطن ، والتي كانت ستسمح بتوضيح مسائل في حالات عديدة تبقى كوها الآن في متناول العامة موضع شك .

إدوارد كابس

السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية في أثينا

برينستون . نيوجرسي ١٥ / آذار عام ١٩٢٤

كلمة المترجم

يجيء هذا الكتاب للمساهمة في الكشف عن أحداث الدمار الذي حل بآسيا الصغرى عام ١٩٢٢ هذا الحدث ذو الأهمية التاريخية عالمياً لكل منطقة الشرق الأوسط ، حيث أثر الدمار الذي حل بآسيا الصغرى وبشقي الوسائل على مصير الشعبين اليوناني والأرمني .

ففي الجانب الحضاري ، أسفر دمار آسيا الصغرى عن تشتيت أو صال هذين الشعبين بفقدان الحضارة اليونانية والأرمنية الزاهية في آسيا الصغرى ، هذه الحضارات القائمة بذاتها ذات الخصوصية ، والضاربة جذورها في أعماق التاريخ والتي ساهمت على نطاق واسع في رسم الملامح المكونة لشخصية هذين الشعبين ، اللذين يسيران نحو الاستقلالية والتفرد .

فالعالمية - بسبب الانتشار في مساحة شاسعة والاحتكاك مع تأثيرات متعددة الجوانب - لهذين الشعبين ، تتجه ليحل محلها الانزواء في الإطار القومي الضيق ، هنا يجب أن نحدد بدقة التأثير السياسي الأساسي للدمار الذي حل بآسيا الصغرى :

في تغيير مركز الثقل الحاسم للأمتين اليونانية والأرمنية نحو الأجزاء الوطنية ، والتي شكّلت أخيراً الدول المستقلة لليونان وأرمينيا السوفيتية ، حتى إذا كانت التغيرات التي تمت في سنوات ١٩١٤ - ١٩٢٤ قد قلّلت من دور الأمة اليونانية والأرمنية في الإطار العام لمنطقة الشرق الأوسط ، لكنّها أدت ، ولأول مرة بعد قرون عديدة ، إلى إنشاء دول قومية من سكان متجانسين قومياً ومتحررة بصورة رئيسية من وجود أقليات قومية أو دينية ، والمشاكل ذات العلاقة بذلك .

من جهة أخرى كان لتدفق اللاجئين للدول القومية المذكورة أعلاه ، دورٌ بالتأكيد في تقويتها حضارياً ، واقتصادياً وسياسياً ، فبعد تسعة وسبعون

عاماً على الدمار الكبير الذي حلّ بآسيا الصغرى تبدو الأمتان اليونانية والأرمنية وقد اتخذتا شكلهما النهائي على نحو حسن كوحداث قائمة بذاتها أيضاً كانت نتائج دمار آسيا الصغرى مماثلة للطرف الثالث للمأساة ، ونعني بها تركيا والذي احتفظ لها التاريخ دور من يقدم الأضاحي والقرايين : ففي حالة تركيا كان زوال الحضارة ، الذي تسبب بها زوال العنصر اليوناني والأرمني من المجتمع التركي أكثر حدةً ، ليس فقط لأن مساهمة هؤلاء في المهن والعلوم والآداب كان كبيراً ولكن لأنه غاب عن سكانها في الوقت الذي كانت تركيا تولي أنظارها صوب الغرب ذلك العنصر الذي كان دائماً يُدخل إلى منطقة الشرق الأدنى والأوسط الأفكار الغربية ونمط الحياة الغربية .

كما كانت النتائج السياسية المترتبة على ذلك أكثر عمقاً بالنسبة لتركيا جراء الدمار الذي حلّ بآسيا الصغرى فلم يكن لإبادة وطرد الأرمن واليونانيين نتيجة وحيدة - باستثناء الأقلية الكردية الوافرة العدد - هي التجانس القومي لمنطقة آسيا الصغرى فقط ولكن أيضاً ظهور أمة جديدة في هذه المنطقة ونعني بها الأمة التركية التي أزاحت عن كاهلها عبء إمبراطورية متعددة القوميات والتعقيدات المرافقة لذلك . لقد تحول العثماني بعد عملية بحث عن الهوية استغرقت قرابة النصف قرن إلى تركي . فقد أدى اجتماع طبقة الحكومة والجيش مع فلاحي الأناضول إلى ولادة الأمة التركية .

والحقيقة هي أن هذا الاجتماع قد تحقق على شاهدة ضريح الأقليات القومية في آسيا الصغرى وإنه لعملية (ختان) ، المولود الجديد ثم استخدام سكنين مصبوغة بدماء ملايين المخلوقات البشرية .

ربما أن كل هذا يشكل ذريعة - لزراع أحاسيس تحرير مناطق مستعبدة .

إن آيا صوفيا وآارات هما أشياء متأصلة بعمق في العقل اللاوعي الجماعي للشعبين الأرمني واليوناني... على كل حال فإننا نعتقد اليوم أن مدة تسعة وسبعين عاماً التي تفصلنا عن أحداث عام ١٩٢٢ المروعة تجعل المناخ مناسباً لتقدير أكثر اعتدالاً - وأكثر صحة لهذه الأحداث. إن مساهمة بهذا الاتجاه هو إصدار ((الخيانة الكبرى)) باللغة العربية .

إن لكتاب الخيانة الكبرى المكتوب عام ١٩٢٤ - ولقربه الكبير من الأحداث - مكانة الشهادة النموذجية .

وإن الأمر الذي يعطيها قيمة أكبر هو أنها تتعلق بشهادات اختيارية ومعيرة بحرية عن وجهة نظر مراقب محايد، وهي بالتالي غير منحازة ، غير أن بريستاد لم يقيم بعمل تحليل عميق لدور المصالح التي كانت مسؤولة عن الخيانة الكبرى ولا ندري إذا لم تكن لديه المؤهلات أو النية في عمل شيء كهذا على كل حال الأمر الحقيقي هو أن اقترابه ربما هو إنساني أكثر منه سياسي وأن تحليله للأمور هو سطحي لكن ربما يزيد هذا من قيمة شهادته ، لأن الإنسان في النهاية هو فوق كل اعتبار وإن النتائج المترتبة على المخلوقات البشرية هي حجر الزاوية ، وهي محك لمصادقية كل - اليا فطات والشعارات الطنانه - حول الديمقراطية وحقوق الإنسان وكل ما له علاقة مباشرة بها .

جورج آرويان

الفصل الأول

الإمبريالية الاقتصادية والشرق الأدنى

إذا كان من المتوقع أن يصبح الشرق الأدنى يوماً شيئاً أكثر أو أقل من مسلخ، أو مكان لقتل البشر باستمرار فإن الواجب يحتم علينا أن نواجه بشكل منطقي الآن بعض الأمور ، التي يمكننا إدراكها فقط إذا تم كشف الستار عن الدعاية المضللة ، التي تعطيها الإمبريالية ، و أن يصبح لزاماً علينا إبراز الحقائق على نحو واضح ومكشوف وبدون مواربة ، فالحقيقة هي أننا موجودون في مواجهة بعض الأحداث ، بعضها قديم وبعضها حديث ، تم التصدي لها حتى الآن في غالبيتها كأحداث فردية بدلاً من اعتبارها حلقة في سلسلة ، فلا يستطيع أحد أن يأخذ حدثاً في رواية ، وأن يحكم من خلالها على كل العمل إن موضوع الرواية يتشكل من ربط وتشابك للأحداث .

وهذه هي حال المأساة الكبرى التي هي ((مشكلة الشرق الأدنى)) ، لأن الشرق الأدنى أصبح غنياً بأحداث ومفاجآت مأساوية ، حتى أن الكثيرين منا يتصدّون لكل واقعة على حدة ، فيما يتعلق الأمر في الحقيقة بذروة مأساة ذات أبعاد كبيرة ، تمتد عبر فترة زمنية طويلة وتخص عدداً كبيراً من البشر ومساحة جغرافية شاسعة يقطنها هؤلاء البشر إلى درجة فقدت فيه عقولنا تدريجياً كل إمكانية لتبصّر المستقبل بالمقارنة التدريجية .

وهذا ما حدث على سبيل المثال مع تدمير مدينة إزمير .

حيث تميل إلى تشبيه هذه الفظائع المخيفة كشيء مماثل لزلزال وحريق يوكوهاما، إذا لم يكن لسبب ، فبسبب أنها كانت مخيفة ومدمرة إلى الحد الذي لا تبدو أنها يمكن أن تكون بشكل خاص فقط مسؤولية العامل البشري.

لكن في الحقيقة ، مهما ابتعدنا ، ومهما كان دمار إزمير دون مثيل له في التاريخ ، فإنه فقط فصل في تاريخ ، بدأ قبل ستة قرون والتي لا زالت ، نهايتها كحلقة في سلسلة تواصل تشكّلها لهذا السبب فقط ، سيستحق الأمر أن نتوقف هنا لبرهة ، وأن نحاول تحديد العلاقة لحدث مع الآخر ، وأن نحلل الدوافع ، وأن نبحث في الأسباب ، أن نتساءل على سبيل المثال .

عن ماهية العلاقة بين قرض الدول العظمى الثلاث عام ١٩١٨ ودمار مدينة إزمير ، ؟ وماذا كان تأثير السياسة البحرية للولايات المتحدة الأمريكية على تركيا ، واليونان والأقليات المضطهدة ؟ وما هي العلاقة بين الامتيازات الممنوحة لتسيستر ووطن قومي للأرمن ، كل هذا هو غيضٌ من فيض وفق السبب الأول لماذا توجد أصلاً ((مسألة الشرق الأدنى)) ؟ وعلى اعتبار أنها موجودة لماذا لم يتم حلها في عالم يتباهى باستمرار بحضارته . ؟

الجواب على هذا السؤال المزدوج موجود فقط في كلمة واحدة هي : الإمبريالية . لقد أعطت الولايات المتحدة الأمريكية وعوداً محددة للشعبين الأرمني واليوناني على حد سواء .

لم يتم الالتزام بها ، مما نجم عن ذلك في الحقيقة زوال الأقليات المضطهدة . لماذا ؟ بالطبع بسبب الإمبريالية .

سيكون من غير الإنصاف أن نعلل بشيء أقل من ذلك كل هذا الكم الهائل من الخيانة .

إذا كان هذا الموضوع حقيقياً - وعلى كل حال فإن المؤشرات تقنعنا بأنها حقيقة - يبدو لي صحيحاً أن نحدد بدقة ما هي الإمبريالية ؟

وكيف يمكن أن يكون لها نتائج بعيدة المدى إلى هذا الحد ؟ ربما أن الأمور ستكون أكثر وضوحاً إذا اقتربنا من موضوعنا بحذر من زاوية ما .

فللولايات المتحدة الأمريكية مجالين مختلفين بالكامل للمصالح بالشرق الأدنى أحدهما هو ما يخص قطاع عريض من العامة الأمريكيان ومن بينهم رعايا كنيستنا ، البالغ تعدادهم ٣٠ مليون شخص (هذا الرقم يخص فقط رعايا الكنيسة البروتستانتية) .

وهذا هو العمل التعليمي والتبشيري الذي يمارس منذ قرابة الـ ١٠٠ عام وبلغت كلفته قرابة الـ ٥٠ مليون دولار .

ويشمل هذا نفقات إنشاء وصيانة المدارس والمعاهد والكنائس والمشافي والملاجئ ، التي قام العامة بتمويلها بالكامل موضوع آخر يجب أن نشير إليه ، هو مبلغ الـ ٦٨ مليون دولار ، الذي قام العامة أنفسهم بإعطائها للتخفيف من معاناة الشعب ذاته الذي تم تخصيص الـ ٥٠ مليون دولار الأولى له . وهكذا يتضح لنا أن العامة الأمريكيان قاموا بصرف مبلغ إجمالي قدره ١٣٦ مليون دولار في أعمال إنسانية في آسيا الصغرى واضعاً أسس حضارة غربية ومخففاً في الوقت ذاته من الاضطهاد الذي يعانيه كل من انتمى إلى هذه الحضارة هذه هي إحدى المصالح الخاصة للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأدنى ويستطيع المرء القول بأنها الأهم ، ولكن توجد مصلحة أخرى

فالمصلحة الثانية لها صلة صغيرة مباشرة مع العامة الأمريكيان وهي هامة فقط لمجموعة صغيرة من الأفراد الرأسماليين وأصحاب الأسهم .

وهذه هي المصلحة التجارية المصرفية ، التي تمثلها شركة ((استاندارد أويل)) ((وأمریکان توباكو)) والامتيازات الممنوحة لتسيستر .

وعلى الرغم أن هذه المنشآت تمثل مجموعة صغيرة جداً من الأشخاص ، فإن قيمتها الراهنة والمتوقعة على هيئة أموال الاستثمارات يمكن أن تكون أكبر ومن المؤكد أن نوع المردود سيكون مختلفاً بالكامل .

إنه لمن الواضح ووفقاً لما تسير عليه الأمور فإن لهذين النوعين من المصالح أهدافاً موضوعية مختلفة بالكامل فالأول يقدم دون التفكير سوى في الربح ، في عالم أفضل وأكثر صحة وسعادة ، فيما يريد الثاني ببساطة جني الأموال، التي لا يشترط أن تنجم عن زيادة إنتاج ما هو ضروري للحياة ، والتي لا تقارن بهدف المجموعة من وجهة النظر العملية، لأن الأول يقود بعيداً عن الحرب ، فيما يقود الثاني نحوها وبتفحصنا لموقف الحكومة الأمريكية إزاء هاتين المجموعتين من المصالح وبمقارنة ذلك مع موقف الحكومات الأخرى سنبدأ بفهم أهمية الإمبريالية ، هذا العلقم المر الذي يهيئه أريس * لدمار البشرية لقد حافظ مندوبنا في لوزان على موقف ذي دلالات واضحة فقد تم رفض الدعوة التي تم طرحها من أجل الأرمن أخيراً بدلاً من أن يتم فرضها على الأتراك على الرغم من اعتراضهم ((فعلى الرغم من أن البعثة الأمريكية ، لم تتفاوض بشأن معاهدة سلام ، ولم تقم حتى بوضع خطط محددة لإصلاحات ليس بوسع الحكومة الأمريكية التوقيع عليها، فإنها أعلنت في المؤتمر موافقتها التامة على طلب اللورد كورزون وساسة الدول الحليفة لأية خطة معدة من أجل إنشاء وطن قومي للأرمن .

لقد طلبت البعثة الأمريكية وتم إمدادها بالمعلومات ووجهات نظر الذين يمثلون في الولايات المتحدة الأمريكية حركة من أجل وطن قومي للأرمن والذين يمكن اعتبارهم كمندوبين خبراء .

وقد طرحنا وجهات نظرنا في اجتماع اليوم وعدا عن ذلك فقد أعطينا من قبل المعنيين الأرمن والأمريكان تأكيدات بأنه سيتم طرح موضوع إنشاء وطن قومي للأرمن أمام المؤتمر للنظر فيها . إننا سنستمر في الإلحاح على أن تقوم تركيا بفحص كل خطة معدة للتنفيذ ربما يتم طرحها)) .

* أريس : هو إله الحرب لدى الإغريق

وعلى الرغم أن الأرمن كانوا ولمدة طويلة موضع اهتمام خاص من قبل الشعب الأمريكي ، الذي كان قد ساهم في تقديم ملايين الدولارات لرعايتهم ومساندتهم كما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن قد بدت كمؤيدة لحق تقرير المصير للشعوب الصغيرة فحسب، ولكنها علاوة على ذلك كانت قد أعطت أثناء المفاوضات وعوداً محددة بدعم أرمينيا .

هذا وقد صرح لي أحد الأشخاص الذين يمثلون المصالح الأمريكية الخيرية في اجتماع لوزان بأن وزير الخارجية الأمريكية تشايلد والذي هو رئيس البعثة الأمريكية ؟ كان قد صرح له بوضوح عن رغبته بتقديم مساعدة الحكومة الأمريكية لأية خطة بناءة كانت ستوضع لتحسين الوضع في منطقة الشرق الأدنى . لكن، وفي صبيحة اليوم التالي ، عندما تم إعطاء الدعوة المذكورة على نحو رسمي فإن السيد تشايلد لم يقم بتقديم مساعدة الحكومة الأمريكية بل مساعدة الشعب الأمريكي إن هذا الأمر يمكن أن يبدو مثل تفصيلات فنية بسيطة ، ولكن ضمن الظروف السائدة فإن أهميتها كانت كبيرة فقد كان الشعب الأمريكي عاجزاً عن فعل أي شيء إلا ما كان يتم عبر حكومته وعدا عن ذلك فقد كانت اليونان في الفترة ذاتها تواجه مشكلة الاهتمام بأكثر من مليون لاجئ ، فيما كان الصليب الأحمر الأمريكي قد غادر اليونان . وفيما كانت القيمة الحقيقية للعملة اليونانية (الدراخمة) قد هبطت من ٢٠ سنت إلى ٢-٣ سنت ، كما كانت الولايات المتحدة قد قامت بزيادة حجم صعوبات اليونان بإعلامها عن عدم استعدادها لدفع باقي حصتها من قرض الدول الثلاث ، والتي كانوا يدينون بموجبها لليونان بثلاثة وثلاثين مليون دولار أخرى .

فضلاً عن ذلك فإن دفع هذا الالتزام ، عدا أنه كان يوضح أمراً يتعلق بالعدالة ، فإنه كان سينقذ آلاف الأرواح .

في هذا السياق فإن حادثاً صغيراً ولكن أكثر مأساوية الآن من بين الحوادث العديدة ، التي جرت أثناء حرق مدينة إزمير ونهبها لم يكن فقط حرق ونهب مبنى اتحاد الشبان المسيحيين الأمريكيان ومؤسسات خيرية أخرى ، ولكن أيضاً القنصلية الأمريكية التي تم نهبها وحرقها من قبل القوات التركية كان مبنى اتحاد الشبان المسيحيين الأمريكيان قد أنشئ بأموال العامة الأمريكيان وكانت ملكية القنصلية الأمريكية تعود للحكومة الأمريكية وعلى الرغم من ذلك لم تتم الإشارة إلى ذلك ، ولم تحدث أي بادرة احتجاج من قبل الحكومة الأمريكية ، التي بدا أنها تقبلت بصمت أعمال العنف هذه بالطبع فإن هذا الحادث صغير ولكنه ليس بدون أهمية .

أيضاً ، وحتى لو لم تقم حكومتنا بحماية اليونانيين والأرمن في لوزان وحتى إذا بدا أنها مهتمة على نحو بسيط بمكانة بعثاتنا التبشيرية ومؤسساتنا التعليمية في الشرق الأدنى ، فإن ((مراقبنا)) الرسمي قام بتأييد المندوبين الأتراك واصطدم مع البريطانيين في موضوع الامتيازات الاقتصادية .

كان واضحاً بالضبط الأهمية الأساسية التي كانت لهذه الامتيازات إلى الحد الذي وجب على كل الأمور الأخرى أن تتراجع أمامها لكي تحمي وتدفع بقوة المصالح الاقتصادية الخاصة، وكان واضحاً أن الحكومة كانت مستعدة لعمل أي شيء لكي تهدئ من غضب الأتراك - وأن تنسى التزاماتنا الوطنية والأخلاقية والقانونية ، وأن تتجاهل الرغبات المعبرة عن غالبية مواطني بلدنا وأن تصطدم حتى مع حليفنا الرئيسي - يكفي أن يتم إنقاذ الامتيازات الممنوحة . كل هذه الأمور هي الإمبريالية علاوة على ذلك إن الإمبريالية هي شيء أكثر من كل هذه الأمور .

فالإمبريالية هي سياسة وطنية للتغلغل الاقتصادي هي روح الاحتلال التي يتم التعبير عنها بشروط تجارية ، هي سياسة التوسع الوطنية ، التي كانت لعنة

أوروبا ولقرون عديدة والتي، بانتشارها في الجو كفيروسات الطاعون يبدو أنها أصابت بالعدوى الآن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بفيروسها المميت إن شركة تجارية هي بداية الإمبراطورية فقد تغلغت بريطانيا في الهند عبر شركة الشرق الهندية وفي كندا عبر شركة هيدسون في الحالة الأولى أخضعت شعباً ، وفي الثانية منطقة قاحلة.

أن تمتد إلى بلد جديد هو أمر ، وأن تتدخل في شؤون دولة قديمة هو أمر آخر بالكامل ففي الصحارى التاجر هو رائد الحضارة ، وفي المناطق المتحضرة هو الذي يعقد اتفاقيات الامتيازات الاقتصادية إنه المبشر بالإمبراطورية في الصحارى يحتاج التاجر إلى حماية من المتوحشين والوحوش كما أن من يعقد اتفاقيات الامتيازات يحتاج إلى حماية إزاء الحضارة ذاتها في وقت ما ليس قبل وقت بعيد ، كانت الإمبراطورية تعني احتلال مناطق قاحلة ونشر ودفع الحضارة إلى الأمام أيضاً فإن اسبانيا وإنكلترا وفرنسا كانت موجودة ذلك الحين باستمرار في حالة حرب لحماية ممتلكاتها واكتساب ممتلكات جديدة وتنمية اقتصادها ودفعها خطوات نحو الأمام ولكن لا يوجد اليوم منطقة ، لم يتم احتلالها أو تستحق أن تحتل وهكذا فإن الإمبريالية لم تعد بعد الآن البديل القسري للوحشية من الحضارة ، ولكن البديل القسري للمصالح الاقتصادية لدولة من هذه الدول للدولة الأخرى فالروح العسكرية العدوانية تتبع الإمبريالية كما يتبع الليل النهار لكن لا يتم ترك العامة حتى ينقادوا إلى هذه الاستنتاجات لا توجد عامة كانت ستشارك في حرب وتعتقد معاهدة سلام بهذه الشروط مثال واضح على هذا هو الحرب الأخيرة فقد ذهب الرجال وتركهم النسوة ليذهبن ، لاعتقادهم أنهم لم يكونوا يحاربون فقط ليدافعوا عن بلدهم ، ولكن لأنهم اشتركوا في نوع من الحروب الصليبية ، في ((حرب ضد الحرب)) ، والتي كان مرتقباً أن تجعل

العالم ((واحة أمن للديمقراطية)) غير أنه لم يتم التوقيع على السلم وفق هذه الشروط فقد ربح الحلفاء الحرب في ساحات المعارك غير أن ثمار النصر انتزعت منهم في فرساي لقد بدأت ألمانيا حرباً إمبريالية، أتهاها الحلفاء بمعاهدة سلام إمبريالية وتم الإجهاز على كل المثل ، التي عانى من أجلها الناس على مدى أربع سنوات بلعبة الدبلوماسية السرية القديمة والإمبريالية الاقتصادية ويقف العالم اليوم ، بعد خمس سنوات شاهداً خائفاً على الحقائق المذكورة أدناه :

ففرنسا تتأرجح على حافة الإفلاس ، وروسيا وألمانيا تحتضران ، وتدفع بريطانيا ضريبة باهظة ويتم الضغط عليها بعنف ، وتبدو إيطاليا استفزازية ولكن بشكل غير مؤكد ، وقد تمت إبادة أو تهجير الأرمن ويونانيي آسيا الصغرى ، وتباهى تركيا بانتصارها (حتى تخال نفسها واحدة من الدول العظمى) ووقفت الولايات المتحدة الأمريكية مرتبكة بين الجميع ولو أن الساسة الذين كانوا يتفاوضون من أجل السلم واجهوا الحرب بالطريقة ، التي واجهها الرجال لكان العالم ((واحة أمن للديمقراطية)) اليوم كان الصوت الوحيد الذي ارتفع على طاولة المفاوضات محتجاً إزاء هذه الخيانة الكبرى للبشرية هو صوت الرئيس ويلسون ، لقد ضاع صوت الرئيس ويلسون بين ضجيج الذين كانوا يناقشون أمور الربح لأنفسهم إن فراغ اليوم هو النتيجة التي لايمكن تجنبها لهذا الحدث من النادر أن يجد العالم نفسه بعيداً بهذا القدر من الديمقراطية وبهذا القرب من الحرب كما هو هذه اللحظة.

في لوزان كانت المصالح الاقتصادية الخاصة بالدول العظمى ، هذه المصالح التي كانت تأمل بالنجاح في تحقيق بعض الاستثمارات في آسيا الصغرى هي التي أملت على الحكومات إعطاء التعليمات المناسبة لمندوبيها في

الاجتماع حتى تتم هكذا حماية هذه المصالح بشكل تام وكانت هذه الرغبة الحادة للحماية مسؤولة عن الإيقاف المتعمد لأعمال المؤتمر لعدد لا يحصى من المرات ، الأمر الذي أخر اجتماعات المؤتمر لأسابيع ، مما جعل من غير الممكن تحقيق اتفاقيات محولاً الأصدقاء في البدء إلى متنافسين وبعد ذلك إلى خصوم .

وفيما كان هذا يحدث طلب ممثلو الكنائس الأمريكية والذين يمثلون غالبية العامة من الحكومة بإلحاح أن تنفذ التزاماتها إزاء الحضارة ، بحماية حقوق الأقليات المضطهدة والحفاظ على ما كانوا قد نفذوه بأموال العامة الأمريكان لكن تم إعطاء أهمية ضئيلة جداً لهذا النداء إن حماية المصالح الاقتصادية و السياسية الخارجية لدولة عظمى ، على نحو مترادف ، تقودان تقريباً دائماً نحو الإمبريالية .

ويمكن تسمية العلاقة بين هذه المصالح زنى بالحرام لأن السياسة تولد من رحم المصالح الاقتصادية اللتان تتزوجان فيما بعد إن السياسة الخارجية لكل دولة من الدول العظمى هي إمبريالية منذ قرون ، أو في كل الأحوال من اللحظة التي وجدت فيها مصالح اقتصادية محمية ، قادت إلى ولادة سياسة كهذه لقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية كتقليد استثنائي ، لأن ساستها في الفترة السابقة كانوا قد توقعوا الخطر وقاموا باتخاذ إجراءات لدرء هذا الخطر ، لكن وبسبب حداثة عهدهم وضخامة ثرواتهم الطبيعية فقد تم خرق هذا التقليد ، هذا إذا لم يتم التخلي عنه أصلاً .

بطريقة ما وفي بعض الحالات المحددة يمكن لسياسة إمبريالية أن تُعتبر مفيدة للأمم لكن مواجهة كهذه هي قصيرة النظر فعلى سبيل المثال إن تنمية المصالح البترولية الأمريكية في آسيا الصغرى يمكن أن ينجم عنها زيادة في إنتاج البترين ، ويمكن أن يعتبر ذلك ذي فائدة وطنية ولكن أما كان من

الأفضل أن ندفع ثمننا أغلى للبترين وآلاً نتخبط في أوضاع ، تشكل خطراً
يمكن أن يقودنا إلى الحرب ولكل الأمور السيئة الأخرى ، التي تلي دائماً
السياسة الإمبريالية ؟.

إن صعوبة حل مشاكل الشرق الأدنى تعود إلى تنوع المصالح الكبيرة لكل ما
يتعلق بهذه الأمور ، فالتيارات المتناقضة تبدو بلا نهاية ، كما أن تشابك
المصالح وتصادمها مع الدوافع لا تدع مجالاً للحل وكما يقال بهذا العدد من
الديوك التي تصبح ، يصبح طبيعياً أن يتأخر طلوع الفجر * لو أن دولتين من
الدول العظمى كانتا قد اتفقتا في السنوات الخمسين الأخيرة على خطة
مشتركة للتصدي لمشكلة الشرق الأدنى ، لكان حل هذه المشكلة قد تم
أصلاً لكن هذه الدول كانت إمبريالية وكانت تسعى فقط إلى زيادة
سيطرتها ، فيما كانت الفظائع تتوالى أثناء ذلك الواحدة تلو الأخرى .

إلى ذلك فإن مختلف شعوب الدول ، التي تدخلت في مسألة الشرق الأدنى
وخاصة شعب الولايات المتحدة الأمريكية - تريد التخفيف من آلام
الأقليات المضطهدة والأكثر من ذلك يريدون ضمان أساس مستمر للأمن
والمساواة يريدون ذلك ليس لأنه مطلب محق ، ولكن لأنه سيكون خطوة
كبيرة باتجاه إحلال السلم العالمي هذا الأمر الذي سيخلق الجرح المفتوح
الذي يترافق قبحاً باستمرار لقد تم إعطاء ملايين الدورات لهذا الهدف

مئة عام تقريباً مرت ، منذ ذلك الوقت الذي بدأ فيه هذا العمل ولم يكن قلة
الرجال والنساء الشجعان ، الذين وهبوا حياتهم في محاولة منهم لجعل الشرق
الأدنى منطقة يكون بمقدور المخلوقات البشرية أن تعيش فيها على نحو بناء ،
دون أن يعكّر صفو تفكيرها ، إن أعمال القتل ، والذبح والنهب ستدمر كل

المقصود هنا هو أن تعدد الأطراف الراغبة في حل مشاكل الشرق الأدنى أعاق وأخر إمكانية الوصول
إلى حل هذه المشاكل

هذا الذي بنوه بهذا القدر من الاهتمام مع أنه تم خلال اثنا عشر شهراً حرق مدينة إزمير و نهبها كما تم تعذيب وقتل آلاف البشر ، واغتصبت النساء والقي هن في دور الحرم وبيوت الدعارة ، وتم تقطيع أشلاء الأطفال وهجر الناجون المفجعون كي يموتوا من الأمراض والجوع في معسكرات اللاجئين . وبعد كل ذلك ، قام مندوبو ((الدول العظمى)) ، ومن بينهم بلدنا الولايات المتحدة الأمريكية ، بالجلوس على طاولة المفاوضات مع الأتراك والنقاش ببرودة حول الامتيازات في مشهد كان أكثر قذارة من الجنود الرومان وهم يلقون بأحجار الزهر على لباس المسيح المصلوب لو أن السياسة الخارجية لأي من الدول العظمى صارت إنسانية بأي طريقة كانت - في بحثها عن العدالة وتقدم الحضارة والسلم - لما حدثت مأساة إزمير ، ولكانت الأقليات منذ زمن في أمان ، ولما كانت هناك مشكلة شرق أدنى تبحث عن حل غير أن السياسة الخارجية لكل الدول العظمى ، ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية ، مستمرة في كونها إمبريالية ، أنانية بالكامل وتهدف فقط إلى زيادة قوة هذه الدول التي تكونها لم يكن هناك محاولة في صدام الأمم في التنافس على من سيعمل أفضل شيء وفي من سيصبح أهم ناقل للحضارة ، من سيجلب السلام البعيد المدى إلخ على النقيض من ذلك كان تنافس بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا والآن الولايات المتحدة الأمريكية مبنياً على قاعدة أولية هي العطش للقوة ، القوة الناجمة عن الثروة الاقتصادية والتي تقود على مدى بعيد إلى حمايتها بالسلح إذاً ليس بالأمر المستغرب أن تكون تركيا المحطمة عام ١٩١٨ في وضع يمكنها من حرق مدينة إزمير بلا عقاب عام ١٩٢٢ وأن تبدو كدكتاتور في لوزان عام ١٩٢٣ كان لدى تركيا ما تبيعه ، الأمر الذي كان له مشتركون أكثر إن كل ما تبقى هو من الدول المسماة غربية

كانت في وضع من يتملق بفاعلية أكثر تريد الدول البترول لأن البترول يعني القوة ولأنه يمكن أن يلعب دوراً حاسماً في أية حرب محتملة . لقد تمت إبادة أو تهجير وطرده الأرمن وسكان آسيا الصغرى اليونانيين ، الذين كانوا عراة يموتون من الجوع وقد عمل الشعب الأمريكي كل ما بوسعه من أجل تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية لهم لكن بدلاً من ذلك كان لدى مندوبنا في لوزان تعليمات بالتفاوض على عقد اتفاقية اقتصادية مع تركيا لقد تم وضع وعودنا الرسمية للشعبين الأرمني واليوناني جانباً من أجل علاقاتنا التجارية لم يكن الموضوع أية مصالح كانت لنا أصلاً لدى تركيا ، ولكن أية مصالح أخرى كان يمكن تنميتها كان السباق يتم بصورة رئيسية عن مصادر ثروتها غير المستغلة . وفي غضون ذلك تمت خيانة الأقليات وتم تدمير استثمارات الشعب الأمريكي في آسيا الصغرى ولماذا ؟

لسبب وحيد هو أن أيّ من حكومات الدول الكبرى لم تكن مستعدة للتخلي عن المصالح الأنانية لبعض المجموعات من رعاياها أو أن ترفض السياسية الإمبريالية المسؤولة عن كل هذه الشرور بتحليل أخير وعلى وجه التقريب هو هذا الذي ندعوه (تكليف ضريبي دون تمثيل من قبل شخص آخر) ، لأنه لا توجد أية فائدة من هذه السياسة ، التي هي احتكارية في جانبها النظري والعملي وهؤلاء الذين يربحون من ذلك هم أصحاب المصالح التجارية والاقتصادية الخاصة ، الذين يملكون القدرة على استغلال جهاز الدول لصالحهم التي يفترض أنها موجودة في خدمة عامة الشعب .

وهذه ليست سوى حكومة الكثيرين والتي تمثل القلة وتعمل لمصلحة القلة يتم فيها خداع الأكثرية فيما يعيش الآخرون في بحبوحة أيضاً إن لآسيا الصغرى أهمية كبرى بالنسبة للقوى العظمى ، ليس فقط من وجهة النظر الاقتصادية ولكن من وجهة النظر السياسية ، بسبب موقعها الجغرافي

الاستراتيجي وهذا ما يجعل تركيا دولة - مفتاح فالشرق الأدنى هو في ذات الوقت الطريق والسد نحو الشرق الأقصى . إن آسيا الصغرى هي الدولة الوحيدة التي تتوسط أوروبا وآسيا وبصورة رئيسية آسيا إن الدولة الأوروبية التي بمقدورها أن تشرف بصورة مباشرة أو غير مباشرة على آسيا الصغرى ستكون تهديداً لعموم آسيا وخطراً على أوروبا ذاتها لقد قامت ألمانيا بإنشاء سكة حديد برلين - بغداد ليس لوجود إمكانية نقل عدد كاف من الركاب أو البضائع لتأمين مصاريف الخط ، ولكن لأنها تمثل طريقاً استراتيجياً نحو الهند ، التي كانت مستعمرة بريطانية ويقال اليوم أن هذا الطريق موجود في أيدي البريطانيين حيث تملك بريطانيا حق الوصاية على منطقة ما بين النهرين فيما تملك فرنسا حق الوصاية على سوريا .

لو أن إحدى الدول الأوروبية إنكلترا وفرنسا أو روسيا أو ألمانيا كانت تشرف على تركيا لكان بوسعها أن تسيطر على مقدرات أكثر من نصف العالم وهنا ، بالتالي ، يوجد توازن القوة الشهير فتركيا هي التي بمقدورها أن ترجح كفة الميزان نحو جهة أو جهة أخرى وهكذا كانت موجودة دائماً في وضع مميز لأنه ولا واحدة من تلك القوى كان بمقدورها السماح بأن يميل طرف الميزان نحو جهة أحد الخصوم إن تركيا ليست ذاتها قوة عظيمة كما الدول العظمى الخمس :

بريطانية وفرنسا وروسيا وإيطاليا والولايات المتحدة - قبل الحرب كانت ألمانيا تحتل مكانة إيطاليا - ولكن بسبب موقع تركيا غير الاعتيادي كشبه جزيرة ، والتي هي تقريباً قارة بين أوروبا وآسيا ويمكن استخدامها كطريق عسكري وتجاري ، فإن تركيا هي في وضع يمكنها من أن تمارس تأثيراً أكبر بكثير مما تسمح به قوتها الحالية أو أهميتها الحقيقية ، من هنا يمكن تشبيه تركيا في لعبة الإمبريالية الدولية الكبيرة ، والتي تهدف إلى اكتساب القوة

وفرض السيطرة الاقتصادية بذلك الشخص ، الذي قام بقتل جاره و الاستيلاء على ثروته ، ويتم الحكم عليه من قبل محكمة غير نزيهة حيث يتم إعفائه من كل همة موجهة إليه لأن كل واحد من القضاة ، يرغب في حصة من المسروقات ، ليصبح شريكاً معه في الجرم.

لقد ربطت تركيا قدرها مع قدر ألمانيا لأنها اعتقدت أنه من المنتظر انتصار ألمانيا في الحرب ، وعندما خسرت ألمانيا الحرب وجدت تركيا نفسها في مواجهة تيار معادٍ لكن ، وبسبب ثرواتها الطبيعية وبسبب السياسة الخارجية للدول العظمى ومن خلفها المصالح الاقتصادية التي أرادت استغلال ذلك في خدمة مصالحها وبسبب موقعها الاستراتيجي السياسي والجغرافي ، الذي جعل كل دولة تشك بنوايا الدول الأخرى فقد تمكنت تركيا من توجيه هذا التيار لصالحها ، وهكذا برزت في الحقيقة منتصرة في الحرب ، فيما لم تربح الدول العظمى أي مزية جوهرية ، لقد وقعت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية منفصلة وفق شروط تركيا وفقد اليونانيون والأرمن كل شيء .

لقد كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية مدهشاً في لوزان ، حيث كان لديهم أكبر قدر من التأثيرات على كل القوى التي اشتركت في المؤتمر ، لأنها كانت مانح القروض الصارم لنصف أوروبا ، بينما سياستها التقليدية وموقعها الجغرافي البعيد أظهرتها كدولة محايدة ليس فقط من الوجهة النظرية لكن أيضاً من الوجهة العملية فهم لم يتركوا فقط ليتم تضليلهم من قبل عصمت باشا ، ولكنهم قدموا في الحقيقة للوفد التركي دعماً ((معنوياً)) هاماً ، فالتصريح العلني الذي أدلى به السيد هيوز في أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف لن تهدد تركيا عن طريق القوة ، وبل سوف لن تعلن عليها الحرب حتى لحماية الممتلكات العامة الأمريكية ، برهن لتركيا إلى أي مدى كان بوسعها أن تتقدم وقد استغلت الأخيرة بالكامل هذه الواقعة .

كما صرح السيد هيوز قائلاً ((أعتبر أن من واجب حكومتنا أن تستمر في حماية أرواح ومصالح الأميركيين ، وأن تساعد المهجرين وأن نمارس نفوذنا لصالح السلام ، ضد العنف والوحشية ولأجل حماية الأقليات. سوف نحجم عن تقدم أي اعتذار وسوف لن نقوم بتهديد أحد إذا كنا لا نهدف إلى تحقيق تهديداتنا *)).

إن السياسة الإمبريالية هي ، التي قادت ألمانيا إلى الحرب الكبرى ، والسياسة ذاتها هي تلك التي توجد خلف كل حرب في التاريخ لا يمكن تجنبها . إن هؤلاء الذين يستفيدون من سياسة مماثلة هم قلة ، فيما جماهير العامة هي التي تتحمل العبء الاقتصادي والعسكري .

إن منشأ الإمبريالية يوجد دائماً في امتيازات المصالح الاقتصادية التي تتمكن من دمجها مع السياسة الوطنية .

إن التفكير بوضع الشرق الأدنى هو هام هذه اللحظة بسبب قيام شعب الولايات المتحدة بإتفاق ١٣٦ مليون دولار في الشرق الأدنى ، ليس في مشاريع تجارية ولكن في إنشاء مدارس و مستشفيات ودور أيتام وملاجئ وأعمال إنسانية أخرى أي في أعمال تخص حياة البشر. ولكنه تمت النصيحة بهذه النفقات من قبل هؤلاء الذين كانت مصالحهم أنانية ، وسياستهم إمبريالية ربما بدلاً من كونها إنسانية ، فضلاً عن ذلك فقد وجد الشرق الأدنى ولقرون عديدة سرطان العالم المرجل الكبير الذي كانت تختمر فيه الحروب الدولية .

* يشير الدكتور جيمس ل. بارتون ، سكرتير اللجنة الأمريكية للبعثات التبشيرية في الخارج إلى أن الموقف الذي اتخذته حكومتنا ، كما أفهما أنا ، بخصوص حماية المؤسسات الأمريكية في تركيا ، يمكن التعبير عنها على النحو التالي :

ستقوم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بحماية المؤسسات الأمريكية والمصالح الأمريكية في تركيا ، إلى حد الوصول إلى إعلان الحرب . وهذا هو جوهر التصريح الذي أدلت به لي وزارة الخارجية كتابياً وشفهياً ...)

مهما يكن ، كانت خاتمة الحرب العالمية قد قدمت فرصة فريدة لتصفية دائمة لهذه المنطقة المعدية ، ولكن تم تجاهل هذه الفرصة مما نتج عنه أن ذهب الأمور في الشرق الأدنى من سيئ إلى أسوأ .

من المهم بالنسبة لنا أن نعرف بالضبط كيف ولماذا حدث هذا ، لأن أي أمل يحفظه لنا المستقبل يتوقف على التقدير الصحيح لأخطاء الماضي .

سأحاول أن أضيف حالات ، تم خلالها ارتكاب الخيانة ، ونتائجها والأهم من ذلك أسبابها ، بالطبع ، قبل أن نستثمر أموالاً أخرى في أعمال إنسانية

واجتماعية في الشرق الأدنى فإن المنطق يقتضي منا أن نتحقق من كل الأسباب التي أدت إلى انهيار خططنا وأن نبحث في إيجاد وسائل حتى نتجنب تكرار هذا الدمار لأنه مهما كانت الخسائر الاقتصادية كبيرة فهي تافهة أمام الآلام وأعمال القتل التي صاحبته .

إن محاولة من هذا القبيل هي غير ممكنة ، إلا إذا كان بين أيدينا معطيات نزيهة ودقيقة ، سنعتمدها إزاء الأحداث التي هي أمامنا ، وهذا ما يهدف إلى خدمته البحث الراهن ، فجماهير العامة الأمريكيان لم تسمع كل الحقيقة بخصوص مسائل الشرق الأدنى ، إن هدف بحثي هو أن أفسر بعض نقاط هذا السرّ العديم الجدوى ، لقد تم تغذية العامة بأكداس من المعلومات الكاذبة وقد حدث هذا لأن مصالح بعض الأوساط فرضته ، لكن ومهما تكن الأمور فإن مصلحة العامة تقتضي توقف هذه المعاناة من هذه الحالة .

بأقوال قليلة ، أهدافي الموضوعية هي أن أتحقق من السياسة الأمريكية التي كانت في الشرق الأدنى ، وكيف أن هذه السياسة أثّرت على الأحداث التي جرت مؤخراً في المنطقة ، وما هي التغيرات المفيدة التي كان يمكن أن تتم في هذه المنطقة .

الفصل الثاني

الحقيقة بخصوص إزمير

قراية التاسعة من صبيحة يوم السبت الموافق ٩ أيلول من عام ١٩٢٢ دخلت كوكبة الخيالة التركية الرابعة إلى إزمير .

كانت وظيفة تلك الكوكبة هي العمل في المقدمة لحماية الجيش الوطني التركي بإمرة مصطفى كمال باشا من أي هجوم مباغت ، الأمر الذي جعل القوات المعادية تلوذ بالفرار ، كانت هذه القوات تقوم بعرض عسكري كاسح ، وقبل أن يخيّم الظلام كانت معظم هذه القوات قد وصلت حيث كان قد تم احتلال المدينة بالكامل ، غير أن أشياء كثيرة كانت قد حدثت قبل حلول الليل ، لقد كانت إزمير بالنسبة للأتراك شيئاً أكبر من هدف عسكري ، حيث كانت قد أنشئت من قبل اليونانيين قراية الألف الأولى قبل الميلاد وكانت قد احتلت من قبل الأتراك عام ١٤٢٤ م ، كانت مركز ثلاث أبرشيات واحدة لليونان الأورثوذكس وواحدة للروم الكاثوليك وواحدة للأرمن .

فضلاً عن أن سكان المدينة - وكل الولاية - كانوا في غالبيتهم من اليونانيين كما كانت مركزاً للحضارة الغربية منذ القدم في آسيا الصغرى ، لقد كانت إزمير رمزاً وكرمز كانوا يخافوها ويكرهوها لذا قاموا بتدميرها .

على مدى أيام وقبل احتلال المدينة من قبل الأتراك كان جموع الأرمن وسكان آسيا الصغرى من اليونانيين الخائفين يحتشدون فيها من كل حذب وصوب ، كانت إزمير قد امتلأت بمخلوقات بشرية أصابها الرعب .

وسوف لن يعرف أحدٌ بتاتاً عدد اللاجئين الدقيق الذين كانوا قد لجؤوا إلى مدينة إزمير حتى التاسع من أيلول لكن بمقدور المرء القول بكل تأكيد من

أن تعداد المدينة الاعتيادي الذي كان يبلغ ٣٥٠ ألف ، كان قد تضاعف على الأقل .

كانت كل السفن العائمة في الميناء ، التي كانه بوسع أي شخص أن يجد فيها مكاناً بدفع النقود ، أو بالتوسل أو بإعطاء رشاي ، قد امتلأت بالكامل بالرجال والنساء والأطفال الذين كانوا يسعون للنجاة من الأتراك الذين كانوا يصلون تبعاً .

لقد قُدر أن غالبية أرمن ويونانيي عموم آسيا الصغرى كانوا قد اجتمعوا ذلك اليوم في المدينة وفي ميناء إزمير وفي السفن ، التي كانت موجودة فيها ، لم يكن يعرفون إلى أين هم ذاهبون وما كان ذلك يهمهم في شيء كانوا يعرفون جيداً من أين هم قادمون ، كانوا قد أعلموهم أن إزمير بالنسبة للأتراك هي شيء أكثر من هدف عسكري .

ففي ٥ أيلول وقبل احتلال المدينة بأربعة أيام ، قامت الحكومة الوطنية التركية بإرسال مذكرة ، إلى عصبة الأمم تمت الإشارة فيها إلى الأعمال الوحشية التي زعم أن القوات اليونانية كانت قد ارتكبتها أثناء هجومها المباغت ، منهية المذكرة بالتصريح التالي :

((إن تركيا ترفض تحمل تبعة النتائج التي يمكن أن تسببها هذه الاستفزازات المخيفة)) وقد قامت عصبة الأمم حينها بتفسير هذه الواقعة كإعلان عن نية الأتراك في إبادة أقليات آسيا الصغرى المضطهدة ، ولكنها كانت عاجزة عن التدخل .

إن ما فعلته عصبة الأمم ، هو أنها قامت مباشرةً بحض الحكومات الأوروبية القيام بإظهار موقفها الواضح من تركيا ، من أنه على الرغم من تنكرها لكل مسؤولية فإنها سوف لن تتوقف عن اعتبارها مسؤولة عن كل ما يمكن أن يحدث .

غير أنه لم يكن لدى الحكومات الأوروبية أي نية في جعل تركيا مسؤولة عن أعمال لم تمس مصالحها وهكذا لم يحدث شيء ، كانت هناك إشارات أخرى ، فقبل احتلال المدينة من قبل الأتراك قامت الحكومة الوطنية التركية بلصق مناشير على جدران المدينة تم بموجبها استبدال عقوبة قتل أحد الأرمن أو اليونانيين من الموت إلى (عقوبة) بسيطة ، وعندما رأى الأرمن واليونانيون ذلك عرفوا ما سيحدث .

وجب على الديانات والملوك أن يضربوا على رؤوسهم ووجب على الدول الغربية أن تأخذ درساً .

لقد دخلت قوات الاحتلال إلى المدينة قرابة التاسعة وفي العاشرة والنصف قام أحد رجال الدين الكاثوليك الأب سكاليارينو بإخطار الفرنسيين من أن الأسقف اليوناني ، صاحب النيافة خريسو ستوموس معرض للخطر والآن فلندع أحد شهود العيان الفرنسيين ، والذي لهذا السبب - يجب أن ينتظر منه المرء موقفاً ودياً تجاه الأتراك فلندعه يسرد لنا القصة :

قامت مجموعة فرنسية مؤلفة من عشرين شخصاً قمت باصطحابهم مع أشخاص آخرين من الحرس الوطني ، بالذهاب مباشرة إلى دار الأبرشية كي تطلب من صاحب النيافة الذهبي الفم اللجوء إلى كنيسة قلب يسوع (sacre-Coeur) أو إلى قنصلية فرنسا العامة ، رفض صاحب النيافة هذا العرض قائلاً :

كراعي ، عليه أن يبقى بالقرب من رعيته ، وما أن انطلقت المجموعة الفرنسية لمغادرة المكان حتى توقفت سيارة فيها ضابط واثنان من الجنود مزودين ببنادق لها حراب في مدخل دار الأبرشية .
اتجه على أثرها الضابط إلى مكتب الأسقف طالباً منه أن يتبعه إلى حيث الحاكم العسكري ، نور الدين باشا .

عندما شاهدتهم يصحبون الأسقف معهم نصحت المجموعة أن تتبع السيارة .
وصلنا إلى المعسكرات الكبيرة حيث كان نور الدين موجوداً ،قاد الضابط
الأسقف أمام الأخير ، بعد ذلك بعشرة دقائق نزل ثانية إلى أسفل .
وفي نفس اللحظة ، ظهر نور الدين في شرفة المبنى متوجهاً إلى ١٠٠٠ -
١٥٠٠ من الأتراك الذين كانوا محتشدين في الساحة ، وصرح أنه يسلمهم
الأسقف وأضاف :

((إذا كان قد أحسن إليكم أحسنوا إليه وإذا كان قد أساء إليكم ألحقوا به
الأذى)).

قام الرعاع على الأثر باستلام صاحب النيافة وأخذوه معهم إلى أسفل قليلاً
أمام صالون حلاقة لإيطالي يدعي إسماعيل ، توقفوا إلى أسفل قليلاً وقاموا
بالباس الأسقف صدرية الصالون البيضاء .

بعد ذلك بدؤوا بضربه بلكماتهم وبالعصي و صاروا يصبقون على وجهه
وقاموا بطعنه بالسكاكين عدداً لا يحصى من المرات وقاموا بقلع ذقنه ،
وفقروا عينيه ، وقطعوا أنفه وأذنيه .

يجب أن نشير هنا إلى أن المجموعة الفرنسية كانت تتابع المشهد وحتى تلك
اللحظة كان الرجال لا يصدقون وهم يرتجفون غضباً وأرادوا التدخل ،
لكنهم رضخوا لأوامر ضابطهم الذي منعهم من التدخل ، مهدداً إياهم
بمسدسه بعد ذلك فقدنا الأسقف من أمام أعيننا ، حيث تمكنوا من إصابته
بالطعنة الأخيرة إلى أسفل قليلاً .

في ماذا كان قد أساء هذا العجوز الطيب إلى الأتراك ؟
كان قد بارك علناً القوات اليونانية عندما استلمت المدينة قبل ثلاث سنوات
وكان هذا كل شيء .

كانت قد حدثت للتو بعض أعمال النهب التي صاحبها أعمال قتل الرجال

واغتصاب النساء ، أضيف هنا شهادة أنا . خ . بيرتس زوجة أحد رجال
البعثة التبشيرية الأمريكية ، الذي كان يعمل ذلك الوقت في إزمير ، حيث
تصف السيدة بيرتس على النحو التالي دخول القوات التركية:

((كانت طلائع القوات التي دخلت ، مرتدية الثياب السوداء والطرايش
السوداء التي عليها الهلال الأحمر والنجمة ، كانوا يمتطون أحصنة مهيبة
ومزودين بسيف طويل معقوفة)) .

حيث دخلوا المدينة وهم منطلقون باعتزاز رافعين إحدى أيديهم وصارخين
في وجه السكان المذعورين لا تخافوا ! لا تخافوا ! ولكن ، سكان إزمير
كانوا على دراية بسمعة الأتراك لذا تملكهم الذعر الشديد .

كانت القوات التركية تسير منذ الصباح في المدينة حيث بدؤوا قرابة الثالثة
من بعد ظهر ذلك السبت بارتكاب أعمال السلب ، والاعتصاب والقتل
الأكثر التي ليس بالإمكان وصفها بكلمات

تم هب المدينة على نحو منظم ونقل الغنائم بعربات إلى الأحياء التركية
وشاهد أساتذة كلية البنات الأمريكية الجنود وهم يقتلون السكان في
الطرق أمام الكلية ، ويدخلون المنازل ويقتلون أسراً بأكملها ويلقون
بجثثهم ويغادرون بعد ذلك بعرباتهم المليئة بالمسروقات ، وعندما غابت شمس
ذاك المساء ، كانت طرقات المدينة المحكومة مليئة بالجثث من المحتمل أن أشياء
أسوأ من هذه ، التي وصفتها السيدة بيرتس حدثت في الحي الأرمني حيث
كان قد تم إشعال النيران فيها ذلك السبت ، غير أنه تم إخماد تلك النيران
قبل أن تمتد كثيراً .

يجب أن نشير هنا إلى أن أعمال السلب كانت بصورة رئيسية عمل
العصابات وقوات الجيش التركي غير النظامية والسكان .

فيما يدعي الأتراك بوجود إلقاء مسؤولية كل هذه الفظائع على عاتق

العصابات وبعدم مسؤولية الجيش ((النظامي)) عنها .
لقد برهن بحثي أن القوات التي زعم أنها غير ((نظامية)) هي في الواقع جزء
تم اقتطاعه من الجيش التركي، وكانت موجودة تحت سيطرته الكاملة
وكانت تخضع لأوامر الضباط الأتراك.

لم تكن عصابات الأتراك مطلقاً قوات ((غير نظامية)) أكثر مما كانت خيالة
مورغان في الحرب الأهلية الأمريكية ، فضلاً عن أنها كانت مفيدة كحصان
طروادة ، وعندما كان الأمر يتطلب القيام بأمر فظيعة على نحو خاص
، كان يعهد بذلك إلى تلك العصابات وقد رفضت القيادة التركية العليا أن
تأخذ على عاتقها أية مسؤولية مدعية بأن كل هذه الأعمال قد حدثت من
قبل عناصر غير ((نظامية)) .

فضلاً ، على أنه لم يكن هناك ولا لحظة ، أثناء احتلال إزمير وهبها دون
وجود عدد كبير من القوات التركية النظامية ليضعوا حداً لكل أنواع
الفوضى ، إن تذرع كمال بأن الأعمال الوحشية التي تم ارتكابها كانت من
فعل العصابات هي كاذبة بوضوح للأسباب التالية:

أولاً : لأن العصابات كانت جزءاً من الجيش التركي النظامي .
ثانياً : حتى لو لم تكن ، فإن المدينة بأكملها كانت موجودة تحت السيطرة
الكاملة للجيش التركي .

وقد اعترف بذلك وزير الخارجية الأمريكي هيوز في تصريح له إلى عضو
مجلس الشيوخ لوتز في شتاء عام ١٩٢٣ ، قائلاً إن مسؤولية كل ما حدث
في إزمير تقع على عاتق السلطات العسكرية، التي كانت قد احتلت المدينة
في ذلك الحين :

((في كل الأحوال من الصعب أن يكون بإمكان السلطات العسكرية التركية
التي احتلت المدينة التخلي عن مسؤولية فشلها في حفظ النظام في إزمير

الأمر الذي ساهم بلا شك في حجم الدمار الكبير)) .

في الأيام الثلاث الأولى للاحتلال استمرت أعمال العنف والنهب والقتل . كانت مذبحـة بكل ما يتبع ذلك من فظائع كما كان قد تم وضع حرس تركي في كل مدخل من مداخل الحي الأرمني لمنع الأوروبيين ما أمكن من معرفة ما كان يجري ، هذا وقد تملك الرعب في اليوم الأول قناصل الدول المختلفة وقاموا بالاحتجاج لدى الحاكم العسكري التركي نور الدين ، الذي أكد لهم من أنه سيتم إحلال النظام وقد تم الالتزام بهذا الوعد في خطوطه الرئيسة ، حتى نشوب الحريق فيما يخص الحي الأوروبي ، ولكن أثناء ذلك كانت مشاهد لا توصف تنفذ في القطاعين اليوناني والأرمني .

من الجدير بالذكر ، قيام القنصل الفرنسي العام برفض اقتراح القناصل الآخرين بمصاحبته لتقديم الاحتجاج لدى نور الدين ، واقتراحه بدلاً من ذلك الذهاب سوية لتهنئة الحاكم على الانتصار التركي ، وقد تم رفض اقتراحه ، وقد ظهرت بوادر أول تدمير للممتلكات الأمريكية مساء السبت حيث تم نهب منزل الدكتور والسيدة بيرتس الكائن قرب المعهد الدولي الأمريكي للذكور في باراديسو ، إحدى ضواحي إزمير على نحو وحشي على الرغم من وجود العلم الأمريكي فوقها.

يجب الإشارة هنا إلى أنه طوال هذا الوقت كان القلة من أحد أجزاء المدينة على دراية بما يجري في الجزء الآخر.

كان بوسعك أن ترى فقط على نحو بانورامي عابر ما كان يجري هنا وهناك وقد تم تخصيص أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء لنهب الحي اليوناني والأرمني ، وفي قتل سكانها وممارسة ما أمكن من أعمال العنف ضدهم.

غير أنه كان يتم التعقيم على كل هذا لأن كمال كان قد أظهر نفسه للعالم كزعيم للحضارة التركية الجديدة وكان أمراً جوهرياً له أن يتم الحفاظ على

عملية الخداع هذه ، وقد دخل كمال بالذات المدينة يوم الأحد وتم استقباله بحماس ك ((غازي)) أي فاتح.

قبل أن نتكلم عن أحداث الأسبوع التالي كان من المنتظر حدوث مذابح ودمار فيها على نطاق يحدث للمرة الأولى ، سيكون من المفيد أن نبذل جهداً في الوقوف على بعض النقاط التي تصف الحالة.

فقد كان لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وإيطاليا سفن حربية في ميناء إزمير.

كان لدى أمريكا أربع طرادات ، سيمبسون . ليتسفيلد . اينشل ولورينس اثنتان داخل الميناء واثنتان خارج الميناء بالطبع ، كانت تلك السفن موجودة لحماية أرواح رعايا تلك الدول التي كانوا يتمتعون إليها .

كان معروفاً للجميع أن عواطف الفرنسيين والإيطاليين كانت مع الأتراك ، لأن هذه الدول كانت قد ساندت تركيا في حربها مع اليونان ، فيما كانت بريطانيا العظمى حليفة لليونان على نحو سلمي ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية محايدة ومحايدة بشدة .

وقد عبر الضباط في حالات عديدة على نحو مكشوف عن إعجابهم الشخصي بالأتراك وعن لا مبالاتهم المخزية تجاه اليونان والأقليات المضطهدة ولكن ذلك كان في المحصلة، موضوع رأي شخصي على الرغم من أن التعبير عن ذلك بدون تحفظ كان بلا شك تصرفاً ينقصه التهذيب وذو وقع سيئ على النفس ، مهما يكن فقد اعتبر الأتراك هذه الواقعة بمثابة دعم معنوي لهم .

ونستطيع القول إن عمل بحريتنا في إزمير كان وفق أفضل الأعراف وأعلى المثل التي سلكها سلاح البحرية .

غير أنه كانت هناك شائبة ، لا يمكن تجاوزها كلما عرفنا أوامر وزير

الخارجية هيوز ، كما قام بنقلها الأميرال بريستول ، المندوب السامي للولايات المتحدة الأمريكية في إستانبول، وقائد قواتنا البحرية في الشرق الأدنى التي كانت تطلب بوضوح الوقوف على الحياد بصرامة .

ليس فقط استخدام العنف ولكن حتى التهديد باستخدامه ضد الأتراك كان ممنوعاً وهذا ما جعل هامش المناورة لدى البحرية الأمريكية ضئيلاً جداً في عمل شيء سوى القيام بإزالة الحطام .

فضلاً عن ذلك فإن ، من المشكوك فيه أنه كان بوسع الطرادات الأمريكية الموجودة في ذلك الحين في الشرق الأدنى ، القيام بإنقاذ سكان المدينة من أعمال السلب والحرق ، والقتل والعنف والتهجير، لو تم السماح لها بذلك لكنني سأعود لاحقاً لهذا الأمر وسأنتقل الآن إلى نقطة أخرى أقل شأنًا ولكنها مهمة في كل الأحوال.

فكما أصبح مفهوماً، وأصبح معروفاً للكثيرين بشكل يثير الاشمئزاز ، بأنه لم يكن قليلاً عدد جنود كمال،الذين كانوا يرتدون بدلات أمريكية مستعملة . ليس من المسر أن ندرك، أن البدلات ذاتها ،التي كان جنودنا يرتدوها في حربهم من أجل الحضارة قبل أربعة أعوام ، يرتديها الآن الجنود الأتراك في اعتدائهم على حلفائنا ، فضلاً عن أن هذه البدلات كانت قد بقيت كما هي على حالها ، حتى أنه كان عليها أضرار عليها النسر الأمريكي .

ويعتقد أن هذه البدلات كانت تشكل جزءاً من الأمتعة،التي تخلى عنها الجيش الأمريكي في فرنسا،والتي اشترتها الحكومة الفرنسية .

وإذا كانت هذه هي الحقيقة، يصبح من السهل الإدراك بأنها أعطيت من قبل الفرنسيين للأتراك، كجزء من العتاد الحربي الذي قام الفرنسيون بتزويد الأتراك بها .

من غير الممكن إعطاء التفاصيل الكاملة لكل ما جرى في الأيام الأربعة

الأولى للاحتلال والواقعة ٩-١٠-١١-١٢ من أيلول ، على كل حال هناك الكثير من الوقائع التي تظهر لنا ملامح الأحداث :
فقد تم قتل ٨٠٠ شخص كانوا قد التجؤوا إلى دار أبرشية الكاثوليك بعد إخراجهم منها كما تم قتل ١٢٠ امرأة كن قد التجأن إلى منزل أحد البريطانيين حيث تم اغتصابهن وقتلهن .

هذا وقد تم نبش قبر أحد الجنود الأمريكيان ، وإخراج جثته التي تعرضت لشتى أنواع المهانة من قبل الجنود الأتراك * .

وقد انتحر أحد المواطنين الأمريكيان بمسدسه عندما قام الأتراك بخطف إمرأته وابنته ، وتم وضع مئات الفتيات اليونانيات والأرمنيات في بيوت دعارة من أجل إمتاع الجنود الأتراك ... كما تم إطلاق العنان لأعمال القتل ، والخطف والنهب ، وعلى نطاق لا سابق له .

وبوسعنا السلجؤ إلى مئات الشهادات وأن نحشد الشهادات الواحدة تلو الأخرى ، ولكن هذه الحجج كانت ستكون محزنة وغير قابلة للإحصاء فضلاً عن أن القليل ، الذي تم ذكره هو مؤشر لما جرى للمجموع .

وقد تم إخطار مدير المعهد الدولي الأمريكي للذكور في باراديسو ، الدكتور ألكساندر ماك لاخلان يوم الاثنين المصادف ١١ أيلول ، من أن الأتراك قاموا بنهب دار التأهيل الاجتماعي الذي كانت ملكيته تعود إلى المعهد .

حيث قام الدكتور ماك لاخلان بالتوجه مباشرةً لانقاذ المبني برفقة خمسة من البحارة الأمريكيان بقيادة ضابط الصف كروكير من الطراد ليتسفيلد .

من المفيد أن نضع هنا في الحسبان ، بأن الدكتور ماك لاخلان كان معروفاً للرجال المدججين بالسلاح ، وقد أخذت على عاتقي القيام بالتعارف ولكني وقعت في أيدي الرجال المسلحين .

* قدمت الحكومة الوطنية ذلك الحين الاعتذار عن هذا الحادث .

في تلك اللحظة بدا أن لا أحد منا كان لديه أي أمل في النجاة ، غير أن الرقيب كروكير أنقذ الموقف بإعطائه الأوامر للرجال بالتراجع دون القيام بإطلاق النار ، وهذا ما أعطاني الفرصة لبدء المفاوضات مع الرجال السيئين الذين بدؤوا بالانقضاء علي .

على كل حال تم تبادل بعض العيارات النارية من الجهتين خصوصاً بعد الأمر الذي تلقاه البحارة بالانسحاب إلى مسافة أبعد قليلاً، وعندما أصبحوا على مسافة ٥٠ قدماً من العدو، انطلقت رصاصة ولكن لا تلك ولا الرصاصات التالية أصابت هدفها ، كنا أنا والرقيب مكشوفين بين نيران الجهتين، وعندما صار البحارة على مسافة ٨٠ - ٩٠ قدماً قاموا بإطلاق بعض العيارات النارية ، بالطبع فقد أثار هذا غضب الأعداء الذين كنا موجودين بين أيديهم أنا والرقيب، اهتم اثنان من هؤلاء بأمر الرقيب ، فيما قام البقية بتطويقي، في البداية أخذوا ساعتي وسلسلتي وبعد ذلك دفتر الملاحظات وسترتي وقاموا بعد ذلك بالابتعاد خطوتين إلى ثلاث خطوات ورفعوا بنادقهم كما يبدو ليقتلوني، في تلك اللحظة ظهر زكي ، أحد تلاميذنا الأتراك والذي يبدو أنه كان يقتني أثرنا من المعهد ، وقام بالانقضاء بكليتا يديه على هذين الرجلين وقام بإنزال بنادقهم متوسلاً إليهم ألا يطلقوا النار علي .

وقد سقطت في الدقائق العشر أو الخمس عشرة التالية من أربع إلى خمس مرات بعد تعرضي للضرب إما من أخمص البنادق أو الهراوات ... لقد لعبوا معي كما تلعب القطعة مع الفأر قبل أن تمزقها وكان كل شيء يشير إلى أن الطلقات كانت ستضع حداً لحياتي ... بقي علي القليل من الثياب والأحذية والجوارب والبنطلون وقد حاول أحدهم سحق قدمي اليمنى بأخمص سلاحه ولكنني ابتعدت بسرعة وتلقيت ضربة في إهام رجلي .

ولكي نكمل بأقوال قليلة بقية حديث الدكتور ماك لاخلان ، الذي أوشك على فقدان أحساسيه عندما وصل أحد الضباط الأتراك وأمر الجنود بإطلاق سراحه، أثناء ذلك كان الرقيب كروكير قد تعرض لأضرار جسدية كما كانوا قد انتزعوا منه كل الأشياء الثمينة التي كانت بحوزته بالإضافة إلى جزء من بدلته .

هو ذا مدير أحد المعاهد الأمريكية يتعرض للسرقة والضرب بالعصي كما تلقى بعض البحارة الأمريكان، المرتدين بزاهم الرسمية عيارات نارية وتعرض ضابط صف أمريكي للسرقة والأذى الجسدي من قبل عناصر تركية غير منضبطة والذين كانوا تحت السيطرة حتى يخضعوا لأوامر ضابط تركي عندما تجاوز الحدود المسموح بها .

أراد الكثيرون ، التقليل من شأن هذا الحادث ، مدعين بأن هؤلاء الرجال كانوا ببساطة ((عصابة)) وأن بجاتنا كانوا خارج نطاق الخدمة .*

إلى ذلك فإن شهادات الضباط الأمريكان ، الموجودين ذلك الحين في إزمير تدل على أن هؤلاء الرجال لم يكونوا عصابات بل عناصر في الجيش التركي وأن هذه المجموعة من بجاتنا كانت ببساطة تخضع للأوامر عندما حاولت حماية أرواح الأمريكان بأفضل طريقة ممكنة ، على الرغم من أنهم منعوا من القيام بذلك ، لأن الأوامر المعطاة لهم كانت أن يبقوا على الحياد أي كان الاستفزاز الذي يواجهوه .

هذا وكانت الفظائع تتجمع الواحدة تلو الأخرى يومي الاثنين والثلاثاء فالأسوأ لم يكن قد حدث بعد، فقد شبت النيران التي كان مرتقباً أن تزيل ثلثي مدينة إزمير بعد ظهر يوم الأربعاء الموافق ١٣ أيلول .

* لقد تم التأكد بأن الرقيب كروكير كان خارج نطاق الخدمة ،على نحو شكلي ولكن سيكون من التضليل استخدام هذا الأمر كذريعة .

وفيما يشكك البعض بخصوص من كان مسؤولاً عن إضرار النيران، فلنشر إلى سرد أحد شهود العيان، الآنسة ميني ميلس ، مديرة معهد البنات في إزمير حيث ترد الآنسة ميلس قائلة :

بعد وقت قليل من وجبة الغذاء اندلعت بالقرب من مدرستنا نار انتشرت بسرعة كبيرة، وقد شاهدت بأمر عيني أحد الضباط الأتراك وهو يدخل المنزل حاملاً بعض تنكات البترول أو البترين وما هي إلا دقائق حتى شُتبت النيران في المنزل .

وقد شاهد أساتذتنا وطالباتنا جنوداً أتراك وفي حالات كثيرة ضباطاً مرتدين زيهم العسكري ، يستخدمون بعض المهرات التي كان طرفها مربوطاً باسمال بالية ، وهم يغطون هذه الأسمال في تنكات مليئة بسائل ويدخلون إلى منازل تشب فيها النيران مباشرة .

لم يكن هناك في الطرقات في تلك اللحظة أشخاص آخرين سوى مجموعات من الجنود الأتراك فيما بدأت النيران على وجه الدقة أمام مبنى معهدنا كان منزل من كل ثلاث أو أربع منازل في الحي الأرمني يشتعل...

((مع أن الريح التي كانت تهب من جهة الحي التركي نحو الأحياء* الأخرى لم تكن قوية جداً ، وكما يبدو كان الفاعلون ينتظرون حتى تهب هذه الريح المواتية)).

هذا وإن شهادة الآنسة ميلس هي مطابقة لشهادات الكثير من الشهود فالسيد زاكويس من الـ ((نيرايست ريليف))** يؤكد في تقريره للأميرال بريستول بأنه شاهد أفراداً يلقون البترول على مبان بحضور جنود أتراك ، سيكون منطقياً أن يستنتج المرء بأن مضمري النيران أيضاً كانوا أتراكاً .

* المقصود هنا الحي الأوروبي والأرمني واليوناني .

** وكالة إغاثة لاجئي الشرق الأدنى .

لقد شاهد الرائد ديفيس ، من الصليب الأحمر ، الأتراك وهم يبللون الطرقات والمنازل على طول خط النار بسائل وحين قام بغمس إصبعه في السائل ولحسه ، وجد أن ذلك السائل كان بترولاً .

لقد شاهد السيد ماك لاخلان والسيدة بيرتس من برجهم ، جنوداً أتراك يدخلون إلى المنازل حاملين تنكات وبعد دقائق قليلة رأوا هذه المنازل وقد شبت فيها النيران .

علام تدل هذه الأحداث ؟

بدأت النيران تقريباً في ذات الوقت في أربع مناطق على طول الطرف الجنوبي للحي الأرمني ، وكان اتجاه الرياح المحلية ((اليمبات)) تهب تقريباً دون استثناء بدقة من الساعة ١٢-٢ ظهراً وحتى غروب الشمس عادة من الجنوب الغربي وإلى الشمال الشرقي .

كان اليونانيون والأرمن على دراية بهذا الأمر . وكانوا يعرفون أنهم لو قاموا بإشعال النيران في المكان الذي اندلعت فيه لكان معنى هذا دمار أحيائهم ، فيما كان الحي التركي سيقى على حاله .

هكذا وكما سارت الأمور فقد بقي الحي التركي واليهودي ، أكثر مناطق المدينة فقراً عل حالهما .

لماذا يحرق اليونانيون والأرمن منازلهم التي كان لا يزال عندهم أمل بالعودة إليها ؟

كان لدى الأتراك السبب للقيام بذلك ، كانوا يرغبون في إزالة نهائية لكل أثر لأعمال القتل والعنف والسلب ، التي أشاعت الخراب في المدينة على مدى أربعة أيام ، بالإضافة إلى أنهم كانوا قد قرروا وجوب زوال أي أثر للحضارة الغربية من عاصمة آسيا الصغرى ، أي وجب أن تدمر بالكامل بالنار والسيف . وهذا ما حصل .

لا يوجد ولم يوجد البتة أدنى شك حول من قام بحرق إزمير ولماذا أحرقها .
أيضاً فإن الأدلة الصغيرة تتجه ناحية الأتراك .

أضيف هنا جزءاً آخر من تقرير السيد زاكويس موجه للأميرال بريستول :
فقد أشار ((رجال البحرية الأمريكية)) الذين تم وضعهم كحراس للمعهد
الأمريكي ، إلى أنه لم تجر أي محاولة لإخماد النيران . وأنه في حالة على الأقل ،
قام الجنود الأتراك بمنع كل الذين حاولوا القيام بذلك... كانت رائحة
الكبروسين ، تبدو محسوسة على نحو واضح لكل الذين كانوا موجودين في
فترة الظهيرة تلك في مؤخرة السفينة ديستروير ، التي كانت راسية على
مسافة ١٦ قدماً من رصيف ميناء إزمير .

وقد أشار أحد أعضاء لجنة الرعاية الصحية إلى أنه ، كان قد غمس إصبعه في
سائل ، ارتابه الشك فيه خارج القنصلية الأمريكية قبل وقت قليل حيث
أدرك بأن هذا السائل لم يكن سوى كبروسين .

في هذا الجو من الإرباك والخوف ، الذي لا يوصف والذي كان سائداً ،
أضيف إليه الآن رعب النيران ، التي كانت تلتهم كل شيء أمامها .
كاوور إزمير (إزمير الكافرة) ، كما كان يسميها الأتراك ، كانت إزمير
محكومة بالفناء .

كان سكان المدينة قبل وبعد الاحتلال يحتشدون على طول الشاطئ
متوسلين أي سفينة تستطيع وترغب في أخذهم ، لكن الآن ، وفيما النيران
تلف المدينة ، فإن الشاطئ كان قد فاض بكل الذين كان أملهم الوحيد هو
الهروب .

ليس بالإمكان أن نشير إلى الأرقام الدقيقة بخصوص إزمير ، ولكن بمطابقة
معلومات إحدى السلطات مع الجهات الأخرى ، فإن عدد الذين تم قتلهم
يقدر بـ ١٠٠ ألف شخص ، كما تم تكديس ٢٨٠ ألف شخص في

الشاطئ متوسلين من أجل نجاحهم ، وتم أيضاً تهجير ١٦٠ ألف شخص من قبل الأتراك إلى مناطق البلاد الداخلية حتى لا يظهروا ثانية .

إن التفاصيل بخصوص هذه الأمور هي عديدة إلى الحد الذي يعتبر فيه أي وصف غير كافٍ ، إنه مشهد كبير ومخيف جداً ليكون بوسع شخص ما رسمه ، لقد وقعت طالبات المعهد الأمريكي والمدرسة الأرمنية للبنات ، الموجودات في الجهة المقابلة ، في أيدي الأتراك وكان ١٣٠٠ لاجئ موجودين معهم قد التجؤوا إلى مباني المعهد .

سيكون من المؤلم أن يقدر شخص مصير هؤلاء الفتيات ، اللواتي تعلمن في مؤسسة أمريكية وفق المثل الأمريكية وطريقة التفكير الأمريكية ، والذين وجدوا أنفسهم تحت رحمة أشخاص قساة القلوب ، يوائمون بين وحشية المغول وقسوة أدنى درجات المجتمع البدائي انخراطاً .

وعلى الرغم من أن ميناء إزمير كان ممتلئاً بسفن الحلفاء الحربية ، لم يكن هناك من قام بإنقاذهم وهكذا هلكوا كانت هذه المجموعة قد احتشدت على نحو ضيق في رصيف الميناء ، إلى الحد الذي لو مات فيه أحد لما كان بوسعه السقوط ، لأنه كان سيستمر في البقاء واقفاً مستنداً بشكل إجباري على مجاوريه .

من جهة كان يوجد الميناء ، ومن جهة أخرى رتل رفيع من بحارة السفن الحليفة المتواجدين هناك ، على فرض أنهم كانوا سيقومون بحماية اللاجئين ، لكنهم كانوا في الحقيقة عاجزين عن فعل شيء أكثر من حماية مواطنيهم فقط أولئك ، فلم يكن البريطانيون الذين كان الأتراك يكرهوهم قادرين على فعل شيء تقريباً ، أما الفرنسيون والإيطاليون الذين كانوا يكونون مشاعر صداقة قوية تجاه الأتراك فقط قاموا بتقديم مساعدة بسيطة .

وقد فعل الأمريكان ، الذين كانت أياديهم مكبلة بسبب أمر جائر ، كل ما بوسعهم من وجهة النظر الإنسانية ضمن الظروف السائدة .

في غضون ذلك وخلف رتل الحلفاء الرفيع كانت المنازل المطلة على البحر ومن خلفها المدينة المشتعلة مكللة بغيوم الدخان ، التي كانت تندلع فيها ألسنة اللهب على نحو هادر .

لم يكن هناك من يحمي اليونانيين والأرمن ، الذين كانوا يمثلون ٩٩% بالمئة من أولئك المحتشدين في الميناء طلباً للنجاة .

وقد قامت مجموعات من الأتراك في الأيام والليالي التي تلت ذلك بالانقضاض على الجموع البشرية المذعورة ، وخطف ١٠-٢٠ امرأة تم اصطحابهن أو اغتصابهن وقتلهن بالقرب من هناك .

أضيف هنا هذه الشهادة العائدة لمندوب إحدى شركات التبغ الأمريكية :
في كورذيليو إحدى ضواحي إزمير ، شاهدت عائلة أرمنية الأب والأم والأولاد يسرون من مزلمهم الجميل نحو البحر ويلقون بأنفسهم في البحر منتحرين .

وقد احتل الضباط الأتراك منازل اليونانيين ، والأرمن والإنكليز في كورذيليو وملأوها بأجل الفتيات اليونانيات والأرمنيات ، اللواتي كن قد تم أسرهن .

قال لي أحد الضباط الأتراك :

((لقد ملأنا هذه المنازل بالفتيات اللواتي يرقصن لنا عاريات كل مساء إذا كنت تريد متابعة عرض جميل فتعال لترى)) .

من يدري أن أولئك الفتيات لم يكن طالبات في المعهد الأمريكي !
من اللحظة التي وقعوا فيها في أيدي الأتراك ضاعوا إلى الأبد .

أيضاً كانت هناك صالة سينما أمريكية على شاطئ الميناء ، تم الاستيلاء عليها من قبل السلطات الأمريكية لإيواء مواطنيهم ، كان رتلان من البحارة يمتدان من باب صالة السينما وحتى طرف الشاطئ وبين هذين الرتلين كان اللاجئون الأمريكيون يندفعون بسرعة نحو السفن .

وقد قام القنصل الأمريكي العام ، السيد جورج خورتون ، بوضع حالته الصغيرة في السفن ليلة الثالث عشر من أيلول وأبحر معهم إلى اليونان . طوال فترة تفريغ إزمير ، من سكاها كانت هناك لوحة في واجهة مبنى السينما تعلن عن عرض فيلم هناك : اسمه ((رقصة الموت)) .

وكانت السخرية المرة لهذا الحدث تجلب الابتسامة لشفاة العديد من الأمريكيين ، التي فقدت رونقها من الخوف حقاً كانت رقصة الموت هذا وقد تم الإعلان يوم السبت الموافق ١٧ أيلول عن إصابات طاعون ، فيما كان التهديد بمرض التيفوئيد يخيّم في سماء المدينة .

لا أحد بوسعه أن يصف على نحو أفضل مأساة الميناء من الدكتورة أستر لافتزو من المشفى الأمريكي للنساء ، غير أن الدكتورة لافتزو لم تصل إلى مسرح المأساة سوى في الرابع والعشرين من أيلول بعد أحد عشر يوماً من نشوب الحريق وشهادتها لا تفيد سوى في دعم شهادات الآخرين .

كانت التفاصيل تختلف من يوم لآخر ، أما العناصر الأساسية فكانت هي ذاتها ، كان رصيف الميناء عريضاً وكان البؤساء محتشدين قدر المستطاع الواحد بقرّب الآخر حيث بقوا في أماكنهم من الواضح لأن ذلك الجزء من المدينة كان الأكثر أمناً من باقي المناطق .

كان بمقدور السفن الحربية في المساء أن تسلط على هؤلاء الناس أنوارها الكاشفة ، وعندما كانت النسوة يصرخن ، الأمر الذي كن يفعلنه كل مساء

كان بوسع الشخص أن يسمع الأنين ، والأصوات العالية لتلك النسوة والفتيات البائسات ، اللواتي كن يتحركن نحو أعلى وأسفل رصيف الميناء ... كان من غير الممكن مغادرة هذا المكان .

لو أنهم حاولن العودة إلى أطلال المدينة المحترقة لكان من الممكن أن يفقدن حياتهن ، لقد أصبح رصيف الميناء مجرور صرف صحي كريه الرائحة وأخيراً بدأ تفريغ الميناء في الرابع والعشرين من أيلول في اليوم الذي وصل فيه هناك في يوم ٢٤ أيلول كان هناك ثمانية سفن محملة باللاجئين وقد جاءت في ٢٥ أيلول سفينة قامت بالتحميل والمغادرة .

وفي ليلة السادس والعشرين من أيلول جاءت ١٩ سفينة لأخذ اللاجئين ومنذ ذلك اليوم ، كان عدد كبير من السفن يأتي يومياً حتى نهاية الأسبوع ويستطيع المرء القول بأن هذا الأسبوع كان أسبوع تفريغ إزمير من سكانها كانت الطائرات التركية قد مرّت فوق المنطقة ملقاة مناشير تقول، أنه بتاريخ ٣٠ أيلول سيتم تهجير الجميع إلى مناطق البلاد الداخلية ، رجالاً ونساءً وأطفال دون النظر إلى الجنس والعمر .

على كل حال كان قد تم على نحو مسبق ترحيل الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخمسين إلى مناطق البلاد الداخلية ، كان الجميع يعتبر الترحيل إلى المناطق الداخلية بمثابة الحكم بالموت .

في الحقيقة الأمر يتعلق بأشياء أكثر سوءاً من الموت ، حيث تسبق العبودية الموت بالنسبة للرجال أما بالنسبة للنساء والفتيات فتحدث أشياء أكثر سوءاً هذا وقد بدأت في السادس والعشرين من أيلول ١٩ سفينة بتفريغ المدينة من سكانها كان المشهد غير قابل للوصف .

كانت الجموع الكبيرة لهؤلاء الأشخاص البؤساء محتشدة في رصيف الميناء وفي محطة القطار للصعود إلى سفن النجاة ، تقريباً كان الجميع يحملون على

ظهورهم كل ما تبقى بجوزقم ، كان الكثير من هؤلاء يحملون على ظهورهم مرضى أو أطفال .

كان العديد من هؤلاء الناس قد عاشوا في هذه المدينة لسنوات عديدة فيما كانت عائلاتهم قد عاشت في هذه المدينة منذ عهد بولس الرسول الذي كان قد زارها للتبشير ، قبل وقت طويل من قدوم الأتراك من آسيا

كان تفكير هؤلاء الفقراء البائسين المتحشدين في رصيف الميناء منصّباً بلا شك على أنهم سيهجرون في الثلاثين من أيلول وكان أمامهم أربعة أيام فقط ليغادروا .

كانت هناك دعامة طويلة ممتدة في الماء ، وكانت المياه تشكل مثلثاً ، يبلغ عرضه تقريباً ربع أحد *مربعات المدينة كان في الماء مجموعة من الحيوانات الميتة ، هنا وهناك وجثث بشرية ، تجمعت جراء أعمال القتل التي حدثت ليلة نشوب النيران أمام مرأى الجميع .

كانت المياه تلقى بين الحين والآخر ببعض الجثث البشرية إلى الشاطئ وكانت الجموع تحتشد على طول الخط وتتواجد قبالة الجدران .

كان هناك جدار على مسافة ٢٠٠-٣٠٠ قدم في نهاية رصيف الميناء وجدار آخر في الحفرة التي يقع فيها خط سكة الحديد .

كان قد تم صنع ثلاثة جدران من جذوع الأشجار خارج الحفرة المعدة لخط سكة الحديد ، كانت هذه الجدران قد صنعت حتى يكون الجميع مجبرين للمرور من خلال المعابر الخمس وأن يجتازوا بين رتلين من الجنود الأتراك للتفتيش . وكان هذا يحدث لأن السلطات التركية لم تكن راغبة في ترك مجال المغادرة لأي رجل ، كما أنها أعطت في الوقت ذاته الفرصة للجنود حتى يقوموا بتفتيش النساء وسرقتهن .

* المقصود بمصطلح مربع هو منطقة سكنية محاطة بشوارع من جهاتها الأربعة .

كانت الجموع المتحركة تسقط من على الجدران الأمر الذي نجم عنه أمورٌ فظيعة خصوصاً للأطفال الصغار والشيوخ وخائري القوى

ليس بعيداً عن كتل الحيوانات الميتة والجثث البشرية كانت تطفو إلى الأمام والخلف جثث تلك النسوة البائسات اللواتي تم قذفهن نحو الماء .

كانت المياه ضحلة بالصدفة في ذاك الوقت ، في الصباح ، حيث كنت هناك كان ضحلاً إلى الحد الذي كان يصل فيه إلى منتصف قامة الرجال ، الذين كانوا واقفين داخلها، وكانت النسوة يحملن أطفالهن في أحضانهم ...

وكما كان طبيعياً ، كان هناك الكثيرات من الحوامل ... بين جموع المطرودين من منازلهم والمهجرين من الفظائع والنيران من سكان هذه المدينة البالغ تعدادهم ٣٠٠ ألف مقيم .

وقد صار كل هذا التدافع والضغط المتواصل وسط الزحام سبباً لولادات مبكرة قبل الأوان كانوا قد عهدوا إلى الاهتمام بشكل خاص بهذه الحالات فيما كنت واقفاً هناك تم دفع امرأة بائسة أثناء ولادتها المقلقة عبر البوابة تماماً في اللحظة التي أبصر فيها طفلها النور ، كان هناك مئات الحالات المماثلة ذلك الوقت .

في كل جهة من رتل النساء كان يقف جندي تركي وما أن يشاهدون امرأة تبدو عليها إمارات الثراء ، حتى كانوا يقومون بحرها خارج الرتل وتفتيشها. كانوا يفتشون جسمها بالكامل، ويرفعون فستانها وينظرون إلى جراباتها لكي يروا ما إذا كانت قد اخفت أية نقود حتى يأخذوها .

أقول الآن كل ما شاهدت بأم عيني وأستطيع أن أقسم بأن هذا كان حقيقة بعد ذلك كان يأتي دور الرجال ، كان أحد الجنود الأتراك يمسك أحدهم ويهمس بشيء في أذنه ، كان الرجل يضع يده في جيبيه ، ويخرج شيئاً من النقود ويعطيها للتركي ، الذي كان يدعه يتقدم .

على مسافة ٤٠ قدماً تقريباً كان تركي آخر يمسك الرجل ذاته ويجبره على إعطاء رشوة له هو الآخر .

كانت هذه العملية تستمر طالما كان لدى هذا الرجل نقود، والذي كان يشارك بعد ذلك الآخرين مصيرهم ، كان الرجل يجد نفسه أخيراً بين الجماعة ، المتوجهة إلى السجن .

شاهدت رجلاً في البوابة الأولى يقطع رقبة احتجاجاً ، لأنهم كانوا يأخذونه إلى السجن، إلى أسفل قليلاً من رتل الرجال شاهدت أحد الشبان ، الذين كانوا قد وثقوا يديه خلف ظهره يبدو أنه كان هناك سبب خاص لكي يقبضوا عليه ويوثقوا يديه فما أن أتيت له فرصة الانتحار حتى قفز إلى البحر وغرق جاءت فتاتان مع امرأة عجوز ، والتي يبدو أنها كانت أهمهما سقطت المرأة العجوز من الإنهاك... ركعت الفتاتان بجانبها ،قامتا بعلامسة جفونها بدقة وتقبيل أياديها ثم قامتا بأداء الصلاة ولفتتا انتباه كل المتواجدين هناك بالحنان ، الذي أظهرته كفتيات جيدات لأمهما .

لا أحد يشك بأنهم سوف لن يرموها في الماء ...

كان قد تم رمي أطفال صغار دون حماية أسفل رصيف الميناء المعد للركاب والبضائع وهكذا غرقوا .

كانت هذه المخلوقات البائسة هناك منذ الثالث عشر وحتى الخامس والعشرين من أيلول .

وقد بقيت الحالة كما هي في السابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين من الشهر .

كانت عملية التزود بالطعام شيئاً مختلفاً لأنها كانت تحدث ازدحاماً مخيفاً وبسبب القلق من الموت جوعاً لم يكن بمقدور الجموع أن تتمالك نفسها

كن حتى عندما كانت السفن تصل ما كانوا يعطوهم الطعام ، لم يكن لدى السفن طعام ،حيث كان يتم نقل اللاجئين وتفرغهم هناك كقمامة...

كان هذا أكثر الأمور فظاعة في رصيف الميناء ، عائلات مكونة من خمسة أو ستة أشخاص كانت هناك ،أو على العكس كان من الممكن أن يكونوا رجلاً أو امرأة ، أو أم وطفل ، أخ وأخت .

في أحد المعابر خطف أحد الجنود أحد الرجال ،فيما تعلقت به امرأته متوسلة إليهم أن يدعوه يذهب معها .

كان يتم خطف الأطفال من أمهاتهم عندما كان يحاولون فصلهن عنهن وفيما كانت النسوة يذهبن إلى السفن كان الجنود يقولون لهم باستمرار (اذهبن من هنا فلتضعن) ! .

كان الجنود يضربون الرجال والنساء بالسياط وبأخص البنادق كانوا يفصلون أثناء ذلك دون استثناء أفراد العائلات .

في إحدى الحالات كانت إحدى الأمهات تحاول التمسك بابنها البالغ من العمر خمسة عشر عاماً فيما كانوا يأخذونه نحو السجن مهما يكن فإن الجنود كانوا يلقون القبض على الرجال بين الخامسة عشر والخمسين سنة لدى الأتراك دعاء لغير المؤمنين ، يقول: فلتصبح نسائهم أرامل وأطفالهم يتامى .

وقد تحقق هذا الدعاء في رصيف الميناء المعد للركاب والبضائع لأن الأتراك قاموا بأخذ الآباء وهكذا خلقوا أرامل ويتامى والآن تتواجد النساء والأطفال في الجزر اليونانية .

بلا شك ،فإن العديد من هؤلاء سيموتون من الأمراض السارية والجوع فيما تم إرسال الرجال ليجدوا الموت في مناطق آسيا الصغرى الداخلية كان كمال قد أعطى أمراً ،حدد فيه الوضع بدقة .

حيث سيتم بموجبه تهجير كل الذكور ، اليونانيين والأرمن من سن السابعة عشرة وحتى الخامسة والأربعين (تقول الدكتورة لافتزو من سن الخامسة عشرة وحتى الخمسين ، ولكن أعتقد أنها تخطئ) إلى داخل البلاد ليقوموا بالخدمة في مجموعات العمل التركية التي هي ببساطة لإطالة أمد الشقاء الذي يتبعه الموت ، بعد ذلك ، وجب نقل كل ما تبقى من اللاجئين الذين لم يكونوا ينتمون للفئة المذكورة أعلاه ، إلى اليونان حتى الثلاثين من أيلول

وإلا فإنهم كانوا سيشاركون من سبقوهم المصير ذاته وكانوا سيرسلون إلى مجموعات العمل بصرف النظر عن جنسهم وعمرهم .

باستمرار وبعد طلب الـ (نير إيست ريليف) وآخرين أعطيت مهلة تحديد للفئة الثانية حتى الثامن من تشرين الأول وأعطى أمر آخر والذي وجب وفقه على كل الأرمن واليونانيين مغادرة الأناضول خلال ٣٠ يوماً ، فالأمر يتعلق بتصفية كاملة هذا وسوف لن تعرف القصة الحقيقية لـ ١٦٠ ألف رجل ، الذين تم فصلهم عن عائلاتهم وسوقهم إلى داخل البلاد تحت إشراف الأتراك . فالستار الذي يغطيها يرتفع ليكشف عن إحدى كتائب العمل بعيداً في الجبال في الطريق من إزمير إلى القيصرية التي تتقدم تاركة في سيرها سلسلة طويلة من الموتى ، ورجالها المرضى وجرحاها باستمرار ، أنصاف عراة وموتى من الجوع حيث يتم دفعهم بلا شفقة بالسياط التركية حتى يسقط هؤلاء مرحبين بالهدوء الذين يقدمه لهم الموت أو أن يصل باقي المرافقين ، إلى مكائهم المنشود وقد انخفض عددهم من عدة آلاف إلى مئات . يكفي فقط القول أن عذابهم كان طويل الأمد وأنه مات هؤلاء الذين كانوا يمثلون نخبة الذكور من مجموع الأقليات المضطهدة .

كان هدف الحكومة التركية ببساطة إبادةهم ، وقد تم اتباع هذه السياسة كنتيجة منطقية، وقد تلا الأمر الحديد لكمال بتهجير الأرمن واليونانيين في عموم الأناضول سرقة ونهب منظم لكل منازل هؤلاء ومحالهم .

بدأت تقارير في الوصول من كافة مناطق آسيا الصغرى تشير إلى حصول وفيات جماعية للأرمن واليونانيين من الجوع ومن سوء المعاملة .

هذا وقد وردت برقية إلى الـ ((نيرايست ريليف)) في الرابع عشر من كانون الأول في نفس الوقت بالضبط الذي كان مندوبو الدول الكبرى الغربية مجتمعين فيه مع الأتراك في لوزان تشير إلى وصول ٥٠ ألف لاجئ أرمني من الأناضول إلى مدينة حلب ، فيما كان آلاف آخرين موجودين في الطريق إلى هذه المدينة ، كانوا كلهم جرحى وعراة حيث كانوا قد تعرضوا لأعمال النهب كما تعرضت الفتيات للاغتصاب ، حالة يؤس لا توصف انتهت إلى ذلك تلك البرقية .

لقد تكلمنا عن أحداث إزمير ، فلجنة تقديم الرعاية والحماية الأمريكية الـ ((نيرايست ريليف)) ومختلف مؤسسات الحلفاء والبحرية كانوا قد عملوا الأعاجيب أثناء فترة تفريغ المدينة من ٣٠٠ ألف لاجئ الذين تم إبعادهم من هناك .

أخيراً تم إعطاء الأمر لاستخدام السفن اليونانية وقد فعلت الحكومة اليونانية كل ما بوسعها للمساعدة على تفريغ المدينة .

على كل حال الأمر الأكثر أهمية هو أن اليونان فتحت الأبواب على مصراعيها واستقبلت المطرودين من منازلهم ، سواصل سرد قصة هؤلاء البؤساء في الفصل التالي .

فلنكتفِ بالقول هنا بأن لا أحد من هؤلاء توقفت آلامهم هنا .
على نحو إجمالي فإن أكثر من ١,١٥٠,٠٠٠ لاجئ طردوا من منازلهم
وممتلكاتهم وهجروا من البلد الذي عاشوا فيه لقرون عديدة كي يجدوا أي
ملجأ ممكن في اليونان وجزر بحر إيجه . !

إن إزمير اليوم مهتمة . من المحتمل أنه ستمر سنوات قبل إعادة بنائها ،لأن
هؤلاء الذين كانوا قد بنوها كما كانت ،هم أموات أو موجودون في المنفى
وطالما بقيت هذه الأطلال هناك لا يوجد ضرورة لإشادة نصب للتذكير
بالجريمة الكبرى التي أشرت على نهاية الحضارة الغربية في تركيا، وبتفحص
قضية دمار إزمير هناك نقاط كافية تظهر بشكل جلي .

حيث كان قد تم إخطار القوى العظمى بما هو مرتقب حصوله حتى عندما
كان الأتراك يرفضون ما هو مرتقب أن يفعلوه إن كل ما جرى هو معروف
في الحقيقة وقد تم تدوينه في التاريخ، وعلى الرغم من معرفتهم بكل ما
عرفوه ،فإن القوى العظمى لم تقم بأي محاولة لمنع الأتراك .

لو أن الحكومات أمرت السفن الحليفة في إزمير بالتحرك لما كان هناك من
مذابح ولما تم حرق إزمير ،كان بوسع الطرادات البحرية الأمريكية الأربع
وحدها أن تنقذ الوضع لو سمح لها القيام بذلك .

الإجابة الرسمية على هذا هي أن تدخلاً كهذا كان يمكن أن يعني الحرب مع
تركيا .

أن نقول أنه قامت حروب لأسباب أقل نزاهة بكثير ،سيكون مثلما نقبل
منطق العذر الذي تم عرضه .

بوسعنا مواجهة المسألة بشكل فعال ،مشيرين إلى أن الحكومة الوطنية التركية
كانت بحاجة أكبر إلى أصدقاء في صفوف الحلفاء أكثر من حاجتها إلى

أعداء ، ولو أنه قد طلب منها الشروع بالحاح في الحرب بطريقة أكثر حضارية لكانت ربحت أكثر بكثير مما تخسر لو أنها تكيفت مع الأمر .

لم يكن هناك محاربون في إزمير في التاسع من أيلول وإن كل ما جرى كان بسبب الفجور والظلم ، كان كمال قد قرر بالتالي وجوب كون إزمير مدينة تركية بلا جدال وأكثر الطرق اختصاراً هي النجاح في تدمير الحي اليوناني والأرميني والأوروبي فضلاً عن أنه لم يكن لدى كمال طريقة أخرى يكافئ بها قواته سوى أعمال السلب . تلك هي تقاليد الأتراك أو المغول أن يصاحب الحرب أعمال السلب . أخيراً ولكي يتم إخفاء آثار القتل والسلب الجماعي تم إحراق المدينة على نحو جائر .

لقد واجهت الحكومة الوطنية التركية الدول الحليفة بوقاحة وازدراء . فقد كان الأتراك يعرفون جيداً ما يريده الحلفاء وعرفوا أيضاً أنه طالما كان الطعم يتأرجح أمام أعين الحلفاء فإنهم - الأتراك - سيكونون في مأمن من تدخلات خارجية .

إن صحة توقعاتهم بالكامل يبدو واضحاً من واقعة مرور مجرد ثلاثة أشهر بعد حرق إزمير حتى يكونوا في وضع من يجلس مع القوى العظمى على طاولة المؤتمرات والتفاوض من أجل منح امتيازات اقتصادية .

من جهة أخرى ، بما أنهم تابعوا بلا مبالاة تدمير مدينة إزمير وقتل الأقليات المضطهدة وتهجيرها ، فإن القوى العظمى وعلى رأسهم فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية وإلى درجة معينة إنكلترا ، عملوا كل ما بوسعهم لتغطية الأتراك .

ولا واحدة من هذه الدول الحليفة أعطت للرأي العام علانية المعلومات الحقيقية ، التي كانت بحوزتها ، وقد جرت محاولة في البداية لإظهار الأمور بدرجة أقل خطورة مما هي في الحقيقة .

وقد قيل في البرلمان الفرنسي أنه لم تجرِ مذابح بتاتاً وأن مسؤولية نشوب الحريق تقع على عاتق اليونانيين والأرمن .

وقد حافظ الأميرال بريستول ، ممثل البحرية والمندوب السامي للولايات المتحدة الأمريكية في تقاريره على الموقف ذاته تقريباً :

لقد عمل الأتراك كلما كان ضرورياً ، كانت هناك شكوك قوية بخصوص من قام بإشعال النيران ، كما أن الفظائع كانت ذات طابع محدود وهلم جرا . وقد تم إخطار شهود عيان ، الذين عرفوا الحقيقة ، سواء في فرنسا أو إيطاليا بأن أفضل ما كان عليهم فعله هو أن يصمتوا .

لقد تم بذل كل جهد لإخفاء الحقيقة عن العالم لما حصل ، لماذا ؟ لأن حكومات الدول الحليفة كانت تعرف أنه ، خلف دولها تقف المصالح الاقتصادية ، التي كان سيتم تخديمها على نحو أفضل بالمحافظة على علاقات صداقة مع تركيا أياً كان الثمن ، أيضاً لأنهم عرفوا لو أن الشعوب التي يفترض أنهم يمثلونها عرفت الحقيقة يوماً ، كامل الحقيقة ، لكانت ضغطت عليهم ليتدخلوا ، عندئذ لما كان هناك لديهم أمل للاشتراك في الغنيمة ، ولما كان هناك أمل في التوقيع على أية معاهدة ((للسداقة والتجارة)) ، كنتلك التي تم التوقيع عليها بعد أقل من ١٢ شهراً لاحقاً بين تركيا والولايات المتحدة الأمريكية ، كانت طاولة المفاوضات أمامهم وكان كل الذين كانوا أصدقاء لتركيا سيأخذون حتماً أكثر من أولئك الذين كانوا أعداء لها فإذا كنت تدعي صداقة تركيا فالأمر مفيد .

كان الثمن المقابل للصداقة بين الأتراك ودول الغرب هو تدمير الحضارة الغربية في آسيا الصغرى ، وقتل ١٠٠ ألف من الأشخاص الأبرياء ، بالإضافة إلى نفي أو تهجير ١,١٥٠,٠٠٠ آخرين ، واستعباد ١٦٠ ألف شخص ، وحرق مدينة إزمير ، وخيانة اليونان ، والتضحية بالاستثمارات الأمريكية

الإنسانية في آسيا الصغرى، إنه وصمة عار لا تمحى في جبين هذه الأمم ،هذا كان الثمن المقابل الذي تم دفعه ،يستحق الذكر أن ننتبه بشكل خاص للموقف الأمريكي .

فقد تم حرق القنصلية الأمريكية ،كذلك مبنى اتحاد الشبان المسيحيين الأمريكان ،والمبنى المركزي للمعهد الأمريكي ،كما تعرض المعهد الدولي الأمريكي للذكور لنيران الجنود الأتراك وتم حرقه ،وتم نهب منازل تخص مواطنين أمريكيان عليها العلم الأمريكي ،كما تم سلب أحد ضباط الصف الأمريكيين وتم نزع بدلته وضربه بالعصي ، وتم إطلاق النيران على بحارة أمريكيان بزيهم الرسمي ، وديست قدسية العلم الأمريكي بالأقدام ... وماذا حدث لقاء هذا ؟ لا شيء .

لقد فضلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تلقي كل هذه الأعمال العدوانية والمهانة بلا مبالاة كاملة في ذلك الوقت وتجاهلت هذه الأمور ، حيث كانت السياسة الخارجية التقليدية للولايات المتحدة وجميع الدول الأخرى ترفض دائماً بالكامل قبول أية أعمال إهانة من قبل الدول الأخرى ،إذا لم تقم الدول الأخيرة بتصحيح ما قامت به وتقدم الاعتذار في نفس الوقت عما بدر منها .

أن تغيراً واضحاً إلى هذا الحد من سياسة معتمدة منذ أمد طويل يشير إلى عدم قدرة القوى العظمى على حماية أنفسها أو عدم رغبتها في فعل ذلك شخص ما ،كان يحمي ولسنوات عديدة نفسه ، وكرامته وممتلكاته ، يخضع فجأة على نحو سلمي للسرقة والاعتداء والإذلال ،إن هذا يفسر الكثير وهذا بالضبط ما تجد الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فيه .

كان بوسعها أن تحمي ممتلكات مواطنيها ، وزرعي بحارتها ،والقنصلية وعلمها ،ولكنها لم تفعل ،كان بوسعها أن تحمي الأشخاص الذين اهتموا إلى

الحضارة حديثاً والذين ساهم الرأي العام الأمريكي في هدايتهم إلى حد بعيد غير أنهم لم تفشل فقط في حماية هذه الوديعة المقدسة، لكنها علاوة على ذلك أقامت أوثق الصلات مع المعتدين بدلاً من أن تطلب لاحقاً تصحيح ما قامت به ، فعلى الرغم من أن الطرادات الأمريكية كانت قد قصفت *فيراكروز بعد استفزاز إلا أن الأسباب الداعية لذلك كانت أقل من هذا بكثير .

كذلك كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد قامت عام ١٩٢٣ بإرسال مذكرة إلى الصين تحوي تقريباً طلبات مهينة بعد قتل أحد الأمريكان بالصدفة من قبل عصابة لصوص . كانت المذكرة تطلب تقديم اعتذار رسمي إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ومعاقبة وتسريح كل الضباط المسؤولين عن ذلك ودفع تعويض لعائلة الضحية .

غير أنه لم يتم إرسال أي مذكرة مماثلة لتركيا ، على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تعرضت من قبل هذه الدولة إلى إهانة أكبر بكثير من تلك التي كانت الصين قد تسببت بها .

كانت سياسة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أثناء تدمير مدينة إزمير وبعد ذلك هي فريدة في تاريخ الأمة لقد قامت هذه السياسة بخرق المقدسات وتقاليد الشرف والكرامة الوطنية .

إن كل استثناء مفاجئ في كل قاعدة يستوجب التفسير .

لقد تمكنت وزارة الخارجية حتى اللحظة من التملص ، ولكن من الجدير بالذكر أنه في الأشهر العشر ، التي تلت الأحداث ، قامت الحكومة التركية بانتصديق على الامتيازات ، التي كان قد تمت الموافقة عليها مع نائب الأميرال تسيستر من البحرية الأمريكية الذي تلقى أمراً في اجتماع لوزان

* مدينة مكسيكية على ساحل خليج المكسيك.

بالتفاوض على عقد معاهدة ((صداقة وتجارة)) مع تركيا، وقد تم التوقيع على هذه المعاهدة غير أنه لم يتم التصديق عليها بعد .

هذا وكانت الاستثمارات الإنسانية الأمريكية في آسيا الصغرى التي دفعت وتم الحفاظ عليها من قبل العامة الأمريكيان على هيئة مدارس ومعاهد ومشافي وملاجئ، تمثل استثماراً إجمالياً بقيمة ٥٠ مليون دولار قد دمرت بالكامل ونمت إبادة العامة التي كانت تقوم بخدمة هذه المؤسسات أو تم تهجيرها في شتى أرجاء المعمورة .

لقد دعي عامة الأمريكيان للتخفيف من آلام ضحايا هذا الطوفان الذي لا يصدق تقريباً . وكانت الكمية الإجمالية، التي خصصها هؤلاء العامة من أجل أعمال الرعاية الصحية والاجتماعية في الشرق الأدنى، تصل إلى ٨٦ مليون دولار، وما كان سيتم صرف ولا سنت من الـ ٨٦ مليون هذه . ولا حتى سنت من الـ ٥٠ مليون الأولى كانت ستذهب هباءً، لو لم تكن سياسة الاقتصاد الإمبريالية، التي قادت الدول ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية هو أن تتابع في البدء دون احتجاج واحدة من أكبر الجرائم في التاريخ وأن تقوم بعد ذلك بحماية الجرم .

كان لدى الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مؤسسات خيرية في إزمير، كان قد تم إنشاؤها والحفاظ عليها من أموال العامة الأمريكيان، وقد تم إحراق اثنتين من هذه المؤسسات وتعرضت الثالثة للنهب على نحو جزئي .

كما تم أيضاً حرق القنصلية الأمريكية، التي كانت ملكية خاصة، حيث قاموا في البدء بسكب البترول في الطريق أمام القنصلية، كما تم أيضاً تدمير مؤسسات تجارية أمريكية ومعها محلات للـ ((نيرايست ريليف))، كان قد تم شراؤها من أموال التبرعات العامة الخيرية في أمريكا، وكان المبنى الوحيد الأمريكي ذو القيمة، والذي تم إنقاذه يقع على بعد ميل من إزمير، يعود

لنشاطات شركة ((استاندرد أوليل)) ، حيث تم حمايته من قبل بحارة كانوا قد نزلوا خصيصاً لهذا الهدف .

قبل وقت قليل ، كانت المدينة البلجيكية الشهيدة بالنسبة لنا رمزاً لنتائج الروح العسكرية العدوانية، أما اليوم فإن أطلال مدينة إزمير تُعرضُ لنا كرمز لنتائج الإمبريالية .

الفصل الثالث

الأقليات القومية اليوم

بعد تدمير إزمير في أيلول عام ١٩٢٢ والأمر الذي أعطته الحكومة الوطنية التركية في الشهر التالي، والذي نص على وجوب مغادرة جميع الأرمن و يونانسي الأناضول خلال ثلاثين يوماً ، فإن مصطلح ((الأقليات القومية)) صار مرادفاً لمصطلح ((اللاجئين)). منذ ذلك الحين أصبح هذين المصطلحين شيئاً واحداً. وستصبح الحالة أكثر وضوحاً على نحو قليل لو قسمنا اللاجئين إلى ثلاثة أنواع :

هؤلاء الذين غادروا أو هجروا من آسيا الصغرى قبل تدمير إزمير ، وهؤلاء الذين غادروا أثناء التدمير أو في الأسابيع التي تلت ذلك ، وهؤلاء الذين تم اقتيادهم إلى داخل البلاد ووقعوا بالكامل بين أنياب الأتراك. يجب ألا نضع في اعتبارنا فقط آسيا الصغرى .

لقد ألقت منطقة تراقيا الشرقية ، بكامل سكانها في أحضان الوطن* الأم لدى انسحاب القوات اليونانية منها في تشرين الأول عام ١٩٢٢، وقد جاء اللاجئين إلى اليونان من كل الأماكن والجهات ، حيث قام مكتب جوازات السفر اليوناني في إستانبول في ١٢ تشرين الأول فقط بمنح تأشيرات دخول إلى اليونان لـ ٣٢ ألف لاجئ .

مع أن القلة من الناس يعرفون بشكل عام أن الحكومة الوطنية التركية تواصل منذ وجودها في ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٢٠ ، سياسة إبادة منظمة تجاه الأقليات ، فقد وصل إلى اليونان منذ عام ١٩٢٠ ٤٦٠ ألف لاجئ من آسيا الصغرى ، ومنطقة تراقيا والجزر الإثنا عشر . كما استقبلت اليونان في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ ٩٠ ألف لاجئ فقط من الأراضي التركية .

* المقصود بالوطن الأم هنا هو اليونان .

سيكون بوسعنا الحديث عن قصص لا تحصى عن الأحوال الفظيعة ، التي جرى فيها هذا التهجير الجماعي ، لكن بعض الأمثلة هي نموذج لما جرى للمجموع . ما سيتم ذكره أدناه صادر من تصريح للرائد ف. د. يويل من الـ ((نيرايست ريليف)) يتم التطرق فيها للظروف ، التي كانت سائدة عام ١٩٢٢ حيث يقول :

((إن السياسة التي أتبعها الأتراك إزاء اليونانيين الذين هجروا أو الذين يستمر تهجيرهم عبر سيواس - خاربوط - ديار بكر - من شاطئ البحر الأسود ومنطقة قونية كانت سياسة إبادة... حيث يقدر عدد الذين وصلوا إلى سيواس بـ ٣٠ ألف لاجئ، مات منهم في الطريق نحو خاربوط ٨ آلاف وبقي ألفان في ملاطية... ومات ألفان لاجئ في خاربوط الشتاء المنصرم. ولازال قرابة الـ ٣ آلاف لاجئ موجودين في خاربوط ومزره أو أنهم موزعون في القرى المجاورة .

وتم إرسال الـ ١٥ ألف الآخرين نحو ديار بكر وحسب رأيي ليس مصادفة بسيطة أن يتم اختيار أيام ثلجية عاصفة مخيفة لترحيل هؤلاء الناس ، الذين كان ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال الذين تم إجبارهم على السفر دون أطعمة أو أغذية تقريباً بين جبال لا يمكن الاقتراب منها والتي لم يكن بالإمكان إيجاد ملجأ فيها... وقد مات في الطريق ٣ آلاف من الـ ١٥ ألف الذين أرسلوا إلى ديار بكر وألف في ديار بكر .

لم يكن لديهم مأوى وكانوا محبرين على النوم في العراء ، وسط البرد المخيف دون فراش أو أغذية، وعندما كانوا يمرضون كانوا يموتون دون علاج طبي .

وقد قام أحد الأمريكان بإحصاء ١٥٠٠ من اليونانيين المتوفين في الطريق بين ملاطية وسيواس في كانون الأول المنصرم عام ((١٩٢١)) وهكذا مات

فقط في هذه المنطقة أثناء أشهر الشتاء ، ١٤ ألف من الـ ٣٠ ألف الذين أمكن جردهم بسبب الأحوال الجوية والمعاملة السيئة .

وما حدث في هذه الحالة ، حدث بفروقات طفيفة في حالات أخرى. وحتى أيلول عام ١٩٢٢ ، كان قرابة الـ ٩٠ ألف لاجئ الذين وصلوا إلى اليونان بوضع آمن نسبياً. وسوف لن يعرف بالضبط كم هو عدد الذين ماتوا في طريق المنفى ، ولكن إذا أخذنا كقاعدة مثال خاربوط - سيواس - ديار بكر ، فإن مجموع الموتى يجب أن لا يقل عن الـ ٤٠ ألف .

وقد وقعت في ذلك الوقت أحداث إزمير وتم إعطاء الأمر الأخير بطرد هؤلاء وقد استقبلت اليونان من عام ١٩٢٢ وحتى آذار من عام ١٩٢٣ ١,٠٦٠,٠٠٠ لاجئ عدا الـ ٩٠ ألف الذين كانوا قد التجؤوا إلى هناك أصلاً. وهكذا بلغ مجموع اللاجئين الذين وصلوا إلى اليونان في ربيع عام ١٩٢٣ ١,١٥٠,٠٠٠ شخصاً .

وبالقائنا الآن نظرة على المجموعة التي تم تهجيرها في الفترة الزمنية الأولى من آسيا الصغرى، سنتطرق إلى أولئك ، الذين جاؤوا من تراقيا وآسيا الصغرى بعد سقوط مدينة إزمير .

إن السرد الذي يلي هو لـ مارتن.خ. دنوخو من جريدة ((ديلي كرونيكال)) الصادرة في لندن حيث يقول:

كانت مجموعات اللاجئين تمتد في خط طوله ١٥ ميل نحو شرق أدريا نوبول كانوا يتقدمون ببطء شديد ، مسافة ميل تقريباً في الساعة . وقد شاهدت أمهات بائسات بأقدام مجروحة ، وأطفال يتعلقون بشياهن ، يقطعون ببطء وبجهد المسافة التي لا تنتهي ، والتي تفصلهم عن أدريانوبول . وقد ألحقت الأمراض أذى كبيراً بين هؤلاء الهاربين بسبب الانعدام التام للمواد الطبية .

ولدت النسوة على حافة الطريق ، وقد تحولت محطة قطار أديانوبول إلى دار للتوليد بسبب حالات الولادة الكثيرة... شاهدت البارحة مساءً آلاف اللاجئين وهم ينتظرون على الشاطئ معرضين للرياح العاتية قدوم السفن لكي يأخذوهم إلى اليونان... يبدو أن نسبة وفيات الأطفال عالية المسؤولين الرئيسيون هم الحلفاء الذين يخضوعهم لأوامر كمال ، أمروا بإتمام مغادرة اللاجئين خلال شهر . كانت جموع الأتراك تتابع السكان المهجرين ، وهم يغادرون سيرا على الأقدام . لقد تم تفريغ تراقيا من اليونانيين وأصبح الأتراك في أوروبا ثانية . كان الرئيس روزفلت قد قال بعد انتهاء الحرب العالمية : ((سيكون من الخيانة أن نترك الأتراك في أوروبا)).

لقد تخلصت أوروبا من الأتراك - كانت هناك آمال بأن هذا كان أمراً نهائياً - في عام ١٩١٨ بعد أربعة أعوام أي في عام ١٩٢٢ انقلب كل شيء ورجع الأتراك ثانية .

إن أكثر من مليون لاجئ ، الذين يعيشون اليوم ، يدينون بحياتهم إلى ضيافة الحكومة اليونانية وسخاء العامة الأمريكان . كانت اليونان ، هي التي استقبلتهم عندما بدا أنه تم التخلي عنهم من كل أمة أخرى وقد أعطتهم اليونان المأوى وقدمت لهم الرعاية الصحية والاجتماعية منذ ذلك الحين بتضحيات كبيرة وبأقل قدر من المساعدة الخارجية . على كل حال ، فإن العامة الأمريكان هم الذين قاموا عبر الـ((نير إيست ريليف)) والصليب الأحمر بإمدادهم بالطعام واللباس وقد ساعدوا قدر المستطاع في علاج كل الذين كانوا مرضى وجرحى أثناء فترة تهجيرهم وقاموا بالتعاون مع اليونان بالاهتمام بهم في معسكرات اللاجئين حيث يتواجدون حتى اليوم .

لم يكن هؤلاء اللاجئين يونانيين فقط ولكنهم كانوا يضمون في صفوفهم ١٠٠ ألف أرمني و٩ آلاف شركسي وألف آشوري تم نقلهم إلى اليونان وجزر بحر إيجه تحت إشراف أمريكي .

وبالتالي ، وباعتبار أن أمريكا هي مسؤولة ، إلى حد كبير عن وجود هؤلاء اللاجئين حيث هم موجودون ، فإنها مسؤولة أيضاً عن الاهتمام بهم حتى لا يتم تركهم دون مصدر عيش فيموتوا من البؤس . فقد تم الاتفاق تحت رعاية رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، بين الـ ((نير إيست ريليف)) والصليب الأحمر على تحديد نشاطاتهم الأولى في آسيا والثانية في أوروبا .

وباعتبار أن اليونان هي دولة أوروبية فإن مسؤولية رعاية اللاجئين بعد وصولهم هناك تقع على عاتق الصليب الأحمر وقد اهتمت الـ ((نير إيست)) بعمل الرعاية في آسيا ونقل اللاجئين إلى أوروبا .

قبل أن أتطرق إلى معسكرات اللاجئين ، فليسمح لي بإضافة مشهد أخير لتفريغ آسيا الصغرى .

الفقرات التالية هي كل ما شاهدته ايتيل تومبسون ، الموظفة السابقة لدى الـ ((نير إيست ريليف)) في أعوام ١٩٢١ و ١٩٢٢ حيث تصف الآنسة تومبسون أولاً :

((الأرتال البشعة للهياكل العظمية لليونانيين الجائعين ، التي تجر أقدامها على طول الأناضول ، عبرت مدينة خاربوط ، بعيونهم الزجاجية الخارجة من تجاويفها ، وعظامهم المغطاة فقط بجلودهم ، وأطفال أشبه ما يكونون بالهياكل العظمية مربوطين على أكتاف أمهاتهم ، اللواتي كنّ مجبرات على السير بدون توقف بدون الطعام ، والحاجات الضرورية واللباس إلى أن يسقطن موتى ، فيما كان الجندرمة الأتراك يدفعونهنّ ببنادقهم ، كي يسرن بسرعة أكبر . وبعد ذلك :

بوصولنا إلى خاربوط ، وجدنا المدينة مليئة بمرضى يتضورون جوعاً ، من الرجال والنساء والأطفال اليونانيين ، الذين ، كانوا في الحقيقة أطلاقاً بشرية . كان هؤلاء الناس يحاولون عمل حساء من الأعشاب ، وقد اعتبروا أنفسهم محظوظين عندما وجدوا أذن أحد الخوارييف ليلقوه داخل الحساء على الرغم أن الأذن هو الجزء الوحيد من لحم الحيوان الذي يتم رميه في الأناضول . لم يكن الأتراك قد أعطوهم أي طعام طوال مسيرهم البالغ ٥٠٠ ميل من صامصون . كان بوسع كل الذين لديهم أموال أن يرشوا الحراس من أجل إعطائهم الطعام أو أن يشتروا ذلك في الطريق إلى أن يقوموا بسرقتهم ، وكان كل الذين لم يكن لديهم أموال يموتون في الطريق .

لم يكن مسموحاً لهم في أماكن كثيرة شرب الماء ، على الرغم من عطشهم تحت أشعة الشمس اللاهبة إلا إذا دفعوا نقوداً لذلك . وكانت محطات الـ ((نيرايست ريليف)) تحاول تزويدهم بالخبز فيما كانوا يمرون من القيصرية وسيواس ، لكن الكمية التي كان بوسعهم حملها كانت صغيرة . سيكون الأمر أكثر إنسانية بكثير لو تم رميهم بطلقة بدلاً من إعطائهم الخبز لأنهم كانوا سيلقون الموت عاجلاً أم آجلاً .

وعندما ماتت امرأة كان معها طفل ، أخذوا الطفل من بين أيديها التي لا روح فيها ، وأعطوه لإمرأة أخرى واستمرت المسيرة المخيفة . كان الشيوخ والرجال المكفوفين يسرون بصحبة أطفال صغار كأدلاء لهم . كان المشهد بأكمله يشبه مسيرة جثث ، مسيرة موت على طول الأناضول التي استمرت طوال الصيف .

وقد اختار الأتراك في وقت كان فيه طقس الشتاء قارساً ، والريح التي تهب مسعورة والعاصفة الثلجية تعمي الأبصار ، ذلك الوقت لإجبار اليونانيين على متابعة مسيرهم ، لقد هلك الآلاف بين الثلوج . كان الطريق الممتد من

خاربوط وحتى بتليس مغطى بالجثث. وقد شاهدت نساء ذوات شفاه شفافة ، لم يكن يبدو عليهن أي مظهر إنساني. كانوا كظلال هيا كل عظمية وكانت الطرقات التي مرت بها النساء والأطفال تسمح فقط بعبور البغال، هناك شهادات تؤكد الشهادة السابقة وهي صادرة عن شهود ذوي السمعة الحسنة . وبوسع هذه الشهادات أن تملأ مجلدات. فالأمر المؤكد والذي لا مجال للشك فيه هو أن تهجير الأقليات المضطهدة من تركيا يعتبر من أكبر وأقذر الجرائم التي حدثت في التاريخ على الرغم من أنها وصلت إلى ذروتها في عصرنا المتحضر بعد خمس سنوات فقط من الحرب ، التي كانت ستجعل العالم واحة أمن للديمقراطية ! .

إن كل ما سردناه لم يحدث في العصور الوسطى ، بل اليوم. لم يقم بها حنكيز خان بل كمال، وقد تابعت الأمم (المتحضرة) هذه الجريمة وسمحت بحصولها.

إن الـ ١,١٥٠,٠٠٠ الذين وصلوا أخيراً إلى اليونان والـ ١٤٠ ألف تقريباً الذين من المنتظر نقلهم من آسيا الصغرى، يمثلون هؤلاء الذين كانوا معروفين في وقت ما كأقليات قومية .

تذكروا أن الأحوال لازالت حتى ١٤ آذار عام ١٩٢٣ ، كما وصفها في برقيته من إستانبول السيد زاكيوس من الـ ((نيرايست ريليف)) :

في الميناء ، حيث احتشدت ٢١ سفينة حربية لسبعة دول مختلفة ، توجد سفن مكتظة لنقل اللاجئين من آسيا الصغرى ، الذين ينتظرون على مدى أيام حتى يصعدوا إلى السفن ...وعلى الشاطئ كان هؤلاء الذين وصلوا بسفن سابقة ، قد احتشدوا في مبانٍ ضخمة دون أبواب ، دون نوافذ ، تحت أسقف يتسرب منها الماء، وضمن ظروف لا يمكن وصفها .

سواءً على السفن ، أو على الشاطئ فإن الملاريا والتيفوئيد والدوسنتا ريا وذات الرئة قد خرجت من نطاق السيطرة ... هذا وإن ستين بالمئة من كل الذين هم على قيد الحياة يصلون هنا مرضى من هذه الرحلة في السفن القدرة والممتلئة تماماً .

أيضاً ما هي الحالة التي كانت سائدة هناك بالنسبة للاجئين الذين كان عليهم أن يسافروا إلى اليونان ، حيث ملاذهم الأخير ؟ فقد قامت الدكتورة لافترو من مشفى النساء الأمريكي بإرسال البرقية التالية من أثينا بتاريخ ١٤ شباط عام ١٩٢٣ حيث تقول :

((إن أحوال اللاجئين هنا لا توصف ، اللاجئون بصورة خاصة نساء وأطفال دون وطن، مطرودون من كل العالم يتم اقتيادهم هنا وجلبهم كحيوانات ، يحتشدون هنا وفي حجرات رطبة صغيرة قدرة ، مبللين ومتجمدين ، جائعين ، مرضى ، دون طعام وماء ، وفراش ، ودون أي ثياب ، هبة الموت المباشر التي يتم كبجها . فاليونان مستعدة ، ولكنها غير قادرة على التجاوب مع متطلبات الحالة ، هذه الحالة التي تدعو للأس)).

والحقيقة هي أن اليونان كانت قد أتهكت على وجه الدقة من الزيادة الكبيرة التي طرأت على تعداد سكانها ، كانت الحالة تتجاوز إمكاناتها بالكامل. لم يكن لدى اليونان الطعام ، واللباس ، والمأوى الكافي لتغطية حاجة هذا العدد الضخم من الجموع البشرية ، التي كانت قد التجأت إليها ، ولا حتى نقود تدفعها لهذه الحاجات الضرورية .

كان واضحاً أنها كانت بحاجة إلى مساعدة خارجية ، وأن هذه المساعدة كانت تأتي إلى درجة ما، ولكنها لم تكن أبداً كافية. وما أن أصبح معروفاً نبأ دمار مدينة إزمير لجماهير العامة الأمريكان ، حتى اهتزت البلاد من الرغبة في تقديم التسهيلات. وكما يحدث دائماً في حالات مماثلة تستدعي

السرعة ، كان هناك من كانوا مستعدين لتقديم المساعدة الفعالة من جهات عديدة . هكذا تدخل الصليب الأحمر وتقدم ليأخذ على عاتقه مسؤولية الحالة. ويقال بأن ، الصليب الأحمر صرح أن بحوزته ٢٦ مليون دولار في خزينته وأنه مستعد لتخصيص كامل هذا المبلغ ، إذا كان هذا ضرورياً ، للتخفيف من حجم الدمار. بالطبع تم قبول هذا الاقتراح وأخذ الصليب الأحمر على عاتقه مسؤولية الحالة وكانت الأحداث التي تلت كالتالي :

بقي الصليب الأحمر في اليونان من ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ وحتى ٣٠ حزيران من عام ١٩٢٣ وترك لدى مغادرته كل ما هو ضروري لأسبوعين آخرين. وقد انسحب ليس كما يبدو انه لم يكن هناك ضرورة لوجوده ، ولكن لأنه ، قام بصرف ٣ ملايين دولار ويبدو أنه لم يكن مستعداً لتخصيص أموال أخرى وجهد في هذه المسألة. وأثناء وجوده في اليونان ، كان الصليب الأحمر قد قام بإطعام ٦٠٠ ألف لاجئ كمعدل وسطي في الشهر وكمعدل وسطي فإن مصروف ٦٠٠ ألف لاجئ في تسعة أشهر ونصف بلغ ما قدره ٣ ملايين دولار، أي ٥٠ سنت تقريباً لكل لاجئ في الشهر وبهذا المبلغ لم تتم مواجهة ولا حتى الحاجات الأولية للاجئين حيث قامت الحكومة اليونانية بتغطية هذا العجز .

وباعتبار أنه كان قد عهد إلى الـ((نير إيست ريليف)) أمر أراضي آسيا الصغرى ، فإنها لم تكن تشعر بأنها ملزمة أن تنشط في اليونان. وفيما يتعلق باللاجئين البالغين فإن الصليب الأحمر كان قد توقف هناك عن ممارسة أعماله . وتقوم الحكومة اليونانية بتخصيص كل المداخل التي لديها لمواجهة الحالة غير أن اللاجئين يواجهون شبح الموت جوعاً .

يجب القول ، بأن الصليب الأحمر قام بعمل رائع في اليونان في الفترة التي كان هناك ويستحق الكثير من الشائعات التي حصل عليها ، لكن وفقاً لرأيي

فهو متهم لأنه ترك عمله أقل من النصف ولأنه سمح للعامة أن يعتقدوا بأن الحاجة للمساعدة الخارجية لم تعد موجودة .

والشيء ذاته يجب أن يقال بالنسبة للـ((نير إيست ريليف)) فيما يخص عملها بين صفوف البالغين ، ولأنه فيما كان عمل المنظمة بخصوص الأطفال هو الاستمرار بشجاعة كمأ ونوعاً ، فإن المنظمة متهمة بأنها لم تساهم في تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية للبالغين في اليونان بذريعة لا تمثل سوى تفصيلات فنية . ولازالت الحاجة للرعاية الصحية والاجتماعية تدعو لأن تكون مباشرة ومصرية .

وقد قامت الـ((نير إيست ريليف)) منذ بدء عملها عام ١٩١٥ في الشرق الأدنى ، بصرف مبلغ قدره ٨٢,٢٦٦,٥٤٨ دولار في الخارج وهذا حتى الأول من تموز من عام ١٩٢٣. وقد قام الصليب الأحمر في أشهر عمله الثمانية في أعوام ١٩٢٢ و ١٩٢٣ في اليونان بصرف مبلغ قدره ٣ ملايين دولار فيما قامت بعد انتهاء حروب البلقان في أعوام ١٩١٢ - ١٩١٣ بصرف مبلغ قدره ١,٥ مليون دولار وهذا ما رفع مجموع مصاريف المنظمين اللتين أخذتا على عاتقهما القيام بعمل الرعاية الصحية والاجتماعية إلى ٨٦,٧٦٦,٥٤٨ مليون دولار .

بالإضافة إلى أنه كان هناك بعد تدمير مدينة إزمير ، مؤسسات أخرى ، تعمل هناك كاتحاد الشابات المسيحيات ، واتحاد الشباب المسيحيين ، والمعهد الأمريكي في إزمير ، و مشافي النساء الأمريكية ، كانت توجد منظمات أخرى لجنسيات أخرى لا زالت تعمل هناك . ولكن باستثناء الـ((نير إيست ريليف)) والصليب الأحمر ، فإن باقي عمل الرعاية الصحية والاجتماعية كان صغير الحجم حتى إذا كان البريطانيون قد قاموا بعمل رائع بإسكان ١٠ آلاف لاجئ قامت بتأمين فرص العمل لهم .

في هذه اللحظة تتحمل الحكومة اليونانية وحدها عبء الرعاية الصحية والاجتماعية للاجئين ، هذا العبء الكبير الذي يمكن أن تنهار الحكومة بسببه في أي لحظة أو أن تدعهم يموتون من الجوع والأمراض .

هذا وكان وزير الخارجية الأمريكية السيد هيوز قد قام في ٣١ آذار عام ١٩٢٣ بتوجيه مذكرة إلى سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في واشنطن يعلن فيها عن نية الصليب الأحمر بالتوقف عن القيام بعمل الرعاية الصحية والاجتماعية للاجئين في اليونان في الثلاثين من حزيران .

وكانت المذكرة التي أرسلت لسفراء الدول الثلاث الذين أسلفنا ذكرهم بدلاً من إرسالها إلى الحكومة اليونانية تتضمن موافقة السيد هيوز على طابع الالتزامات الدولية الناجمة عن وجود اللاجئين ومنهياً كلامه فإن السيد هيوز كتب في مذكرته :

((إذا كان بالإمكان أن يتم البحث في وضع خطة فعالة لتقسيم الأعمال وحل تدريجي لمشاكل اللاجئين، فإن منظمات الرعاية الأمريكية هي مستعدة للتعاون حتى بعد انتهاء عمل الرعاية المباشر للصليب الأحمر الأمريكي في ٣٠ حزيران القادم)).

لم تتضمن المذكرة الأمريكية أي اقتراح فعال وعندما تم فحص المسألة في حزيران ، من قبل اللجنة الاقتصادية للاجئين في عصبة الأمم ، كانت الولايات المتحدة ممثلة من قبل ((مراقب)) ، كانت مساهمته الوحيدة في المفاوضات هي أن يقرأ مذكرة هيوز بتاريخ ٣١ آذار ثانية .

أيضاً فإن ((المراقب)) لم يقيم بتقديم أي اقتراح بناء ولم يحدد الدور الذي كانت ستلعبه منظمات الرعاية الصحية الأمريكية - وما إذا كانت مستعدة في أن تأخذ على عاتقها القيام بأي دور - في مسألة الاستمرار بالرعاية

الصحية ، مع أن مذكرة هيوز كانت تشير بوضوح إلى الاشتراك الأمريكي في عمل الرعاية الصحية والاجتماعية .

هذا وكان القائم بأعمال المندوب السامي لشؤون اللاجئين في عصبة الأمم الكولونيل بروكتور ، قد قام بعرض تقرير شامل عن الحالة وتقدير كمية الأموال الضرورية لإسكان اللاجئين ، بما أنه كان قد بقي لمدة زمنية طويلة في اليونان ، وعلى الرغم من لامبالاة واشنطن ، فقد قامت عصبة الأمم بتعيين لجنة ، كان عملها هو القيام بجمع هذه الأموال والإشراف على توزيعها .

تم تعيين السفير الأمريكي السابق لدى تركيا السيد هنري مورغينتاو رئيساً لهذه اللجنة الذي أبحر إلى أوروبا في أواخر تشرين الأول عام ١٩٢٣ . ووفقاً لتقرير الكولونيل بروكتور كان المبلغ المطلوب هو ١٢ مليون جنيه استرليني ، فيما وصل وفق تقديرات مختصين آخرين إلى ٧٥ مليون دولار . الملفت هو أنه ، وبسبب عدم قيام الحكومة الأمريكية بصورة رئيسية بدور فاعل ، فقد تم تحديد القرض الممنوح من عصبة الأمم لليونان بـ ٦ ملايين جنيه أي أقل من نصف ما كان ضرورياً بالحاح .

وإذا لم تقم الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك في خطة عصبة الأمم ، سيكون من الصعب بشكل استثنائي بالنسبة للأخيرة أن تقوم بجمع مبلغ الـ ٦ ملايين جنيه ، بالإضافة إلى ذلك وحتى إذا تم أخيراً تجميع قرض عصبة الأمم ، فمن الواجب تخصيصه بالكامل لإسكان اللاجئين . يجب ألا يتم تخصيص ولا بنس - كما تم الاتفاق على ذلك - من أجل رعاية اللاجئين ، الذين يمكن أن يموتوا قبل أن يتم إيجاد مسكن لهم .

في غضون ذلك كانت كل إمكانات الحكومة اليونانية الاقتصادية قد نفذت ولم تقم لا حكومة الولايات المتحدة ولا منظمات الرعاية الأمريكية بأي محاولة لتنفيذ الوعد الذي كان قد أعطي في مذكرة هيوز .

يمكن عرض الإدعاء من أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بتحميل العبء الأكبر من التزاماتها المتعلقة باللاجئين ، أولاً بنقل اللاجئين إلى اليونان وبعد ذلك بتخصيص ٣ ملايين دولار لهؤلاء بعد استقرارهم هناك .

لكن في الحقيقة وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية عبر حكومتها ومنظمات الرعاية التابعة لها هي مسؤولة عن إقامة اللاجئين هناك ، وحيث يوجدون اليوم. إن أسباباً تتعلق بالضمير تفرض عليهم أن لا يتخلوا الآن عن اللاجئين تاركين إياهم ليموتوا من الجوع . فالخطوة الأولى توجب الثانية وطالما أن أمريكا أخذت على عاتقها المسؤولية سوف لن يكون من الشرف في شيء أن تلقي الآن المسؤولية على أكتاف الآخرين .

إن قرابة ثلثي اللاجئين هم من الفلاحين ، ويوجد أرض أكثر من كفاية هؤلاء ولكن الأمر يتطلب أموالاً كثيرة لتصبح هذه الأرض صالحة .

من الضروري أن تتم أعمال تجفيف، وإرواء الأراضي، بالإضافة إلى إصلاحها وأن يتم بناء منازل ، وأن يعطى اللاجئين الحيوانات ، والأدوات والبذور ، وقبل كل شيء يحتاج اللاجئين إلى طعام حتى يتم الحفاظ على حياتهم إلى أن يتم جني المحصول الأول . لا يكفي إنقاذ هؤلاء الناس من موت فظيع، بل يجب أن يبقوا على قيد الحياة إلى أن يكونوا بأمان بشكل نهائي . بالطبع ليس هذا الأمر غير ممكن .

الآن حيث تواجه الأقليات المضطهدة أخيراً خارج آسيا الصغرى حيث التركي هو السيد المطلق .

إن من الأفضل أن يبقوا خارج آسيا الصغرى لأنهم لو أعيدوا إلى هناك فإن الأمر الوحيد الذي كان سيحصل هو تكرار كل ما جرى سابقاً من أعمال الخطف والنهب والقتل والإبادة دون شفقة . كما يمكن بصورة تدريجية ، وفي فترة زمنية مناسبة امتصاص تعداد اللاجئين الكبير في دورة الحياة الاعتيادية للأمة اليونانية .

في تقرير تم إعداده من قبل الحكومة اليونانية في شهر نيسان من عام ١٩٢٣ تمت الإشارة فيه إلى أنه :

((تم إرسال ٧ آلاف لاجئ خلال أسبوع إلى مدينة سالونيك ليتم إسكانهم هناك بشكل نهائي في مقدونيا من قبل لجنة المستعمرات ووفقاً لتصريح اللجنة فقد تم إسكان ٣٢,٠٣٧ عائلة من عائلات اللاجئين بلغ عدد أفرادها ١١٥,٣٤٩ شخصاً على نحو دائم في مناطق ريفية في مقدونيا كما تم إسكان ٢٣,٤٣٩ عائلة من عائلات اللاجئين بلغ عدد أفرادها ٩٤,٢١٢ شخصاً في ٣١٦ منطقة ريفية في تراقيا الغربية، وتتضمن هذه الأرقام تقريباً ٦ آلاف عائلة ينتظرون في سالونيك .

هذا وقد قامت الحكومة بإصدار مرسوم بخصوص إنشاء لجنة خاصة مكلفة بالإسكان الدائم للاجئين سكان المدن .

حيث يهدف المرسوم المذكور إلى إسكان قرابة ٥٠٠ ألف من لاجئي سكان المدن ، ودمج كل الدوائر المتعلقة باللاجئين وقد تم لهذا إنشاء لجنة المستعمرات التي قسمت إلى ثلاث أقسام ، القسم المهني ، قسم التشغيل وقسم السكن)) .

وهذا هو فقط أحد أوجه هذا العمل ، الذي كان على الحكومة اليونانية القيام بها . ولكي يكون بوسعها القيام بذلك يجب أن تعطى لها المساعدة الخارجية التي تحتاجها مباشرة .

ويبدو من الجدول أدناه ، أن الوضع الاقتصادي للاجئين في اليونان في الأول من آذار عام ١٩٢٣ والذي يعتمد على معلومات كانت لدى الحكومة اليونانية هو كالتالي :

٢٨٠	ألف لاجئ	معتمدين على أنفسهم
٢٥٠	ألف لاجئ	معتمدين على أنفسهم بشكل جزئي
٦٢٠	ألف لاجئ	معتمدين بالكامل على المساعدة

ومن بين الـ ٢٥٠ ألف الذين تم تقييدهم كمعتمدين على أنفسهم بشكل جزئي ، كان لدى البعض الوسائل الخاصة التي تساعدهم في تدبير أمورهم ، والتي استهلكت الآن وقد كان عدد أكبر قد وجدوا أعمالاً مؤقتة خصوصاً في أشهر الصيف. هكذا ففي شتاء عام ١٩٢٣ - ١٩٢٤ كان عدد اللاجئين المعتمدين بالكامل على المساعدة كالتالي :

٦٢٠,٠٠٠	كما ذكرنا - معتمدين بالكامل على المساعدة
٢٥٠,٠٠٠	تم ذكرهم كمعتمدين على أنفسهم بشكل جزئي
	ولكنهم معتمدين الآن بشكل كامل على المساعدة
٦٤,٠٠٠	لاجئين جدد
٩٣٤,٠٠٠	المجموع

إن وجود الـ ٢٨٠ ألف لاجئ المعتمدين على أنفسهم يعود إلى حقيقة مفادها أن المساعدة التي قدمها الصليب الأحمر لإطعام هؤلاء الأشخاص سمح للحكومة اليونانية أن تأخذ على عاتقها القيام بتأمين السكن لهم .

الآن وقد غادر الصليب الأحمر فقد وقع عبء إطعام هؤلاء اللاجئين على كاهل الشعب اليوناني والحكومة اليونانية ، وصار من غير الممكن أن يسير اقتصاد البلاد نحو الأفضل ، لأن أكبر قدر من النشاط وآخر دراهمة كان

يجب أن يتم تخصيصها من أجل الرعاية الصحية والاجتماعية وإطعام الجزء المنتج من اللاجئين .

إن مشكلة اللاجئين تبدو بشكل غير معقول وأكثر صعوبة من حقيقة مفادها أن كل الرجال القادرين جسدياً تم القبض عليهم من قبل الأتراك في آسيا الصغرى ، فيما تم تهجير النساء والشيوخ والأطفال. هذا ويقدر إجمالي عدد الأطفال الذين هم دون سن الرابعة عشرة يتيم الأب في الأول من تشرين الأول عام ١٩٢٣ بـ ٢٠٠ ألف ، ومن هؤلاء كان ٧٥ ألف يتيم الأبوين .

ويوجد ٨ آلاف من هؤلاء في مؤسسات وكانت هناك آمال من إمكانية وضع ٣ آلاف من هؤلاء في دور أيتام حتى نهاية تشرين الثاني، ويعيش البقية بصورة رئيسية في معسكرات لاجئين مع اللاجئين البالغين. ولا يتضمن هذا العدد الأطفال الموجودين في حماية الـ ((نيرايست ريليف))، الذي يهتم بصورة مسبقة بـ ٧٥ ألف طفل على نحو يفوق الاهتمام بأيتام اليونان ويزداد يوماً بعد الأيتام ، فيما تموت الأمهات من سوء التغذية ، ولأول مرة في التاريخ، تتواجد الأقليات المضطهدة خارج آسيا الصغرى، وقد بقيت بقاياهم المشتتة فقط هناك والذين يجب أن يتم إنقاذهم .

ووفقاً لشهادات رسمية قام الأتراك بإبادة ١,٥٠٠,٠٠٠ أرمني و ٥٠٠ ألف يوناني ببرودة في عام ١٩١٤ من الرجال والنساء والأطفال دون أدنى استفزاز ويعرض هذه الحقيقة في المقتطف المذكور أدناه السيد لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا في إحدى خطبه ذلك الحين في ما نشستر في ١٤ تشرين الأول عام ١٩٢٢ :

((لن أقوم بتفحص ما إذا كان اليونانيون قد أثاروا استفزاز الأتراك أو أن الأتراك أثاروا استفزاز اليونانيين . بالنسبة لي يكفي أن ألفت انتباهكم إلى أن

الأتراك قاموا منذ عام ١٩١٤ وفقاً لشهادات - شهادات رسمية - بين أيدينا بإبادة ١,٥٠٠,٠٠٠ أرمني من الرجال والنساء والأطفال بالإضافة إلى ٥٠٠ ألف يوناني برودة ودون أي استفزاز. أعتقد أنه سيكون صحيحاً قبل أن يتم السماح للجيش التركي المفعم بحماس النصر والملطخة يديه بدم إزمير، بعبور أوروبا أن يعطى الوقت الكافي ليهدأ وأن تكون لدينا ضمانات من أنه ستم حماية الأقليات في أوروبا ((. كان يمكن إنقاذ هؤلاء الناس ولكن لم يتم إنقاذهم. لن أشير بشيء بالنسبة لهؤلاء سوى إلى أن مصيرهم كان واضحاً فيما جرى لهم، لكن تقع علينا مسؤولية مباشرة بالنسبة للـ ١,١٥٠,٠٠٠ لاجئ يوناني وأرمني ، الذين كانوا قد وصلوا إلى اليونان حتى الأول من آذار عام ١٩٢٣ بالإضافة إلى الـ ٢١٤ ألف الذين كانوا موجودين على قارعة الطريق والذين هم اليوم (آذار ١٩٢٤) موجودين في هذا البلد. لقد قام العامة الأمريكيان بإنفاق أكثر من ٨٦ مليون دولار في السنوات العشر الأخيرة من أجل الرعاية الصحية والاجتماعية في الشرق الأدنى. إن سبب هذه المصاريف لم يكن ((من فعل الله)) ولكن بسبب سياسة التعذيب والإبادة التركية، وإذا كان منتظراً أن يتجنب العامة الأمريكيان الحاجة إلى إنفاق أكثر أيضاً من أجل أعمال الرعاية من هذا النوع في المستقبل ، يجب أن يتم القيام بخطوتين حاسمتين .

أولاً : يجب أن تتم مساعدة الأقليات القومية الذين هم لاجئون اليوم مباشرة لأنه بخلاف ذلك سوف يموتون من الأحوال السيئة والجوع والأمراض

ثانياً : ما أن تمر هذه الفترة الصعبة من المشاق ، يجب أن يتم إسكان هؤلاء ضمن ظروف أمان مستمرة وأن يعطى لهم إمكانية لتطوير أنفسهم .

إنه على البشرية في مجموعها وخصوصاً عامة الأمريكان مسؤولية مباشرة من أجل تحقيق هذين الشرطين .

الفصل الرابع

الاستثمار الأمريكي في مجال الأعمال الإنسانية في الشرق الأدنى

لقد ذهب أوائل رجال البعثات التبشيرية الأمريكية إلى الشرق الأدنى عام ١٨٣١، لكي يأخذوا على عاتقهم القيام بنشاطات تعليمية ، أزهرت مع الوقت فقط وفقط لكي تخدم وتتوقف تحت تأثير الضربات المدمرة للحكومة الوطنية التركية ، التي جاءت عام ١٩٢٠ .

من غير الممكن أن يتم تقدير كم بالضبط كُلف هذا العمل العامة الأمريكية لكن تم تقدير أن هذه الكلفة قد وصلت إلى ((٥٠)) مليون دولار، وقد تم تخصيص الجزء الأكبر من هذه المصاريف مباشرة أو بصورة غير مباشرة تحت رعاية اللجنة الأمريكية لمعتمدي البعثات التبشيرية في الخارج ، كانت هذه المصاريف ، بالإضافة إلى مصاريف نشاطات اتحاد الشبان المسيحيين واتحاد الشابات المسيحيات في الشرق الأدنى ترد من مؤمني الكنائس الأمريكية المختلفة. فمعاهد الشرق الأدنى : معهد روبرت في إستانبول - الجامعة الأمريكية في بيروت ومعهد الفتيات في إستانبول - التي ربما هي أفضل ثلاث مؤسسات تعليمية في الشرق الأدنى لا يمكن اعتبارها تخص مباشرة الكنيسة ، لأن دعمها الاقتصادي اعتمد دائماً على المبادرة الفردية .

على كل حال إن أقسام هذا العمل الإنساني هي مترابطة فيما يخص طبيعتها والمثل التي دفعت لإنشائها وساهمت في تطويرها وفي أهدافها البعيدة والموضوعية، وقد كشفت اللجنة الأمريكية في تقريرها في ربيع عام ١٩٢٣ عن الوضع على النحو التالي :

- كنائس البعثات التبشيرية : ٩٠% منها مغلقة .

- معاهد أمريكية : جمود كامل .

- مشافي (عددها عشرة) : نصفها يعمل ، بعضها يعمل تحت إشراف الـ((نيرايست ريليف)). .
 - رؤساء المعاهد : اثنان موتى ، واحد مهجر ، كما تم منع ثلاثة من الرجوع إلى أماكن عملهم .
 - مؤسسات تعليمية تدار من قبل البعثات التبشيرية : بقي منها ثلاث مؤسسات مفتوحة من أصل ٤١ مؤسسة .
 - مدارس القرى (يقدر عددها ب ١,٠٠٠) : كلها مغلقة .
 - قيمة الممتلكات التي فقدت : تقدر بـ ٢,٨٨٠,٠٠٠ دولار .
 - موظفين محليين : ثلثي عددهم موتى وتم إبعاد أكثر الباقين .
 - موظفين أمريكيي الجنسية : تم تسريح ٥٠ منهم .
 - رعايا الكنيسة : -٩٥% من التلاميذ هم موتى أو تم تهجيرهم .
- المراكز التعليمية الوحيدة التي بقيت للجنة الأمريكية في تركيا ، هي في إستانبول ، إزمير ، بورصة ، القيصرية ، ميرزيفون ، قونية ، أضنة ، عنتاب مرعش ، طرسوس ومرسين . لا توجد مراكز في أماكن أخرى. فضلاً عن أن واحدة فقط تعمل من منظمات اتحاد الشباب المسيحيات في تركيا . وقد حدث الشيء ذاته مع اتحاد الشبان المسيحيين ، والمعهد الأمريكي في إزمير ، فمن أصل ١٠٠٠ تلميذ هناك بقي الآن ١٠٠ فقط وهؤلاء فقط في الأوراق إن حالته نموذجية. وقد تأثر معهد روبرت ومعهد الفتيات في إستانبول بدرجة أقل ، ربما لأن الاثنان موجودان في إستانبول ، المدينة الوحيدة في آسيا الصغرى التي سمح لليونانيين بالبقاء فيها. يجب أن يضع المرء في اعتباره أن الحالة في إستانبول هي فريدة لأنها المنطقة الوحيدة في تركيا التي تعيش فيها الأقليات القومية نسبياً بأمان .

هكذا فإن الأحوال السائدة في إستانبول ليست نموذجية بأي شكل قياساً لما هو سائد في أماكن أخرى من تركيا .

لقد تطرقنا مسبقاً إلى أهمية موقف الأتراك إزاء المؤسسات التعليمية الأمريكية وكانت النشرة الرسمية لحكومة أنقرة في عددها الصادر رقم ١٥٧ ، بتاريخ الأول من نيسان عام ١٩٢٣ ، قد تضمنت تصريحاً مطولاً يلفت الانتباه ضد العمل الديني والتعليمي في تركيا ، وكانت الاتهامات ، التي قامت النشرة بتوجيهها غير مبررة .

كانت هذه الاتهامات تتضمن على أن مدرسي معهد روبرت قاموا بث أفكار الحرية قي نفوس الشبان البلغار والأرمن ، وأن مدرسي معهد الأناضول في ميرزيفون كانوا قد قاموا بالدعاية من أجل إنشاء وطن يوناني مستقل جنوب شواطئ البحر الأسود ، وأن منظمات أمريكية مختلفة كانت قد قامت بتوزيع أطعمة وثياب على دور أيتام تركية بهدف تغيير ديانة هؤلاء، وأن الأمريكيان كانوا قد قاموا بتنظيم رحلات كانوا أثناءها يشجعون شابات تركيات على القيام بمداعبات مع الشباب اليونانيين والأرمن وسلسلة أكاذيب طويلة خبيثة المرامي ، وتحريف مستمر للحقائق .

إن حملة مماثلة بهذا الشأن ، والتي شنتها الصحافة التركية مباشرة بعد الشلل الرئيسي الذي أصاب ٩٠% بالمئة من النشاط الديني والتعليمي في تركيا يدع بحالاً صغيراً للشك بخصوص وجهة نظر ومرامي الحكومة الوطنية التركية .

من المهم أن نشير هنا إلى أنه ، في نفس الوقت ، الذي كانت توزع فيه هذه النشرة ، كان مجلس النواب التركي يقوم بالتصديق على الامتيازات الضخمة الممنوحة لنائب الأميرال تسيستر فتركيا تريد المال الأمريكي ولا تريد الحضارة الأمريكية .

ليس من الضروري أن يتم هنا بحث أسباب الموقف الأمريكي على نحو بعيد فقد سأل مؤلف هذا الكتاب أحد مسؤولي قسم الشرق الأدنى في وزارة الخارجية لماذا كان يبدو أكثر سهولة حماية المصالح التجارية الأمريكية من حماية المؤسسات التعليمية والدينية .

وكان الجواب الذي تم إعطاؤه أنه كما يبدو أن الأتراك كانوا يريدون الأولى ولم يكن يريدون الثانية .

كما لاحظ محدثي أيضاً ، أن تركيا كانت تعتبر الشعور الشعبي مسؤولاً عن حقيقة مفادها أن بلغاريا وأرمينيا السوفيتية قد حصلتا على استقلالهما من تركيا وأنهم ، كانوا مقتنعين بالكامل على أن المسؤولين عن خلق وتنمية هذا الشعور هو الأوساط الإمبريالية .

بكلمات أخرى ، كان بعض رجال البعثات التبشيرية والمدرسين قد عادوا إلى أوطانهم وقالوا الحقيقة بخصوص تركيا ، مما نجم عن ذلك تخلص هاتين الأمتين المضطهدتين من سيطرتها .

من جهة أخرى ، فإن رجال الأعمال الذين كان لاستثماراتهم طابع مادي في تركيا لم ينتظروا هادئين فقط ، ولكنهم ساعدوا أيضاً على تحريف الأحداث .

يقال أنه ، ((بالرغم من الفصل الظاهر للدولة عن الإسلام الذي قام بتضليل الكثير من المراقبين الأجانب ، فإن تركيا اليوم كما كانت فيما مضى دولة دينية نحو الأسوأ، الفرق هو أن الدولة الدينية أصبحت الآن حقيقة، فتركيا ستواصل في أن تكون مسودة مناقضة للقومية)) .

وطالما أستمر ما ذكرنا أعلاه في التوافق مع الواقع فإن تركيا ستستمر في العداء لكل التنظيمات والمؤسسات والمجموعات البشرية التي لها علاقة حتى لو كانت بعيدة بالدول الغربية .

ربما أن رد الفعل هذا لا يكون مباشراً أو علانية ، لأن تركيا تريد أن تبدو للعالم كأمة متحضرة ، الأمر الذي ينافي الواقع .

سيكون من غير المنطقي أن ينتظر المرء من الأتراك ، باعتبار أنهم هجروا كل الأرمن واليونانيين من الشرق ، أن يتعاونوا مع حماة المهجرين .

إن كل موضوع استمرار العمل الإنساني والتعليمي الأمريكي في تركيا يتعلق فيما إذا كانت الحكومة الوطنية التركية مستعدة بشكل مؤاتي إزاء هذا العمل أو لا . بالطبع فإن مستقبل عملنا التبشيري هناك هو أمر مشكوك فيه على نحو استثنائي .

في غضون ذلك كان الإستثمار في حقل عملنا الإنساني قد تعرض لضربة خطيرة ، جعلتها مشلولة بشكل نهائي . وكانت الضربة غير أخلاقية وغير مبررة من كافة النواحي .

عامل آخر سيقوم في ممارسة دور حاسم في عمل الأمريكيين في تركيا ، هو إلغاء نظام الامتيازات الممنوحة للأجانب في لوزان .

وبما أن مصطلح ((الامتيازات)) ربما لا يكون معروفاً للقراء فإنني أضيف هنا فقرة توضيحية من (فجر تركيا للدكتور جيمس . ل . بارتون) .

((إن حقوق الأجانب في تركيا لا يعتمد على مبادئ القانون الدولي ، كما يحدث عادةً مع الأمم الغربية ، ولكن على معاهدات خاصة تحمل اسم ((الامتيازات)) أو ((الحقوق الممنوحة)) ، هذا ولا تتم الاتصالات بين العالم الغربي والدول الإسلامية وفق قانون الأمم ... هكذا يجب أن تنظم علاقات طرف مع طرف آخر من خلال نظام ((امتيازات)) ، خاصة أو حقوق ممنوحة يقدمها زعيم الدولة الإسلامية ...

حيث تتم الموافقة من قبل السلطان وحاشيته على الامتيازات التي تعطي من قبل الإمبراطورية كحقوق ممنوحة للأجانب ، هذه الامتيازات التي من حق

الحاكم التركي أن يرفضها أو يوافق عليها ، إذا كان هناك أي رفض أو موافقة ، فإنها وفقاً لرأيه لمصلحة الإمبراطورية)) .

يصبح مفهوماً بالطبع أن حياة الأجانب في تركيا أصبحت معلقة بخيط رفيع جداً ، وبالبطبع فإن الحالة هي أكثر سوءاً الآن ، لأن تركيا طلبت في لوزان ونجحت في إلغاء نظام الامتيازات التي كانت قد عقدتها . وقد تراجع الحلفاء في هذه النقطة أمامها مما أسفر عن ذلك أن أصبحت حياة أحد البريطانيين أو الأمريكيين اليوم في خطر أكثر مما كانت عليه في الماضي .
بالطبع من غير المرتقب لوضع كهذا أن يسهل عمل المؤسسات التعليمية والبعثات التبشيرية في تركيا .

يجب ألا يتم الاعتقاد أننا قمنا بتجميع الذرائع الواحدة تلو الأخرى لكي ندعم التحلي الأمريكي الكامل عن كل عمل إنساني في تركيا . فضلاً عن أنه توجد بعض الحقائق التي يجب مواجهتها . فقد تم في الماضي اتباع سياسة انتهاز الفرص إزاء تركيا وتصرفاتها .

كما تم مراراً التغطية على أخطائها في محاولة للتوفيق معها ، وكانت كلما أخذت أكثر تطلب أكثر ، وقد أسفرت هذه السياسة عن قتل وتهجير الأقليات المضطهدة والتضحية التامة تقريباً بكل الاستثمارات الأمريكية الإنسانية . من الواضح أن هذه السياسة أصبحت فاشلة .

هنا يوجد فقط حل متبادل : أي أن نتصدى للأحداث وأن نقول الحقيقة .
إذا كان من المنتظر الاستمرار في النشاط التعليمي والديني الأمريكي في تركيا فهذا يجب أن يتم على قاعدة مختلفة بالكامل عما هو سائد حتى الآن .

هناك آمال صريحة من أنه سيتم في يوم ما تسوية الأمور على نحو أكثر ملاءمة على أي حال هناك نقطتان جوهريتان :

الأولى ، هي إصلاح ما تم في الماضي والثانية ، هي تقديم ضمانات للمستقبل بالطبع من غير الممكن أن يتم إعادة السكان المهجرين ولكن يمكن أن تدفع تعويضات لممتلكات الأفراد والمنظمات ، التي تعرضت لخسائر أو جرى تدميرها .

بخصوص المستقبل ، سيكون أمراً جريئاً أن نخاطر بأرواح أشخاص ومن الطيش أن نخصص أموالاً في محاولة لبعث عملنا الإنساني والتعليمي في تركيا من جديد إلى أن تتحمس تركيا ذاتها وتضمن استمرار الحماية والعمل دون عائق . إذا كانت ترغب حقاً في حضارة كهذه ، ستقوم بتقديم الضمانات ولكن ... لم يحدث قط في التاريخ أن حافظت تركيا على وعد إلا إذا تم إجبارها على فعل ذلك .

لقد مرت أكثر المؤسسات التعليمية في تركيا ، مثل معهد روبرت بفترات مختلفة بخصوص البنية القومية لتلاميذها ، وإلى هذا بالضبط يشير التصريح التالي للسيد البيرت . غ. ستاومب مدير المعاهد الأمريكية في الشرق الأدنى : ((في البداية كان الطلاب البلغار يمثلون غالبية خريجي الفترة المبكرة لمعهد روبرت وكانوا مسؤولين بدرجة كبيرة عن حصول بلغاريا على حكومة عصرية متطورة . وجاءت بعد ذلك الفترة الأرمنية و كنتيجة لتأثير المعهد كان هناك اهتمام بإنشاء مدارس أرمنية ، وقد عمل الأرمن - ربما أكثر من أي أمة - لانتشار التعليم بين شعبهم وكانوا مستعدين لدعمها مادياً .

قبل تدمير مدينة إزمير كان اليونانيون هم غالبية طلاب معهد روبرت . ويبدو الآن أن الفترة الرابعة ستكون تركية حيث يبدو أن الهدف هو أن يكون مستقبل المعهد مرتبطاً بصورة أوثق مع الأوضاع التركية .

كان الأتراك يشكلون في أعوام ١٩٢١ - ١٩٢٢ ما نسبته ١٢,١ % من عدد طلاب معهد روبرت .

يشير السيد ستاومب أدناه إلى أنه ، من وجهة النظر الأكاديمية كان ترتيب الأرمن الأول واليونانيين الثاني والأترك الثالث وإن هذا يتناسب مع درجة اقتراب هذه الشعوب من العالم الغربي ، والحقيقة هي أن الرؤية المستقبلية مؤلمة بصراحة ، فقد ضاعت الثمار وعلينا الآن أن نعمل مع القشور)) .

إن اتهام رجال البعثات التبشيرية بأنهم قاموا بتحريض الأقليات على الثورة ضد مضطهديهم هيهمة قديمة بالقدر الذي لا أساس لها. لقد بقيت البعثات التبشيرية والمؤسسات التعليمية الأمريكية بعيدة عن كل تدخل ، لأنهم كانوا يرغبون في العمل بشكل صحيح وأن لا يخرجوا عن إطار قوانين البلد الذي يمارسون نشاطهم فيه، والحقيقة هي أن عملاء روس كانوا قد حاولوا أثناء الحرب الروسية - التركية عام ١٨٧٧ تحريض الأرمن على الثورة وترسيخ الروح القومية لديهم الأمر الذي كان دائماً موجوداً داخلهم .

لكن هؤلاء كانوا عملاء سياسيين ، وعدا عن ذلك هل كانت هناك فترة في التاريخ لم يحاول خلالها شعب أو أمة ، كان رازحاً تحت السيطرة التركية ولم يرغب في الثورة ؟

فبين أعوام ١٦٩٩ و ١٩٢٠ اضطرت تركيا أن ترفع نير العبودية عن رقبة عشرين شعباً من مناطق مختلفة ، والذين لم يستطيعوا تحمل إدارتها الاستبدادية السيئة أكثر . لقد قدم رجال البعثات التبشيرية مساعدة للمضطهدين ، حيث أعطوهم الفرصة لحياة بناءة ، بنوا هناك حيث قام الآخرون بالتدمير، وإذا كانت تركيا تكرههم اليوم ، فهو لأنها تخاف من تعرضها للامتصاص من قبل الدول الغربية. إن مسؤولية أمريكا تجاه الحضارة التي خلقتها هي واضحة بلا جدال. فقد كانت الأموال الأمريكية ، والرجال والنسوة الأمريكان قد ساهموا بتضحياتهم البعيدة المدى في خلق هذه الحضارة قرابة ١٠٠ عام والـ ٥٠ مليون دولار تم تخصيصها في هذا الذي تم تقريباً تدميره بالكامل .

وهذا العدد الضخم من رعايا الكنيسة المنتمين لهذه الحضارة ، هؤلاء الرعايا الذين تم تجميعهم وتبنيهم من قبل الشعب الأمريكي ، تم أسرهم أو تهجيرهم أو إبادةهم .

أليس لأمريكا مسؤولية تجاه الأموال التي خصصتها وتجاه هؤلاء الناس الذين تم تخصيصها لهم ؟

بالطبع سيكون انعدامها للضمير الاستمرار في النظر بدون عمل شيء للأرواح والمال والجهود التي تم التضحية بها بلا شفقة لسنوات عديدة وأن لا تقوم بفعل أي شيء لإنقاذ ما بقي من كل هذا . وكان عصمت باشا قد قال للأمريكيين في لوزان :

((آمل فوق كل شيء ألا يقلق الأمريكيون لمستقبل مؤسساتهم التعليمية والإنسانية في تركيا . نريد أن تبقى هذه المؤسسات وليست لدينا أية نية لإدخال أية قوانين يمكن أن تمنع استمرار هذا العمل الأمريكي الرائع المثير للإعجاب في أوساط شعبنا)) .

كانت تلك بادرة طيبة تم الإعلان عنها بشكل واسع كذلك . لكن تم بعد وقت قليل إخطار اللجنة الأمريكية من مصادر رسمية بأن الحكومة الوطنية التركية سوف لن تمنح رخص طبية للبعثات التبشيرية ، الأمر الذي كان يعني نهاية العمل الطبي الأمريكي في تركيا، وقد تم إعطاء هذه البادرة الثانية أقل قدر من العلانية .

لم نتذمر من النظام الوطني التركي لكن الواضح أن سياسة انتهاز الفرص التي اتبعتها حكومتنا إزاء تركيا أثبتت فشلها بالكامل .

فقد برهنت تركيا أن سياستها إزاء الأقليات القومية بقيت على حالها بشكل أساسي بغض النظر ما إذا كان من يحكم هو السلطان، أو زعماء تركيا الفتاة ، أو الوطنيين الذين يمكن أن يدمروا بدرجة أسرع بكثير مما

يمكن أن نبي ، بصرف النظر عن التطورات الأساسية ، التي يبدو أن هؤلاء الزعماء الأتراك قد تبنوها .

هذا وتبدو وجهة نظر الوطنيين الأتراك بخصوص الحضارة الغربية بصورة هامة في الرسالة التالية الجديرة بالقراءة ، والتي وجدت في جثة أحد الضباط الأتراك في معركة - أسكي - شهير الثانية .

هذه الوثيقة ، التي نعرضها هنا هي ترجمة لمقالة رسمية للجريدة الكمالية (بايام صباح) الصادرة في أنقرة في ١٨ كانون الثاني من عام ١٩٢٢ موقعة من قبل أغا يولدز ، أحد مجرمي الحرب الأتراك ، الذي كان قد سجن من قبل البريطانيين في معسكرات الأسرى في مالطة لكي يتم إطلاق سراحهم فيما بعد حيث تم مبادلتهم مع بريطانيين ، كان الأتراك قد قبضوا عليهم كأسرى حرب .

أغا يولدز هو صحفي ذو ثقافة جيدة ويتقن لغات عديدة. إنه أحد الزعماء الوطنيين وعضو سابق بارز في جمعية الاتحاد والترقي حيث يقول .

(عندما علمت أنهم ينظمون احتفالات على شرف هؤلاء الذين انتصروا بالحرب في إينونو* غمرني إحساس غريب جداً . لا اعرف إلى أية أسباب يجب أن أرد أحاسيس مماثلة. كان لدي هذا النوع من الأحاسيس مرة أخرى أثناء عودتي من مالطة عندما سألتني الجميع (ماذا رأيت ؟ ماهو رأيك ؟) .

فقط هذا الذي أستطيع قوله لكم من كل ما أحسست في سانكاريو ، شيء واحد يتميز بوضوح لا يتزحزح ، متفجر كالبركان راسخ كالإيمان بالله لا ينتهي كالزمن والظلام : الحقد ضد البريطانيين .

الحقد ضد البريطانيين ، في هذا القاموس يعتبر ضبط النفس وقاحة ، وتعني الحقيقة السوء والشر ، والفضيلة والحضارة ، التي يجب أن تكون عليها المبادئ

* إينونو قرية بالقرب من أنقرة تم التصدي فيها للقوات اليونانية المهاجمة وإيقافها .

الجوهرية وأساس كل ديانة حقيقية بصرف النظر ما إذا كانت تعتمد على الإنجيل أو لا ، تعني الوقاحة، والحقد والطغيان .

أيها الأتراك الذين سويت مآذهم بالأرض ، والذين تم تدمير قبوركم المقدسة وتم خنق أطفالكم ، تدركون إذا كانت الأركان التي يعتمد عليها دينكم هي أربعة سيكون بالإمكان أن يكون هناك ركن خامس : الحقد ضد البريطانيين .

كل مسيحي هو فخور بأصله الديني واليهودي والذي ينتظر بفارغ الصبر أن يقترب أكثر من المسيح ومريم العذراء يجب أن يعتمد على اعتقاد واحد فقط : الحقد ضد البريطانيين .

في السنة الذهب الصفراء لمذبح الحرية المقدس وفي قواعد الأوثان الصامته والمظلمة يوجد : الحقد ضد البريطانيين .

هنا عدو لناكري وجود الله ، والمؤمنين بالخزعבלات ، والسذج ، ولكل الناس عموماً ، والديدان،والطيور ، والنمور ، والضباع ، وحتى الجبال والأهوار ، وكروم العنب ، والورود ، وكل شيء ، العدو هو انكلترا .

هناك إعصار، يسقي بالدم أسرة الأبرياء ، ويخرب مواطن البشر ويغطي برغوة الشفاه المدماة ، للذين يريدون أن يتسموا . إنها انكلترا .

إذا كان حقاً أن النار يطهر كل شيء ، أواه تركيا أنت زعيمة الشرق ، والغرب أيضاً والعالم أيضاً والعالم الجديد بالإضافة إلى القدم ، اجعلي الحقد شعلة قلبك !

في أقدام الرجال الذين يغادرون إينونو توجد أحذية الجنود البريطانيين ، في الحراب التي جرت ضدنا في بورصة كانت الأعلام الممزقة لبريطانيا الماكرة . كما كانت الأسلحة التي تم تركها في إينونو والقنابل التي دمرت أفيون كاراهيسار بريطانية.

في صدور جثث اليونانيين ، الذين طرحنهم ، أرضاً في سانكاريو ، وفي صدور الجثث ، التي من المؤكد أنكم ، ستطرحونها أرضاً غداً في إزمير جاعلين إياهم يصرخون من الألم ، يوجد قلب الجندي البريطاني داخل زيه الخاص . بالطبع حتى لو أن البريطانيين حاربوا أنفسهم ضدنا لما كانوا تصرفوا بشكل مختلف . لكانوا فتحوا معامل أسلحتهم على مصراعيها لكانوا جمعوا الجنود من مستعمراتهم ، ليحاربوا أولئك بدلاً من هؤلاء. الشيء ذاته يحدث الآن .

إنظروا إليهم مرتدين في الحقيقة ألوانهم البريطانية ، مرتدين من الخارج الأبيض ولكن اللون الأزرق والأحمر في قلوبهم .

هذا هو الإحساس غير المعروف الذي يستيقظ داخلي ، داخلكم ، داخل كل تركيا ، وفي عموم الشرق. وأنت ، يا جيش العظماء والحق ، في كل مرة تقتل فيها يونانياً تدمر حجر الزاوية للإمبراطورية البريطانية.

لهذا من أجل الله ، اقتلوا !

من أجل محبة وطنكم ، اقتلوا !

باسم البشرية التي تبكي ، اقتلوا !

انتقاماً لإخوانكم الموتى ، اقتلوا !

من أجل خلاص العالم وهدوء الجحيم ، اقتلوا !

أواه يا أيها الجنود ، الذين تحاربون ، دعوا الحق ضد البريطانيين يصبح كقنبلة موضوعة في بنادقكم !

أواه يا أيها العمال، العراة ، والجائعين الذين تتصببون عرقاً فليسر في سواعدكم التي يسري بها الدم الحار. الحق ضد البريطانيين .

أواه يا أيها الفلاحون الذين تزرعون الحياة وتحصدون الشقاء ، كما يشق المحراث بعمق الأرض ، هكذا ازرعوا بعمق ، بعمق كبير في قلوبكم .

الحقد ضد البريطانيين .

أواه يا أيها الحكماء الذين تتابعون نشاطاتكم الروحية دعوا الحقد ضد البريطانيين يلهم روحكم . انظروا حولكم وشاهدوا أ توجد دولة أخرى عدا انكلترا تساعد اليونان ؟

هل لدى اليونان أصدقاء آخرين عدا انكلترا ؟

أواه يا جيش العدالة ! في يوم نصرك ، سيصق كل العالم على وجه البريطانيين الوقح .

في اليوم الذي ستنصب فيه رايتك على حدودك الوطنية ، ستتنفس البشرية بسلام ودون خوف .

أحيي الشهداء المجهولين الذين سقطوا ، أحيي الجرحى الشجعان الذين ليس لديهم ضمادات ، وأحيي هؤلاء الواقفين في الخنادق) .

طبعا هذا هو صوت تركيا (الجديدة) .

إن أي معاهدة ((صداقة وتجارة)) بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا كان يجب أن تصدق فقط بشرط التعويض الكامل عن مصالح العامة الأمريكان للخسائر ، التي تعرضوا لها في آسيا الصغرى وبحيث يتم ضمان سلامتهم في المستقبل .

لقد قام العامة الأمريكان بإنفاق مبلغ ضخم في الشرق الأدنى والنتيجة كانت أن نرى المخلوقات البشرية ، التي وجب أن تستفاد من هذه النفقات يتم سحقها أو تشتيتها في أرجاء المعمورة .

قبل القيام بمحاولة بناء الحضارة ، التي دمرت من الضروري بشكل مطلق أن يتم دفع التعويضات وأن يتم إعطاءها ضمانات .

لأنه بخلاف ذلك ، فإن تركيا سوف لن تكون سوى حفرة لا أساس لها سيلقي فيها عامة الأمريكان أموالهم دون جدوى .

الفصل الخامس

بعض وسائل الدعاية التركية

إن وسائل الدعاية كما كانت معروفة أثناء الحرب العالمية ، وكما وصلت بلا شك إلى ذروة فعاليتها هي نوعان.

الأولى هي ذلك النوع الذي يكشف للرأي العام الحقيقة بخصوص قضية أو مبدأ ، بتقديمه الوقائع .

والثانية هي ذلك النوع من الدعاية الذي يخفي الوقائع ، بنشر أخبار ملفقة أو الحقيقة معكوسة ، لكي يتم خداع الرأي العام وحتى تتجه عواطف الناس باتجاه خاطئ .

بصورة عامة ، فإن وسائل الدعاية تتبع طريقتين الأولى مباشرة وتأكيديّة . كالجرائد والمجلات والمحاضرات وأفلام السينما كما تستخدم كل قنوات النشر العام المعتمدة في حملة تثقيف مباشر .

وهذا ما فعله مؤخراً مكتب المعلومات العامة في الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية .

أما الطريقة الثانية ، والتي هي من وجهة نظر البعض أكثر فاعلية فهي التضليل غير المباشر . وبهذه الطريقة تتم محاولة تهئية جو نفسي ملائم بالتدريج لذلك الموضوع ، الذي يخدم الدعاية .

على سبيل المثال ، عندما يتحدث أحد المثقفين الأتراك بسرور وبطرق عديدة ولمدة ساعة إلى الجمهور الأمريكي قائلاً :

((أتصدقون حقاً ، أن أشخاصاً مثلي قد ارتكبوا كل هذه الجازر الفظيعة ، والوحشية والتي يدعي أعداؤنا أننا ارتكبناها ؟)) ، إذ ذاك يضحك جمهور السامعين بالإجماع ، عندها يكون المحاضر قد حقق هدفه .

فجمهور السامعين لا يستطيعون المرافدة بينه وبين هذا النموذج المرعب لأنه يستطيع ببساطة الظهور في لقاءاته الاجتماعية على نحو مختلف مما هو في الواقع ، فهم لم يشاهدوا مذابحاً البتة ، ولكنهم رأوا هذا النموذج التركي الأنسيق ومن غير الممكن أن يقوموا بالربط بين هذين الأمرين سوية ، هذه الدعاية التي يقوم بها الأتراك هي صغيرة بالمقارنة مع الدعاية التي يقوم بها أصدقاؤها بدلاً عنها على رغم الحديث عن وجود مكتب تركي كبير يقوم بالدعاية المباشرة في الولايات المتحدة الأمريكية تم وضع أموال طائلة تحت تصرفه ، يمكن أن يكون هذا صحيحاً أو غير صحيح .

في كل الأحوال ليس لهذا الأمر سوى أهمية صغيرة لأن تركيا قامت بتطوير طريقة أفضل لإخفاء الحقيقة، ونشر الأكاذيب :حيث قامت بوضع أصدقاؤها للعمل بدلاً عنها .

إن المشكلة الحقيقية، التي علينا التصدي لها، هي هؤلاء الذين يمثلون الجماعات من ذوي المصالح المختلفة ، والذي تقتضي مصلحتهم أن يأخذوا جانب تركيا ،هذه المصالح التي تعمل عن قصد أو عن غير قصد بالدعاية لتركيا بدلاً عنها .يبدو أن المصالح الاقتصادية هي مستعدة بشكل كامل للقيام بإخراج الكسثناء التركية من النار، لأن مصلحتهم تقتضي أن يكسبوا عطف الحكومة الوطنية التركية . لأنه بخلاف ذلك لن يكون بمقدورهم القيام بممارسة نشاطاتهم الاقتصادية في آسيا الصغرى .

من جهة أخرى هناك المصالح السياسية حيث يبدو واضحاً أن حكومات مختلف الدول تفضل عدم السماح لشعوبها معرفة تركيا على حقيقتها ، لأنهم لو عرفوا حقيقتها لما كان بوسع حكوماتهم القيام بعقد اتفاقيات مفيدة مع تركيا عدا عن أنهم كانوا سيضطرون تحت ضغط الرأي العام إلى القيام بالهجوم عليها .

أخيراً يوجد بعض ممثلي مصالحنا الخيرية ، التي يبدو أنهم يشعرون بأن واجبهم يقتضي إخفاء الحقيقة ، لأنه لو عُرِفَت هذه الحقيقة لكان من الممكن أن يقوم الأتراك بطردهم على نحو كامل من الأناضول .

إذا كانت الأحداث الحقيقية المتعلقة بمصير الحضارة الغربية التي قامت أمريكا بوضع أسسها في تركيا ، لم تعرف على نحو أفضل ، فإن ذلك يعود ربما للموقف الصعب الذي وجد القائمون على هذه الحضارة أنفسهم فيه، فعليهم إما أن يبدوا الاستعداد للاستمرار في عملهم في تركيا ضمن ظروف مختلفة بالكامل أو أن يتبعوا ذلك الجزء من السكان ، الذين تم إبعادهم من البلاد ، فلا زال لتنظيماتهم ممتلكات في تركيا .

فضلاً عن أن انسحابهم من ميدان أعمالهم كان سيعني قبول الهزيمة ، مع النتائج المماثلة للذين يقومون بتمويلهم . لهذه الأسباب ، فقد قام العديد من الكادر التعليمي و التبشيري ، بتبني موقف مسايير لتركيا على نحو واضح أملاً منهم في الاستمرار بعملهم .

من خلال كل هذه العوامل ، يبدو الموضوع غامضاً على نحو يدعو لليأس كما أن سوء الفهم يجد أرضية خصبة .

فلنقم بفحص هذه المعطيات ، التي ستستخدم في كشف الوجهة العامة للأمور بالتسلسل .

ففي أحد أعداد مجلة ((التاريخ المعاصر)) مقالة مكتوبة من قبل القبطان أرثور تسيستر، والذي كان مهتماً مع والده نائب الأميرال تسيستر بالامتيازات ذائعة الصيت ، حيث كانوا يدعون بأن مسؤولية الظروف ، التي سادت في آسيا الصغرى ، تقع على عاتق اليونانيين والأرمن وليس على عاتق الأتراك كانت المقالة تمدح بطريقة محكمة أعمال الحكومة الوطنية التركية ، وكانت

المقالة كاذبة في كل تفاصيلها ، ولكن عدداً من الأشخاص صدقوها وحدث الضرر .

بعد ذلك بقليل قامت الحكومة التركية بالتصديق على الامتيازات العائدة لتسيستر . وفيما يخص الوقت الراهن ليس من المهم أن تكون هذه المنشآت الآن في أيدي غير أميركية .

كانت حكومات الدول العظمى تعرف كل الحقيقة بخصوص دمار مدينة إزمير ، وعلى الرغم من ذلك فقد تركوا شعوبهم لكي يملكهم الشك حول من أحرق مدينة إزمير وبذلوا مساعيهم لكي يظهرها بدرجة أقل الحجم الحقيقي للمجازر.

عملوا ذلك على نحو جلي لإحساسهم بالذنب لأنهم كانوا قد سمحوا لتركيا أن تفعل ما تشاء ولأنهم أرادوا أن يربحوا رضا الأتراك على طاولة المفاوضات في لوزان .

هذا وكان الحلفاء قد حاولوا بالاتفاقيات التي وقعوها فيما بعد مع تركيا أن يضحوا بالتزامهم الأخلاقية لقاء مصالحهم الاقتصادية .

في هذا السياق كان الدكتور مارك كورد من اللجنة الأمريكية للبعثات التبشيرية شاهداً في أعوام ١٩٢٠ و ١٩٢١ على أعمال التهجير القسرية من قبل الأتراك لقرابة ٤٠ ألف يوناني وأرميني من منطقة خاربوط .

حيث شاهد قرابة ٢٠ ألفاً من القتلى بالإضافة إلى مشاهد من الفظائع التي لا توصف . وقد قام الدكتور كورد أثناء عودته إلى إستانبول ، بذكر هذه الأحداث للمندوب السامي الأمريكي ، الأميرال بريستول ، الذي أجابه بأن سياسة الحكومة الأمريكية كانت تقتضي في ذلك الحين عدم التدخل في الشؤون التركية تحت أية ظروف كانت .

وطلب من الدكتور كورد ألا ينشر كل ما كان قد رآه ، لأنه كان بإمكان هذا الأمر أن يتسبب في حالة عداة مع الأتراك وأن يلحق الضرر بعمله ، والذي كان (الأميرال بر يستول) يحاول القيام به أي أن ينجح في إنشاء علاقات صداقة وتجارة بين الولايات المتحدة وتركيا .

هذا وقد رفض الدكتور كورد الخضوع لسياسة الكتمان وقام بنشر تقريره في لندن ، الأمر الذي عرضه لتوبيخ شديد من قبل الأميرال بر يستول الذي على الرغم من تقبله لحقيقة كل ما كشفه الدكتور كورد ، فإنه خالفه الرأي في الفائدة من قول هذه الحقائق للعامة .

بعد ذلك بفترة وجيزة ، وفي حديث مع مسؤول أمريكي رفيع المستوى يفضل عدم ذكر اسمه قام المندوب السامي الأمريكي في إستانبول بالإدلاء بالتصريح التالي :

١- إن الأرمن لم يكونوا حمقى فقط ولكنهم كانوا أيضاً غير موالين للدولة عندما عبّروا عن تعاطفهم مع اليونانيين في صدام اليونان مع حكومة أنقرة .

٢- إن الأرمن بتصرفهم المثير للقلق تسببوا لأنفسهم بكل هذه المذابح وأعمال التهجير ، التي تعرضوا لها ويبدو أنهم سيتعرضون لمذابح وأعمال تهجير أخرى .

٣- إن الأرمن كأقلية قومية ليس من حقهم المطالبة بأرضٍ في تركيا .

٤- إن الأشخاص الذين يعملون في أمريكا من أجل القضية الأرمنية هم في الواقع من أسوأ أصدقاء الأرمن .

هذا وكان الأميرال بريستول قد نصح رجال البعثات التبشيرية في الاجتماع السنوي المنعقد في إستانبول في تموز عام ١٩٢١ ، ألا يرسلوا إلى الولايات

المتحدة الأمريكية تقارير عن المذابح ، تمثل وجهة نظر واحدة ولكن أن ينظروا للأمر من كافة جوانبه حتى يروا الأحداث من وجهتي نظر مختلفة ! وكانت إحدى برقيات الأدميرال بريستول مسؤولة عن واقعة اللاجئين الأرمن ، الذين كانوا قد تجمعوا في ديريدزي من إيزميت في حزيران من عام ١٩٢١ ، لكي يستقلوا سفينة أمريكية ، حيث تم منعهم من ركوب السفينة فضلاً عن إجبار القلة ، الذين كانوا قد ركبوا السفينة على النزول منها . وقد حدث هذا من مبدأ أن ، إعطاء الإذن للاجئين بالصعود إلى السفينة الأمريكية هو خرق لمبدأ الحياد مما كان سيعني انعدام الثقة بالحكومة التركية .

هذا وكان السيد مارك .و. برينتينس المندوب القدم للـ(نير إيست ريليف) قد قام في شتاء عام ١٩٢٣ ، بنشر تقرير عن الدمار الذي حل بمدينة إزمير مشابه لتقرير القبطان تسيستر نافياً فيه وجود أي مسؤولية للأتراك ، ومحلاً مسؤولية حرق المدينة على عاتق الأرمن واليونانيين الذين كانوا هم أصلاً ضحاياها .

كما كان الأتراك قد قاموا أثناء المذابح التي جرت في خاربوط ، على إجبار إحدى الأمريكيات ، التي كانت تعمل في حقل الرعاية الصحية وكانت موجودة آنذاك في أنقرة ولكنها متوفاة الآن ، على التوقيع على تصريح تقول فيه أن لا علم لها بمحدث مذابح للأرمن في خاربوط .

وكان هذا يبدو بمثابة نفي لمسؤولية الأتراك عن المذابح ، غير أن ذلك كان تحريفاً للحقيقة ، لأن المذابح موضوع البحث كانت لليونانيين وليست للأرمن .وعدا عن ذلك فقد كانت الرقابة صارمة ، إلى حد لم يكن لدى الناس في أنقرة أي فكرة عما كان يجري في خاربوط .لكن ...كم كانت طريقة الأتراك هذه ، فعالة !

وفي أغلب الحالات ، التي كانت تحرف فيها الحقيقة بخصوص الأحوال السائدة في تركيا ، نرى أن العامل أو العوامل التي كانت تختبئ خلف هذا التحريف كانت الرغبة في أخذ موقف ودي تجاه تركيا بغية تحقيق هدف محدد .

على كل حال يجب أن نستنتج أن من الواضح أنه يتم خداع أصدقاء تركيا الذين لا يسعون للربح أو يتم تزويدهم بمعلومات خاطئة . هذا وكان العدد الصادر في ١٣ حزيران من مجلة ((ينيسون)) يتضمن مقالة مكتوبة بخط أرثور موس وفلورينس جيليام بعنوان ((الأسطورة التركية)) ، والتي سأعرض لها بإسهاب لأنها تعبير نموذجي عن وجهة نظر هذه المجموعة من مروجي الدعاية .

يتطرق المؤرخون لإحدى الجماعات الغربية ، التي كما يقولون ، دافعت عن الحضارة الإسلامية ، مبتدئين بالجنرال هربرت ، الذي كان قد كتب خصيصاً للحكومة الأمريكية محرراً إياها بشدة على قبول الوصاية على كامل الأناضول .

وكما يبدو لم يكن لدى الجنرال هربرت ثقة كبيرة في قدرات الأتراك الإدارية .

أما الشخص (الغربي) الثاني الذي يتطرق إلى الموضوع فهو السيد خ. تر . دوايت من قسم الشرق الأدنى في وزارة الخارجية. ففي محادثة جرت مع المؤلف يعترف السيد دوايت بأعمال الأتراك المخزية حيث كان رأيه فيهم بعيداً كل البعد عن الإيجابية .

الشخصين الآخرين الذين تم التطرق لهما هما السيد خ. تر. ويلس والسيد أنا تول فرانس .

يضيف المؤرخون المقتطف التالي من (موجز تاريخ العالم) لـ(ويلس)قائلين:

((إذا كان لدى القارئ أية أوهام من أن المد الإسلامي قد أخضع حضارات راقية سواء كانت هذه فارسية أو يونانية أو رومانية أو مصرية ، فإن إسراره بطرد هذه الأفكار من ذهنه هو أفضل .

لأن الإسلام كان في حقيقة الأمر أفضل من نظم شؤون الحياة الاجتماعية و السياسية وفقاً لما هو سائد لمعايير ذلك العصر لذلك استطاع الانتصار على تلك الحضارات)) .

في النص الذي يشكل جزءاً منه المقتطف المذكور أعلاه ينظر السيد ويلس إلى الإسلام بشكل خاص كديانة و حضارة عربية .

يجب ألا ننسى بأن محمد (ص) كان قد ولد بعد المسيح عليه السلام بـ ٥٨٠ عام ، فيما كان الأتراك قد دخلوا آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر ، أي بعد ٥٠٠ عام تقريباً .

ويتحدث السيد ويلس عن الإسلام في هذه القرون الخمس بشكل ممتاز بخلاف التسعمئة سنة الأخرى التي تلتها . في الواقع يكتب ويلس قائلاً :
(لقد استمر الزخم الروحي للإسلام إلى أن انقضى عليه الأتراك) . هذا و إن استخدام المقتطف الأول ، كما فعل مورخو(الاسطورة التركية) هو مضلل إلا إذا كان أحد يعرف الأحداث .

وفيما يخص السيد اناتول فرانس ، يكفي القول بأن أمامي كراس رائع مكتوب بقلم هذا الكاتب ، يدعم فيه الحملة اليونانية ضد الأتراك في آسيا الصغرى عارضاً الأسباب التي تجعله يعتقد بوجوب وضع مدينة ازميز تحت الإدارة اليونانية .

أما المقالة التالية المخالفة للحقيقة فهي التصريح الذي تم فيه مؤخراً جرد للمذابح الأرمنية رافعاً فيه إجمالي عدد الضحايا إلى ٣٥ مليوناً .

يجب أن يكون هناك شيء من الواقعية لأن من المعروف أن تعداد الأرمن لم يتجاوز الثلاث ملايين .

ولكن المذابح الأرمنية استمرت على مدى عدة أجيال و إذا كان متوسط إجمالي سكان أرمينيا هو ثلاث ملايين ، يبدو واضحاً أنه على مدى ستة قرون وبمعدل خمسة أجيال في كل قرن من المحتمل جداً أن يكون الأتراك قد أبادوا فيه ٣٥ مليوناً وعلى الرغم من ذلك استمر عدد قليل في البقاء .

ومن خلال هذا (التأكيد) ، يشير الكتاب إلى أن : (التقارير التي يتضمنها عرض السيد برايس حول المذابح ، هي بدون أدلة قاطعة وقد اعتمدت بالكامل على إشاعات) .

بابتعادنا كثيراً عن فكرة الإشاعات فإن هذه التقارير تعتمد على نطاق واسع على شهادات من مصادر موثوقة ، وفقاً للرئيس السابق لاتحاد الحقوقيين الأمريكيين ، كانت ستصبح مقبولة دون جدل من إحدى المحاكم .

بإضافة بعض التقارير الموجهة للسيد برايس فإن لجنة كينغ - كراين (التي كان قد تم إرسالها من الولايات المتحدة الأمريكية لتفقد الحالة في الشرق الأدنى) كانت قد أكدت على أن هذه التقارير كانت على نحو خاص موضع ثقة بسبب المعلومات الاستثنائية ، التي تضمنتها .

وتستمر المقالة بالتصريح من أنه (لا يمكن أن يكون هناك تكذيب أكثر تأكيداً للاتهامات المزمعة التي تطلق بحق تركيا من تصرف الجيش التركي ذاته أثناء الهجوم الذي جرى مؤخراً ضد مدينة إزمير) وأن ، (رجال كمال كانوا قد تصرفوا بتهذيب ونظام إلى الحد الذي أثاروا فيه إعجاب المراقبين الغربيين) .

فالمئات من شهود العيان وضباط البحرية ، وموظفي القنصليات ، والمهتمين بشؤون الرعاية الصحية ، و أشخاص عاديين ، ومراسلي الصحف ، يشهدون

على أن ، جيش كمال قام بنهب إزمير ، وحرقها بالكامل باستثناء الخي
التركي ، كما قام بقتل الآلاف من سكانها وتهجير الباقين .

ويشير المؤرخون باستمرار إلى عظمة الجيش التركي الذي ، (لم يسعَ وفق
هؤلاء إلى الشروع في أعمال انتقام لما جرى سابقاً عام ١٩١٩ عندما قام
اليونانيون بقتل ٤ آلاف تركي) .

من الواضح أنهم يشيرون إلى نزول القوات اليونانية في إزمير (بعد دفعهم
من قبل الحلفاء) في ١٥ أيار من عام ١٩١٩ ، عندما رد الأتراك على
احتلال المدينة السلمي بقذائف المدفعية وتسببوا بتبادل إطلاق النيران ، الذي
استمر زهاء الساعة .

وكانت لجنة الحلفاء ، التي تشكلت إثر ذلك مباشرة لكشف الواقعة ، قد
قامت بوضع المسؤولية على عاتق الأتراك وقدرت عدد الضحايا آنذاك من
الجرحي والموتى بين ٣٠٠ و ٤٠٠ شخص . هذا وكان السيد جورج
خورتون القنصل الأمريكي العام ، والذي كان مقيماً آنذاك في إزمير قد
صرح بأن اليونانيين كانوا قد قاموا بالدفاع عن أنفسهم في حالات
الاستفزاز القصوى وقد قدر عدد الضحايا بـ ١٥٠ شخصاً .

أخيراً فلننظر إلى التصريح ، الذي ينسبه المؤرخون إلى الكولونيل هاسكيل من
الصليب الأحمر الأمريكي :

((يجب أن تقوم أمريكا بإطعام نصف مليون تركي تعرضت أرضهم للتدمير
عمداً من قبل اليونانيين المنسحبين بدلاً من مساعدة اليونانيين والأرمن الذين
بقوا مكتوفي الأيدي منتظرين قيام أمريكا إعطائهم الوجبة التالية .

إن الأقاويل التي تتحدث عن فظائع الأتراك ، والتي تسري في أوساط رعايا
الكنائس الأمريكية هي مجموعة أكاذيب . أعتقد بأن اليونانيين والأرمن هم
متوحشون وليس الأتراك)) .

ما إن قرأت هذا التصريح في ((الأسطورة التركية)) ، حتى توجهت إلى الإدارة المركزية للصليب الأحمر الأمريكي ، التي قامت بإصدار التصريح التالي:

((لقد لفتوا انتباهنا إلى تصريح تم نشره في (ينيسيون) بتاريخ ١٣ حزيران نسب إلى الكولونيل هاسكيل يشير إلى علاقات الأتراك مع اليونانيين والأرمن .

ليس بالإمكان الاتصال هذه اللحظة مع الكولونيل هاسكيل ، ولكن قبل فترة كان هناك تصريح مماثل إلى الحد الذي يفترض فيه الشخص بأن التصريح الثاني ليس سوى تكرار للتصريح الأول ، الذي كان قد نسب إلى الكولونيل هاسكيل و بما أن القاضي باين ، رئيس الصليب الأحمر الأمريكي كان قد اتصل معه حيث قال له :

((إن الكولونيل هاسكيل يصرح بأنه لم يدل البتة بأية حال بتصاريح مماثلة أثناء تواجده في منطقة المعارك الناشبة بين الأتراك و اليونانيين . هذا ويعتبر الكولونيل هاسكيل ، بأن تصاريح مماثلة ما كانت ستناسب ضابطاً في الجيش الأمريكي ورئيساً لمنظمة أمريكية محايدة تعنى بشؤون الرعاية الصحية !)) .
((وبموجب مذكر أعلاه يبدو واضحاً أن الكولونيل هاسكيل لم يدل بهذا التصريح الذي نسب إليه)) .

أخيراً تعبر المقالة عن وجهة النظر القائلة ، بأن ، ((تركية ليست إسلامية أكثر مما إيطاليا هي كاثوليكية)) .

وهذا الاعتقاد هو حقيقي ، بصورة أساسية لأن تركيا ليست على أي حال البلد الوحيد الذي يسود فيها الدين الإسلامي .

لكن إذا كان عندها الرغبة بإعطاء الانطباع بأن تركيا الحالية قد ابتعدت عن الإسلام ، فإن هذا الاعتقاد هو كاذب .

فعدا عن بعض الجماعات التركية من ذوي الثقافة الأوروبية في إستانبول وفي مدن أخرى ساحلية ، فإن السكان الأتراك برمتهم من أدرينوبول وحتى جبل أرارات ، لازالوا إسلاميين بالكامل سواء في وجهات النظر وحتى في طريقة حياتهم .

وكما كتبت الدكتورة مايمبل في كتابها الذي صدر حديثاً ((مبتدئاً مرة أخرى من آارات)) والذي كُتب بعد خدمة أربع سنوات في مختلف مشافي الأناضول ، حيث تقول ((لا يستطيع المرء أن يرى وجه امرأة تركية عندما يتعد عن شواطئ المتوسط)) . ولا نستطيع القول بأن الشعب الذي لازال تراثه الديني يحظر على المرأة الكشف عن وجهها قد اتجه على نحو كبير باتجاه الحضارة ، كما نفهمها نحن .

برهان آخر هو تسريح جميع موظفي الحكومة من غير المسلمين بعد التوقيع على معاهدة لوزان .

وبخصوص نظام الحريم الذي يفترض أنه تم إلغاؤه وحزب النساء الذائع الصيت ، يكفي أن نضيف أدناه التصريح الذي تم نشره مؤخراً للسير السابق جيرا رد ، بخصوص إحدى زعيمات هذا الحزب :

((فخالدة خانم خريجة المعهد الأمريكي للفتيات في إستانبول ووزيرة التربية في حكومة كمال كانت هي التي قامت بالإشراف حتى وقت قريب على خطف آلاف الفتيات من ذورهم ودفعهم إلى دور الحريم التركية بالإضافة إلى قيامها بتسليم آلاف النساء الشابات للجيش التركي من أجل أهداف وضيعة)) .

لقد تم تعيين عدنان بك زوج خالدة خانم سفيراً لبلاده لدى الولايات المتحدة الأمريكية . وتتم مناقشة أمر هذا التعيين للمصادقة عليه في الكونغرس وإنه لأمر مثير للغضب أن يذكر شخص ما أنه في حال التصديق على هذا

التعيين ، فإن الأمريكيين و الأمريكيات هم مدعوون لتقدم مراسم الاحترام الواجبة لهذا المرأة باعتبارها زوجة دبلوماسي ! .
لا زالت هناك نقطتان فقط موجودتان في (الأسطورة التركية) ، تستحقان التحليل .

الواحدة هي أن أنقرة قد اعترفت باستقلال أرمينيا ، وأذربيجان ، وبلاد الحجاز ، والعراق . وقد اعترفت أنقرة بهذه الدول الأربع ، لأنه لم يكن لديها مجال آخر للاختيار في هذا الشأن ، حيث كانت روسيا قد ضمت إليها أرمينيا السوفيتية وأذربيجان ، كما كانت بريطانيا قد أخذت على عاتقها الوصاية على الحجاز والعراق .

بخصوص البلدين الأولين كان الاعتقاد أنهما سقطا من المقلاة في النار ، ولكن وكما قال أحد الأرمن ، والذي كان غنياً فيما مضى وكان الشيوعيون قد قاموا بالاستيلاء على منزله : إن روسيا الشيوعية هي أفضل من تركيا القومية فعلى الأقل نحن على قيد الحياة . وينتهي المقال إلى التأكيد على أن العالم الغربي أدرك للتو الفرق الكبير بين الأتراك القدامى ورجال تركيا الفتاة ، وأن حكومة كمال تحاول أن تبرهن على أن المصطلح المناسب ليس هو القدامى ولا الفتیان بل (الأتراك الجدد) . الفرق الكبير الذي تمكن فيه المؤرخين من التمييز بين نظام (الأتراك الجدد) هو أمر غير واضح .

من المؤكد أنهم سيشيرون إلى تهجير ما تبقى من الأقليات المضطهدة ، بما أنهم قتلوا الآلاف من هؤلاء ، وقاموا بالاستيلاء على كل ممتلكات هؤلاء البؤساء ومنعوا التلاميذ دون سن الخامسة عشرة من متابعة الدراسة في مدارس أجنبية ، (يقصد بهذا المصطلح المدارس ، التي بحوزة البعثات التبشيرية الأمريكية) ، كما تم إلزام هذه المدارس بتعيين مدرسين أتراك والقيام بدفع رواتب المفتشين الأتراك ، ومنع كل الجرائد اليونانية في إستانبول ، وكذلك منع نشر

أخبار أخرى إلى الخارج عدا تلك التي تنشرها وكالة الأنباء الحكومية (أناضول)، وخطف ١٧٧٠ فتاة يونانية من منطقة القيصرية وإغلاق قسم اتحاد الشبان المسيحيين في إستانبول، والأمر الذي أعطي للمؤسسات الأجنبية بتوظيف ضباط أترك مسرحين تحت طائلة التهديد بمنعهم من ممارسة العمل في تركيا إذا لم يتجاوبوا مع ذلك، والتحريض على هب البطيركية المسكونية في إستانبول وتشتيت أعضاء الجمع المقدس والطلب من المؤسسات غير التركية استخدام اللغة التركية بشكل خاص. وعلى نحو مغاير فقد استمر الوجود الأمريكي في حقل الصحة بذريعة وجود عدد كبير من الأطباء على نحو مسبق هناك وفي مجمل الوقائع التي حدثت بعد التوقيع على اتفاقية لوزان. ويشير كل هذا إلى أن، كل اتفاقية تتعلق بمصادقية الأتراك هي عديمة الجدوى.

هذا وإن الأحوال السائدة في تركيا زمن السلطان العجوز معروفة إلى حد كبير. ففي عام ١٩٠٨ ثار رجال تركيا الفتاة وحدثت مذابح جديدة للأرمن خلال ١٢ شهراً. وأصاب مذباح الأرمن واليونانيين البونديين في آسيا الصغرى في أعوام ١٩١٤ و ١٩١٥ العالم المتحضر بالرعب. ولم تمض سنة لم يحاول رجال تركيا الفتاة البرهان فيها على أنهم لا يختلفون عن الأتراك القدامى سوى في نشاطهم، الذي يسمح لهم بارتكاب فظائع تحت قناع الوطنية.

لقد ولد الأتراك الوطنيون وحزب الأتراك الجدد عام ١٩١٩ وقد رأينا عام ١٩٢٢ دمار إزمير ومذابح وخطف وهب لا سابق لهما. إن تركيا مسؤولة بشكل مطلق عن الطريقة التي تصرف بها، ولا يوجد حتى اليوم أدنى دليل حقيقي، يؤكد ادعائها بأنها فتحت صفحة جديدة.

يجب على العامة الأمريكان أن يدركوا بأن الدعاية التي تعتمد على وقائع هي في المحصلة النهائية مجدية ،بينما الدعاية التي تعتمد على الجهل و التضليل أو العاطفة هي مدمرة .

وعندما يتم إدراك ذلك ،ستقوم تركيا بإصلاحات حقيقية وليس لفظية ،لأنه لن تعطى لها الفرصة للقيام بعمل معاكس .

الفصل السادس

اتجاهات السياسة الأمريكية في الشرق الأدنى

المعروف أن البحرية الأمريكية هي الذراع اليمنى لوزارة الخارجية في كل ما يخص شؤون السياسة الخارجية .

يجب على القارئ أن يضع بعين الاعتبار أنني ألتطرق هنا للبحرية ليس في زمن الحرب، ولكن في زمن السلم وفي إعلان حديث لمكتب مكافحة التحسس التابع للبحرية الأمريكية الذي له علاقة مباشرة بهذا الموضوع كان هدفه شرح أهمية البحرية في الشؤون المماثلة :

يقول الإعلان ((لدينا مصالح كبيرة في الشرق الأدنى لاسيما في التبغ والبتترول . ففي أوائل عام ١٩١٩ كان عدد كافٍ من البوارج الأمريكية يبحر باتجاه إستانبول للقيام بممارسة واجباتها في الشرق الأدنى وذلك على الرغم من أن هذه البوارج هي سفن حربية جيدة تكلفنا سنوياً قرابة ٤/ ملايين دولار كي نحافظ عليها بحالة تسمح بممارسة واجباتها التي لاتساهم في أعداد طواقمها الحربية... لقد تم تقصي إمكانية تنمية المصادر الاقتصادية بعناية لهذه المنطقة من قبل ممثلي المصالح الأمريكية التجارية المختلفة. وقد قدمت البحرية كل مساعدة ممكنة لهؤلاء الممثلين بنقلهم إلى مناطق مختلفة وإعطائهم المعلومات ، التي كان ضباط البحرية قد جمعوها في أسفارهم العديدة في البحر الأسود... ولا تساعد البحرية شركاتنا التجارية الضخمة في تنفيذ الأعمال فقط ولكنها تقوم أيضاً بإخطار شركاتنا التجارية وتقوم بإعطائها المعلومات المناسبة عندما تسنح الفرصة المناسبة لذلك...

هذا وتبقى إحدى البوارج في ميناء صامصون بصورة دائمة لحماية المصالح الأمريكية المتعلقة بالتبغ في هذا الميناء ، حيث أن شركات التبغ المماثلة

هناك هي مرتبطة في الحقيقة بالكامل بالتأثير المعنوي ، للوجود العسكري في الميناء ، كي يقوموا باستلام التبغ المعد للشحن)) .

هذا ولا يتم دفع الـ ٤/ملايين دولار التي تمت الإشارة إليها في التصريح من قبل المصالح الاقتصادية الخاصة ، التي استفادت من هذه الأموال، ولكن من قبل العامة الأمريكان،الذين تم تكليفهم ضريبياً بالكلفة الأولية للبوارج ! وهكذا يبدو بوضوح أن سياسة الإمبريالية الاقتصادية ليست مضرة فقط على المدى البعيد بالمصلحة العامة ، ولكنها أيضاً عبء اقتصادي مباشر على العامة . سيكون من المهم والجوهري أن نلاحظ ماهية نتائج مثل هذه السياسة .فالدكتور جورج . ب . مونتغمري من مجلس الكنائس الفدرالي يشير إلى واقعيتين ، هما مؤشر لموقف الحكومة الأمريكية في الشرق الأدنى حيث يقول ((... قامت البارجة الأمريكية ((أوفرتون)) الراسية في صامصون ، بالذهاب لملاقاة السفن الحربية اليونانية ، التي كانت قد جاءت بهدف قصف الميناء التركي . وقد تلا ذلك مشادة كلامية بين القبطان الأمريكي وقائد الأسطول اليوناني وكنتيحة لتلميحات الأول الواضحة بخصوص الموقف الأمريكي ، قامت السفن اليونانية بالتخلي عن هدفها والإبحار .

الواقعة الأخرى كانت حالة قبطان السفينة التجارية الأمريكية (موبانغ) الذي قام بإنزال ٣/آلاف لاجيء أرمني من سفينته كانوا يحاولون مغادرة ديريتزي حيث كانوا قد وقعوا في الشرك بين الخطوط اليونانية والتركية في معركة خليج إيزميت ، حيث كان القبطان قد تلقى برقية من المستندوب السامي الأمريكي . الأميرال بريستول آمراً بإياه بإنزال اللاجئين والتخلي عنهم وقد خضع القبطان للأمر بامتعاض كبير)) .

لقد قمت مسبقاً بالإشارة إلى الحادثة الثانية من الوقائع التي يعرضها الدكتور مونستغمري وبالطبع ، عندما نتفحصهما بشكل مشترك أو على حدة ، يمكن لكل شخص أن يرى في هاتين الحادثتين تدخلاً جائراً بين هذين الشعبين ، الموجودين في حالة حرب وصرف نظر غير منتظر عن هذا العمل الإنساني المنطقي جداً .

يمكن أن يسمى هذا الأمر حياداً ، ولكن من المشكوك فيه جداً ما إذا كان اليونانيون والأرمن قد اعتبروها كذلك . وقد تم كشف النقاب عن أمر غريب ومناقض لهذه السياسة في الأحداث التالية :

حيث كان الأتراك قد قاموا قبل وقت قليل من اندلاع الحرب العالمية ، بقتل يونانيين في منطقة إزمير ذاتها وكانوا سيخطفون اللاجئين اليونانيين ، الذين كانوا قد التجؤوا إلى المؤسسات الأمريكية . وقد تم إثر ذلك توجيه نداء للمساعدة ، وتجاوباً مع ذلك قامت المدمرة الأمريكية ((تينيسي)) بالإبحار إلى هذا المكان . وعند وصولها إلى إزمير تم اكتشاف أمر تلغيم الميناء وقد رفضت السلطات التركية السماح للطراد الأمريكي بدخول الميناء .

وقد قام آنذاك قبطان تينيسي بالتوجه نحو الميناء بقارب سفينته الكبير ، وقد قامت بطاريات المدفعية الساحلية التركية بفتح النيران على القارب وقد مرت إحدى القنابل التي انفجرت فوق مؤخرة القارب ومرت واحدة فوق مقدمة القارب ، فيما انفجرت واحدة بالضبط أمامها حيث أوشكت أن تقلبها رأساً على عقب . إذ ذاك رجع القبطان إلى المدمرة تينيسي ، واستعد للقيام بعمل طالباً تعليمات أكثر . وقد قام الرؤساء بأمر القبطان بتجاهل هذه الواقعة وعدم خلق مشكلة بسببها . وقد أشار مختلف الأمريكيين بالإجماع آنذاك من أن نتيجة هذا العمل ((الحيادي)) كان حملة حقودة واعتداءات تعسفية ضد حياة وممتلكات الأمريكيان .

وقد قام الأتراك خلال أسبوع بنهب بضائع ما قيمته /٢٠٠/ ألف دولار كانت تخص مواطنين أمريكيين . كما لم بتوقف الأتراك منذ ذلك الحين من إلحاق الضرر بالمؤسسات الأمريكية على الرغم من الاحتجاجات المتكررة من قنصلنا العام . وقد نشبت الحرب العالمية بعد وقت قليل من هذا وحاول الأتراك اعتقال القنصل البريطاني في مدينة ساحلية تركية والذي لجأ إلى القنصلية الإيطالية . وذهب الجنود الأتراك إلى القنصلية الإيطالية وطلبوا بتسليمهم القنصل البريطاني .

ولما لم تتم الاستجابة لطلبهم قام رئيسهم بضرب القنصل الإيطالي وإلقائه أرضاً ثم قام الجنود الأتراك باعتقال القنصل البريطاني وسجنه ، ورفضوا بعد ذلك السماح للقنصل الإيطالي الاتصال بحكومة روما . وقد استمرت هذه الحالة قرابة الشهر حتى اللحظة التي أبحرت من الميناء سفينة إيطالية فر على متنها القنصل الإيطالي وذهب إلى مصر حيث أرسل من هناك تقريراً كاملاً إلى حكومته . هذا وقد أبرقت روما مباشرة إلى إستانبول طالبة تفسيرات وتعويض وأجابت إستانبول بأنها أرسلت لجنة لتقصي الحقائق .

وقالت روما بأنها سترسل لجنيتها الخاصة برفقة سفينة حربية . وما أن وصلت السفينة التي كانت مليئة بالجنود حتى خرج الجنود الإيطاليون وقاموا باعتقال الحاكم العسكري التركي وحاكم المدينة وأجبروهما على الصعود إلى السفينة سائرين بين صفين من البحارة وطلبوا منهما أن يقدمتا الاعتذار علانية على متن السفينة . كما طلبت الحكومة الإيطالية وأخذت قرابة الـ /١٢/ ألف دولار كتعويض .

من الآن فصاعداً كان كل احتجاج للقنصل العام الإيطالي في إزمير يؤخذ بعين الاعتبار بجدية كبيرة على العكس من الأزدياء الذي كان يتصرف به الأتراك مع القنصل الأمريكي العام .

إن لهاتين الحادثتين دلالات بقدر مجلدات كثيرة معاً . فإيطاليا اليوم شيء لم تكنه ذلك الوقت :

فهى صديقة للأتراك . من جهة أخرى فإن أمريكا التي لم تعلن الحرب أبداً على تركيا ، كانت ترتبط معها بمعاهدة ثابتة تم استبدالها للتو حديثاً . حليفة أم لا فإن إيطاليا تطالب باحترام مسؤوليها ومعاملة رعاياها معاملة حسنة وتنجح في ذلك .

لقد أعطى الأمريكان للأتراك حريات مذهشة لم يتم السماح بمثلها من قبل علاوة على ذلك يبدو أن الموقف العام لمعظم ضباط البحرية هو بوضوح صداقة الأتراك . سبيان يمكن أن يكونا مسؤولين عن ذلك .

أولاً : هو أن الأتراك ، الذين يلتقون بشكل اعتيادي مع ضباط بحريتنا هم بالأساس رجال جيدون وذوو مواهب متعددة ، يؤمنون بشكل راسخ في قضاياهم كما أنهم مقنعون بشكل كاف في عرض وجهات نظرهم ، فضلاً عن أنهم دبلوماسيون جيدون ، حيث يحاولون بمهارة أن يكونوا لطيفي المعشر وينجحون في ذلك .

ثانياً : لأن سياسة بحريتنا تروّج بشكل مباشر المصالح التجارية الخاصة، ومن الطبيعي أن يكون رجال بحريتنا مرتبطين بشكل وثيق مع ممثلي هذه المصالح، الذين هم بالطبع أصدقاء للأتراك .

فالأمريكي يجد نفسه في حالة تنافس مع اليونانيين والأرمن وليس مع الأتراك ، لأن ليس للتركي شأن في حقل الصناعة أو التجارة ، فالتركي هو عادة ضابط أو موظف حكومي .

من الواضح أن المزية المباشرة هي أن يكون للمصالح التجارية الأمريكية علاقات جيدة مع رجال الحكومة وهذا ينعكس بدوره على وجهات نظر بحارتنا .

يجب أن نضع في اعتبارنا أن الظروف السائدة في الشرق الأدنى هي فريدة .
فإذا كان من الواجب إدانة سياسة الأتراك ، عندئذ من الواجب إدانة كل
ما يشجعها . حيث أن منح الموافقة الصامتة والدعم المعنوي للأتراك يمكن أن
يعني شيئين: إما أنه يعتبر أن هذه الطرق هي جديرة بالموافقة عليها أو أن له
منفعة في أن يتصنع بأنها كذلك .

إن دمج المصالح التجارية والاقتصادية الأمريكية الخاصة مع السياسة
الخارجية للحكومة الأمريكية هي واضحة .

هكذا فإن الخط السياسي للبحرية الأمريكية التي هي الذراع اليمنى لوزارة
الخارجية هي معدة على نحو مسبق . فالمندوب السامي الأمريكي ومعاونوه
ومرؤوسوه من المسؤولين يميلون إلى مساعدة تركيا لأن الخارجية الأمريكية
تساعدنا . وبدورها فإن وزارة الخارجية تساعدنا لأن هذا يصب في خدمة
المصالح التجارية الأمريكية .

إن التعبير الشعبي في الدول المطلة على بحر إيجه للطرادات الأمريكية هو :
((فيري بوت بريستول)) .

هذا وإن تفسير هذا الأمر موجود في التصريح، الذي أدلى به المكتب
البحري لمكافحة التجسس والذي تم التطرق له في هذا الفصل . حيث يتم
نقل ممثلي المصالح التجارية الأمريكية من مكان إلى آخر ((في رحلاتهم
الاعتيادية)) ويقوم مكلفو الضرائب الأمريكيان بدفع الحساب .

سيكون من المهم هنا أن نعطي فكرة عن كلفة هذه النقلات . فالكلفة على
وجه التقريب متضمنة رواتب الضباط والطاقم والوقود والأطعمة والحفاظ
على جاهزية الطراد كانت عام ١٩٢١ / ٢١٠,٣٠٩ دولار و ٣٥ سنت
كما أن الكلفة التقريبية في كل يوم كانت ٥٧٦,١٩ دولار و ١٢١,٢ لكل
١٠٠ ميل سفر .

إحدى الرحلات الأكثر اعتيادية هي التي تتم في هذه المنطقة من إستانبول وحتى بيريا* والتي تقدر مسافتها بـ ٣٥٧ ميل .

إن كلفة كل مثل شركة بترول أو تنغ قام بهذه الرحلة على متن هذه السفينة البحرية الأمريكية هو تقريباً ٧ آلاف دولار خرجت من جيوب العامة الأمريكيين . على الرغم من أن الأخير لم يحقق أي كسب من هذه العملية .

إنه لأمر حقيقي بالكامل أن هذه الطرقات قامت بتقديم خدماتها ، خصوصاً في إزمير ، في نقل اللاجئين وأن ممثلي منظماتنا الإنسانية قد استفادوا إلى حد معين من تسهيلات النقل الممنوحة لهؤلاء .

لكن من جهة أخرى ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كأمة مهتمة بأمر اللاجئين والاستثمارات في المجالات الإنسانية قامت بدفع مبلغ هام ، لم تقم بدفعه لصفقات ((استاندر د أويل)) التجارية .

إنه لأمر صحيح وعادل بصورة استثنائية أن تقوم سفن البحرية الأمريكية التي تم صنعها والحفاظ عليها بنفقات قام الشعب الأمريكي بدفعها، بتقديم خدمات عامة . ولكن أن يدخلوا في خدمة أهداف خاصة للمصالح الخاصة فهو أمر غير لائق على حد سواء .

إن هذا المكان مناسب لكي نقارب بهدوء هذا الموضوع ، لأنه يجب على الشعب الأمريكي أن يعرف أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية في الشرق الأدنى تتأثر بشدة بالمصالح الأمريكية التجارية الخاصة ، التي من مصلحتها الحفاظ على علاقات جيدة مع الأتراك .

إن نتيجة هذه الواقعة هو أن تصبح الحكومة الأمريكية شريكاً في كل الجرائم التي اقترفتها تركيا في الشرق الأدنى قبل وبعد إتمامها .

* مدينة بيرياميناء مدينة أثينا على بحر إيجه .

ربما إن سياسة حكومتنا هي سياسة الإمبريالية الاقتصادية بدلاً من السياسة الإنسانية. لو لم تكن الأمور كذلك ، لكان ربما بوسع حكومتنا ولوحدها أن تقوم وبدون أن تطلق ولاحتى قذيفة، بمنع الحكومة الوطنية التركية من تنفيذ خطة إبادة الأقليات المضطهدة ، فضلاً عن أن ذلك كان لمصلحة القوى التي كانت موجودة خلف السياسة الخارجية للولايات المتحدة - وكل القوى العظمى الأخرى - في أن تجاري تركيا بدلاً من أن تنتقدها .

لقد لعبت البحرية الأمريكية دوراً في الأحداث ليس دور البطولة ، ولكن الوسيط . لكن هذا لا ينفي كل مسؤولية عن البحرية، لأن السياسة الخارجية التي كانت تعتمد عليها في عملها كانت تصاغ على نحو جزئي على أساس المعلومات ، التي كانت تمنحها مصادر البحرية ذاتها. وكما يبدو أيضاً أن المندوب السامي الأمريكي في إستانبول كان يطلب فرض الرقابة على المعلومات التي تسيء إلى الأتراك ، محاولاً بذلك خلق وجهة نظر مناسبة إزاء تركيا في أوساط العامة الأمريكان للمساعدة على تنمية العلاقات الاقتصادية والتجارية الأمريكية معها . هذا وإن السياسة البحرية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأدنى لم تكن تمثل الكثيرين ولكن القلة. ولم تكن تمثل المصالح العامة للأمة ولكن المصالح الخاصة للإمبرياليين . وكانت كلفة هذه السياسة القصيرة النظر المكرسة لتطوير التجارة هي التضحية بالحضارة الأمريكية في تركيا وخيانة الأقليات المضطهدة .

كان بوسع العامة الأمريكان أن يتجنبوا إنفاق الكثير من ملايين الدولارات لتقدم الرعاية الصحية والاجتماعية والحماية والبناء لمئات الآلاف من الأرمن واليونانيين الذين كان بالإمكان ألا يفقدوا أرواحهم وألا يخضعوا لآلام لا توصف لأمر لازال الربح فيه لأي شخص كان ، عدا الوطنيين الأتراك أمراً مشكوكاً فيه .

الفصل السابع

دور اليونان

بالطبع إن مكانة اليونان في قضايا الشرق الأدنى هي ذات أهمية تاريخية . على كل حال الفترة التي تهمنا هنا بصورة رئيسية هي إجمالاً تلك التي يمتد تاريخها منذ عام ١٩١٤ - وحتى ١٩٢٤ ، لأنه خلال العشر سنوات تم خيانة اليونان والأقليات المضطهدة على حد سواء من قبل الدول الحليفة .

لقد كانت اليونان في البدء العوية ومن ثم ضحية . حين تقف اليوم شهيدة بين الأمم ، لكن دون أن يكون لها مجد الشهيد الظاهري ، لأن هؤلاء الذين ضحوا بها قاموا بعمل كل شيء حتى يبقى العالم جاهلاً بصورة عامة أو في أحسن الأحوال ، أن تكون لديه فكرة ضبابية عن الحالة .

إن قول الحقيقة الواقعية بخصوص تاريخ اليونان الحديث سيساوي لأي من الدول الحليفة إقراراً بذنبها ، لأن هؤلاء الحلفاء ، هم الذين دفعوا اليونان من وضع خاطئ إلى آخر حتى وصلت تقريبا إلى حافة الدمار .

ففي عام ١٩١٤ قام ، الحلفاء ودول المحور كل من جهتها بالتنافس على تقديم المساعدات المختلفة لليونان ، حتى ينجحوا في الحصول على مساندتها في الحرب العالمية . لم تترك الجهتان أية وسيلة مهما كانت مُذلة لم يلجؤوا إليها ، وأية مساعدة مهما كانت كبيرة ولم يقوموا بها .

فمن الوجهة الإستراتيجية كانت مكانة اليونان حساسة على نحو استثنائي . ففي الطرف الآخر لبحر إيجه ، كانت تركيا ، دولة عدوة منذ القدم وحليفة لألمانيا . وفي الشمال كانت بلغاريا والصرب ، الأولى كعدو كامن والثانية كصديق محتمل .

كيف كان سيتم توزيع الأدوار في الشرق الأدنى ؟ .

حيث كان ترجيح كفة الميزان من جهة إلى أخرى يعتمد على ما ستقوم به اليونان . في ذلك الحين ، كان ملك اليونان هو قسطنطين ، زعيم اليونان الأول ، الذي كان قد ولد على الأرض اليونانية . فقد تحرر البلد من النير التركي عام ١٨٣٠ لذا كان زعيماً محبوباً لدرجة كبيرة من قبل شعبه .

وكانت الملكة هي صوفيا ، أخت وليام الثاني ملك ألمانيا مؤيدة بالطبع لألمانيا . بشكل جزئي لهذا السبب وبشكل جزئي بسبب تردد ه على الدخول في حرب بجانب الحلفاء ، فقد دخل الملك قسطنطين التاريخ كصديق للألمان .

ربما كان قسطنطين قد قام بارتكاب أخطاء في سياسته ، ولكن لم يثبت أبداً أنه كان صديقاً للألمان على نحو مرض ، في البداية على الأقل ، الأمر الذي كان مؤكداً - وهنا نجد تفسيراً لموقفه - هو إنه كان معادياً لفينزيلوس ، كان قسطنطين يرى في شخص رئيس الوزراء فينزيلوس زعيماً شعبياً ومؤيداً بشدة لقضية الحلفاء ، ببساطة تهديداً لعرشه .

أراد فينزيلوس الوقوف في صف الحلفاء ، لأنه رأى في هذا فرصة لاسترداد أراض في أوروبا وآسيا الصغرى ، و كانت فيما مضى أراض يونانية ولأنه كان يميل بشكل ودي تجاه الحلفاء .

كان قسطنطين يعتقد إن دخول اليونان الحرب سيجلب لها الدمار إلا إذا كانت سلامة أراضيها مضمونة بالكامل .

كان يخاف أن تقوم المدحلة الألمانية - البلغارية التي دمرت الصرب بإحتلال اليونان لكن ولكي نقوم بتقدير الحالة بصورة مناسبة ، فلنلق نظرة على تاريخ اليونان في الفترة الواقعة تماماً قبل عام ١٩١٤ .

فقد ظهر فينيزيلوس على مسرح الأحداث الدولية للمرة الأولى عام ١٩٠٩ عندما دعتة الرابطة العسكرية للذهاب من موطنه كريت إلى أثينا كمستشار سياسي .

وقد تم تعيينه في العام التالي عام ١٩١٠ رئيساً للوزراء من قبل يورغيو الذي كان ذلك الحين ملكاً على اليونان ، وقد حدثت بعد ذلك بعامين حرب البلقان الأولى .

هذا وكانت اليونان ، قد عرفت ازدهاراً كبيراً في عهد رئاسة فينيزيلوس للوزارة . وعندما قامت اليونان والصرب وبلغاريا بالتحالف عام ١٩١٢ ضد تركيا لتحرير مواطنيهم من النير التركي ، أثبتت سياسته مصداقيتها بالكامل في انتصار تحالف البلقان وما تلاها من حصول اليونان على أراضي بعد التوقيع على معاهدة سلام أصبحت بلغاريا خارج هذا الحلف واندلعت حرب البلقان الثانية . حيث كان الصرب واليونان هذه المرة ضد بلغاريا . لقد انتصر الحليفان وحصلت اليونان على أراضي أخرى كانت تاريخياً أرضها والتي أعادتها ثانية الآن .

وقد أسفرت حربا البلقان وسياسة فينيزيلوس ، عن زيادة مساحة اليونان من ٢٥,٠١٤ ميل مربع إلى ٤١,٩٣٣ ميل مربع كما زاد تعداد سكانها من ٢,٦٦٦,٠٠٠ إلى ٤,٣٦٣,٠٠٠ كان بينهم ٥٠٠,٠٠٠ فقط من غير اليونانيين .

من جهة أخرى كان لا يزال عدد مماثل لليونانيين موجوداً تحت السيادة البلغارية فيما كان عدد اليونانيين الموجودين تحت السيادة التركية يصل إلى ٢,٥٠٠,٠٠٠ لقد كانت اليونان قد استعادت جزءاً من هذه الأراضي العائدة لها ولكن ليس كل الأراضي . إذ ذاك جاءت الحرب العالمية .

وكان الأمر الشائع عموماً هو الإدراك الخاطئ ، بأن اليونان كانت مقسمة في ذلك الوقت إلى معسكرين :

معسكر صديق للحلفاء ومعسكر صديق للألمان .

وفي الحقيقة كانت العواطف الشعبية التي يقودها ويغذيها فينيزيلوس - الذي كان قد شعر أنه تم خلق فرصة لاسترداد ٣ ملايين يوناني يعيشون تحت السيادة البلغارية والتركية مع الأراضي التي يقيمون - فيها بالإجماع في صفوف الحلفاء . وكان الملك قسطنطين أقل استعداداً للعمل .

وبالرغم من كل هذا فقد قام فينيزيلوس في ١٩ آب عام ١٩١٤ ، بعد أخذ موافقة الملك على وضع كل القوات العسكرية والبحرية اليونانية تحت تصرف الحلفاء من اللحظة التي يطلبون فيها ذلك .

وقد تم رفض هذه التقدمة من قبل السفير ادوارد كري بسبب هام هو أن ((التحالف مع اليونان كان سيعني حرباً مباشرة مع تركيا وربما مع بلغاريا)) فيما لم تكن بريطانيا العظمى قد أعلنت في ذلك الحين الحرب على أي من هاتين الدولتين .

كان فينيزيلوس مؤيداً لإعلان الحرب مباشرة دون شروط ضد دول المحور . وكان قسطنطين أقل اندفاعاً وراغباً في الانتظار والبدء ثانية بمفاوضات لاحقاً لأنه لو تغلب رأي فينيزيلوس ، لذهبت اليونان إلى معسكر الحلفاء دون دعوتهم ، منتظراً معاملة عادلة من طرفهم . ولو تغلب رأي قسطنطين ، لكانت البلاد بقيت خارج نطاق المواجهة ، منتظرة إلى أن يقرر الحلفاء الشروط ، التي كانوا سيضعونها لإشراكهم .

وكان هذا الخلاف في الآراء السبب في الصدام الأخير بين الملك ورئيس الوزراء فينيزيلوس .

في الوقت الراهن كان الملك هو الأقوى .

وقد قام فينيزيلوس تحت ضغط الأحداث ، بتقديم استقالته من رئاسة الوزارة في آذار من عام ١٩١٥ وفي نيسان قامت اليونان ثانية بتقديم مساعدتها العسكرية للحلفاء وفق الشروط التالية .

١- أن يضمن الحلفاء سلامة أراضي اليونان أثناء الحرب ولفترة وجيزة بعد نهايتها .

٢- أن يتم تقرير حجم التعاون البحري والعسكري على نحو مسبق باتفاقية لهيئات الأركان العامة .

٣- أن يتم تحديد حجم الأراضي التي ستمنح لليونان في آسيا الصغرى بموجب معاهدة .

وعلى الرغم أن هذه الشروط لم تكن غير منطقية بتاتا ، لم يكن بمقدور الحلفاء قبولها ، لأنهم قاموا في تلك الفترة بالضبط بإعطاء شمال شرق اليونان لبلغاريا وإيبيروس* الشمالية إلى إيطاليا لكي ينعوا هاتين الدولتين بالوقوف في صفوف الحلفاء ! ولم يكتف الحلفاء بهذا مطلقاً .

حيث قاموا في ٣ آب عام ١٩١٥ ، بتوجيه مذكرة طلبوا فيها من اليونان القيام بإعطاء بلغاريا مقدونية الشرقية ، حتى يتم تشكيل حلف بلقاني أكثر ملاءمة لمصلحة الحلفاء .

وقد حاول الحلفاء أن يغذوا حلم التضامن البلغاري الأحق ، على الرغم من أنه كانت هناك أدلة كثيرة على أن بلغاريا قد وقفت على نحو مسبق في صف ألمانيا . في غضون ذلك كان فينيزيلوس قد فاز في انتخابات ١٣ حزيران وصار ثانية رئيساً لوزراء اليونان .

وفي ٥ تشرين الأول عام ١٩١٥ ، وبعد طلب من فينيزيلوس ، قام الحلفاء بإنزال قوة صغيرة في سالونيك .

*إيبيروس إقليم في شمال غرب اليونان على ساحل البحر الأيوني .

مما دفع الملك إلى إبعاد فينيزيلوس في نفس اليوم بسبب هذا العمل .
منذ تلك اللحظة كانت سياسة الحلفاء إزاء اليونان تتأثر على نحو من
اهتمامهم بمصير الجيش ، الذي كانوا يحتفظون به في سالونيك .
ولكن حتى عام ١٩١٧ ، كان هناك مرة أخرى اختلاف في الآراء بخصوص
الطريق ، الذي وجب أن يسلكوه . وكانت الأجندة في اليونان ، بزعميها
الواحد الملك والآخر رئيس الوزراء تقويان وتصبحان أكثر تصميمًا .
وفي غضون ذلك كان الحلفاء مذعورين لمصير جيشهم في سالونيك فقد
قاموا بإتخاذ إجراءات قاسية ضد اليونان .
وقد طلب الحلفاء على التوالي بتسريح الجيش اليوناني ، وتسليم نصف
أسطول اليونان وجزء كبير من سلاح المدفعية ، فيما قاموا في الوقت ذاته
بفرض حصار صارم على شواطئ اليونان .
تلا ذلك ((معركة أثينا)) ، التي تم التصدي فيه لبحارة فرنسيين ، كانوا قد
نزلوا للأستيلاء على عتاد حربي يوناني . فيما كان يحدث ذلك كان
فينيزيلوس يصنع التاريخ .
ففي ١٧ أيلول كان قد عاد إلى مسقط رأسه كريت حيث أصدر إعلاناً
دعاً بموجبه الشعب اليوناني للالتفاف حوله والوقوف في صف الحلفاء .
وقد أدت هذه المبادرة إلى إنشاء حكومة مؤقتة ذي قاعدة مؤقتة في كريت
التي كانت في وضع القادر حتى نهاية العام من تزويد قوات الحلفاء بـ ٦٠
ألف رجل . وعلى الرغم من هذه الواقعة ، فإن الأمر المثير للغرابة بكفاية هو
إن تصرف الحلفاء نحو فينيزيلوس كان بارداً .
بما أنهم اعترفوا بالحكومة المؤقتة فإنهم عملوا القليل جداً لكي يقوموا
بمساندتها .

فألاًنظمة الملكية ذأها فى برىطانىا العظمى وإىطالىا كانت تنظر نظرة سوء لهذا التمرء ضء ملك اليونان ، فىما كانت فرنسا مترءة .

أخىراً فى ١٩ نىسان عام ١٩١٧ ، بعء الثورة الروسىة وءءول أمرىكا الحرب عقق مؤتمر سان ءان ءى مورىن .

كان هذا المؤتمر على نحو قلىل - كئىر تتمء لمعاهءة لءن عام ١٩١٥ ، التى كانت قء ءءءء الأراضى التى ستمنء لإىطالىا ءراء ءءولها الحرب .

أعطىء إىطالىا فى سان ءان ءى مورىن أراضى أكثر فى آسىا الصغرى وتوصل للءفاء لإءفاقىة مماثلة مع اليونان .

هذا وقء وصل عءو مجلس الشىوخ الفرنسى ءونار إلى أثىنا فى ١٠ ءزىران كمبعوئ للءفاء ، لىطلب من الملك قسطنطىن تقءم استقالته .

وقء قام رىئس وزراء اليونان بعء يومىن بإعلامه إن الملك قسطنطىن قء وافق على الانسءاب من الءىاة السىاسىة بءعىىنه الأمىر ألكسانءر كءلىفة له .

عاء فىنىزىلوس إلى أثىنا فى ٢٥ ءزىران ، وصار رىئساً للوزراء فى ٢٧ منه وأعلنت اليونان الحرب بعء ذلك بقلىل على ءول المءور .

كانت اليونان قء ءءلت الحرب فى صفوف الءفاء ، ءىر أها كانت قء استءءمت العنف الءارءى لإ بطل ءور الملك قسطنطىن ومؤىءه .

ولم یغفر الءناء المؤىء للملك لفىنىزىلوس ذلك الأمر أبءاً ولا ءى نسوا ذلك .

أىضاً كانت اليونان قء قامت فى كانون الاول عام ١٩١٧ بإعلام الءفاء بإنها لن تكون فى وءع یمكنها من إءمام العملىات العسكرىة ، التى كانت قء كلفت القىام بها للعام التالى ءون مساعءة اقءصاءىة .

نتىءة لءلك وافقت برىطانىا العظمى وفرنسا والولایات المءءة الأمريكىة على أن تقوم كل منها بإقراض اليونان (٥٠) ملوىن ءولار .

ولأسباب تتعلق بقيمة العملة الأجنبية ، فقد كانت الطريقة ، التي تم اتباعها في هذا القرض وفق التالي:

كانت الدول الثلاث ستقوم بإعطاء اليونان سندات بكمية الأموال المساوية لحصة كل منها في دفاتر خزائنها على أن يقوم البنك المركزي اليوناني بإصدار العملة الورقية المساوية مقابل هذه السندات ، التي من المنتظر أن تتم الموافقة عليها من قبل لجنة الحلفاء الاقتصادية .

كانت الكمية الإجمالية ستعطى لليونان دون أي نقصان بعد ستة أشهر من التوقيع على معاهدة السلام ، غير إن ما حصل كان كالتالي :

بعد استدعاء قسطنطين إلى اليونان عام ١٩٢٠ ، اعتبر الحلفاء أن اللحظة مناسبة كي ينسوا التزامهم كما تم إيقاف باقي دفعات القرض .

لم تكن فرنسا قد دفعت أي شيء ، كانت بريطانيا العظمى قد دفعت قرابة ثلثي حصتها كما كانت أمريكا قد دفعت ١٥ مليون دولار من أصل الـ ٤٨ مليون دولار ، التي كلفت بدفعها .

هكذا فإن الحكومة الأمريكية مدينة لليونان بقرابة ٣٣ مليون دولار .

وفي فترة كانت أثناءها اليونان تكافح لإطعام جيش من اللاجئين ، اهتمت أمريكا بإيصال معظمهم إلى اليونان .

وعدا عن ذلك ، فإن عدم تنفيذ الالتزامات من قبل الدول الثلاث كان أحد الأسباب الرئيسية لفشل الحملة اليونانية في آسيا الصغرى عام ١٩٢٢ ، وقتل وتهجير الأقليات المضطهدة نتيجة لذلك .

طبعاً ليس بالإمكان إخفاء مسؤولية فرنسا ، وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية في هذا الدمار .

لامكان هنا لشرح دور اليونان التاريخي في الحرب العالمية .
مما لاجدال حوله المساهمة التي كانت أكثر من إيجابية ، والتي تمت الإشارة
إليها مرات عديدة من قبل القيادات العسكرية الحليفة ، والذي ليس من
الضروري تكرارها .

يكفي القول إنه لو لم تكن اليونان قد دخلت الحرب لطالت مدتها .
في بداية الأمر كانت مكانة اليونان غير مواتية بوضوح لمصالحها لأنه فيما
كان الحلفاء الآخرين يقومون بتسوية شؤون ما سيكسبونه في الحرب
باتفاقيات ، فإن اليونان لم تكن قد اشتركت في أية اتفاقية مماثلة .

مهما يكن فقد كان رئيس وزراء فرنسا السيد بريان قد أبلغ الرئيس ويلسون
بمذكرة الحلفاء الجماعية ، التي تتضمن إعلاناً عن أهداف الحلفاء العسكرية .
وكانت المذكرة تشير على نحو صارم لهذه الأهداف التي تتضمن تحرير كل
الشعوب المضطهدة الخاضعة لعبودية الأتراك وطرده الإمبراطورية العثمانية من
أوروبا ((التي هي غريبة بلا جدال على الحضارة الغربية)) .

هكذا فبالنسبة لليونان كان أمراً مفترضاً ، عودة ٢,٣٥٠,٠٠٠ يوناني
كانوا لا يزالون تحت النير التركي مع الأراضي التي يقطنونها إلى الوطن الأم
وقد طالب فينيزيلوس في مؤتمر السلم المنعقد في فرساي في كانون الثاني
عام ١٩١٩ بضم شمال إيبيروس وتراقيا وإزمير مع المناطق المجاورة والجزر
الاثني عشر إلى اليونان .

كان هذا الطلب محققاً ، لأن معظم سكان هذه الأراضي كانوا يونانيين ،
كانوا هكذا لقرون ، لكن القوى العظمى لم تكن مستعدة بعد لتسوية
مشاكل الشرق الأدنى بصورة نهائية وهكذا طال أمد المناقشات .

في غضون ذلك نشأت مشاكل مع إيطاليا ، التي غادر ممثلوها غاضبين لقرار
المؤتمر بخصوص فيومي .

وقد أثارت رغبة إيطاليا تحويل المتوسط إلى (بحيرة إيطالية) رد فعل الحلفاء وبعد اقتراح من الرئيس ويلسون تم إعطاء اليونان الإذن بإحتلال إزمير، كي تستبق إمكانية أي تحرك للإيطاليين بهذا الاتجاه .

حدث هذا في ١٤ أيار عام ١٩١٩ ، ونزلت القوات العسكرية اليونانية في ١٥ أيار ، فيما تمكن رجال الدعاية الأتراك من أن يلونوا بحذاقة هذه الحادثة بألوان قائمة جداً . يستحق العناء أن تتوقف هنا قليلاً وأن نتفحص ذلك تحت ضوء الحقيقة .

كان مؤيدو تركيا قد قاموا بعرض مفاده أن نزول القوات اليونانية في ١٥ أيار قد صاحبه أعمال عنف وأن كل ما قام به الأتراك لاحقاً - على سبيل المثال قتل الأسقف اليوناني في إزمير عام ١٩٢٢ - لم يكن إلا انتقاماً وقد ثبت إن كل هذه الاتهامات كانت باطلة .

كما أن القنصل الأمريكي العام في إزمير آنذاك ، السيد جورج خورتون قد صرح على نحو قاطع أنه لم تحدث أية أعمال عنف ، وأن المواطنين الأتراك قاموا بفتح النيران ضد القوات اليونانية وأنه تم قتل أقل من ٢٠٠ تركي في الاشتباك الذي تلا ذلك .

مباشرة تم تعيين لجنة من الدول الحليفة لتقصي الموضوع . وفي تقريرها الذي لم ينشر أبداً ، يشار إلى أن عدد الضحايا الإجمالي يقارب الـ ٥٠٠ شخصاً كان بينهم ١٥٠ من القتلى .

وعدا عن هذا كانت الإدارة اليونانية قد قامت مباشرة بإنشاء محكمة عسكرية عامة ، قامت بفرض عقوبات صارمة ضد ٤٨ يونانياً (تم إعدام ثلاثة منهم) و ١٣ تركياً و ١٢ أرمنياً ويهودي واحد كانت لهم صلة بالأحداث .

كما ثبت أن القوات اليونانية قد تحركت بعد تعرضها لاستفزاز خطير بما أنهم تعرضوا لنيران الرماة الأتراك على مدى ١٥ دقيقة وقبل أن يردوا على مصدر النيران .

هذا وإن إدعاء الأتراك بمقتل ٤ آلاف من مواطنيهم هو كاذب ومضحك في نفس الوقت .

كانت إزمير قد ازدهرت في الستينيات على نحو لم تكن قد ازدهرت فيه إطلاقاً تحت حكم الأتراك . ولكن في غضون ذلك حدثت أشياء كثيرة في نفس الوقت تقريباً ، الذي أرسلت فيه اليونان لاحتلال إزمير ، قام الحلفاء بإرسال مصطفى كمال باشا إلى الأناضول ، ليقوم بالإسراع في نزع أسلحة القوات التركية . الأمر الذي كان بمثابة الخطأ الشنيع ، لأنه أعطى كمال الفرصة ليقوم بتنظيم الحركة الوطنية التركية ، التي كان منتظراً لها أن تغير مجرى الأحداث . وقد تنادى الوطنيون الأتراك للاجتماع في أنقرة في ١٨ كانون الثاني عام ١٩٢٠ ، وتبنوا ((الميثاق الوطني التركي)) الذي يفترض أنه لم يكن مختلفاً عن ((إعلان استقلالنا)) وكان يهدف إلى وضع نهاية للإمبراطورية العثمانية القديمة وإلى خلق دولة تركية جديدة .

كان الميثاق مليئاً بمجمل مهيبة ولكن ، وكما إعلان رجال تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ فقد ثبت بطلانها جميعاً .

هذا وكانت القوات اليونانية قد قامت في ١٩ حزيران من العام ذاته ، بشن هجوم في آسيا الصغرى على القوات الوطنية التركية الجديدة .

كان من الضروري أن توضع هذه القوات تحت المراقبة إلى أن يتوصل الحلفاء إلى تسوية نهائية لمسألة الشرق الأدنى عدا عن أن اليونان كان البلد الوحيد من الدول الحليفة ، التي لديها قوات على الأرض ، حيث كان طبيعياً أن تهتم بذلك .

لقد وصل انعدام الثقة بين الحلفاء إلى حد الصدام .

لقد أخذت بريطانيا العظمى جانب اليونان ، أما فرنسا وإيطاليا فقد وقفتا في صف تركيا لاستيائهما بسبب عدم حصولهما على حصة في الغنيمة ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد قامت اليونان في بدايات تموز عام ١٩٢٠ ، بأخذ الوصاية من المجلس الأعلى للحلفاء كي تقوم بإحلال النظام في كل منطقة شمال غرب آسيا الصغرى ، إلى ما بعد منطقة إزمير وتراقيا أيضاً حيث كان الأتراك قد تسببوا باضطرابات خطيرة .

كما قام الجيش اليوناني بدخول تراقيا ، واحتلال أدرينوبول في ٢٥ تموز حيث تم في غضون أسبوعين إحلال النظام في آسيا الصغرى .

لقد كانت انتصارات الجيش اليوناني تتوالى الواحدة تلو الأخرى مما أدى إلى تقهقر الجيش الوطني التركي إلى أنقرة .

وقد كانت الطريقة الحاذقة والتي تمكنت فيها اليونان من إنجاز الوصاية التي كانت قد كلفت بها ، قد قادت مباشرة إلى معاهدة سيفر بين الحلفاء وتركيا في ١٩ آب .

إن معاهدة سيفر هي إحدى مآسي ما بعد الحرب ، لأنه لم يتم التصديق عليها بتاتاً وهكذا بدا أنه تم إجهاضها .

لو أنه تم تنفيذ هذه الشروط لكان أدى ذلك إلى حل مسألة الشرق الأدنى على نحو أكبر من أي خطة أخرى تم التفكير بها حتى الآن .

كانت المعاهدة تنص على إعطاء تركيا مدينة إستانبول فقط في أوروبا بالإضافة إلى شريط من الأرض حولها .

أما بحر مرمرة ، وشواطئ الدردنيل ومضائق البوسفور فكانت ستوضع تحت إشراف لجنة دولية للمضائق ، كانت ستشكل من قبل ممثلي الدول المختلفة ، فضلاً عن إعطاء مقدونية، وتراقيا وقسم من آسيا الصغرى

(منطقة إزمير) إلى اليونان . وكانت منطقة إزمير ستدار من قبل اليونان على أن تبقى تحت السيادة التركية لمدة خمس سنوات ، كان سيتم خلالها إقرار استفتاء فيما إذا كان سيتم ضم هذه المنطقة بشكل نهائي إلى اليونان كما كانت المعاهدة تنص على منح بلاد ما بين النهرين ، وفلسطين وسوريا الاستقلال تحت الوصاية البريطانية والفرنسية ، وعلى منح أرمينيا الاستقلال وترسيم حدودها من قبل الرئيس ويلسون ، ومنح كردستان الحكم الذاتي . لو أنه تم تنفيذ بنود معاهدة سيفر لأمكن حل كل عناصر مشكلة الشرق الأدنى ، ولتم تخلص الأقليات المضطهدة من النير التركي وفقاً للوعود ، التي كان الحلفاء قد أعطوها ، ولتبقى لتركيا شيئاً أكثر من الأناضول ، الأمر الذي كان سيكون أكثر من كافٍ لتعدادها السكاني .

ولكن فرنسا وإيطاليا عارضتا معاهدة سيفر- والتي بالنتيجة لم يتم التصديق عليها- لأن فرنسا كانت تخاف من أن يكون لنفوذ بريطانيا العظمى في اليونان ما يعطيها السيطرة على الشرق الأدنى ولأن إيطاليا كانت تخاف اليونان كن منافس تجاري لها في المتوسط وهكذا ضاعت فرصة كبيرة لحل مشكلة الشرق الأدنى المعقدة .

كانت إمكانية الوحيدة في جعل معاهدة سيفر فعالة هي أن تتم مساندة اليونان، لأنه ضمن الظروف السائدة، وحيث الجيش الوطني التركي في ساحة المعارك ، كانت إمكانية تطبيق معاهدة سيفر منوطة بتفوق الجيش اليوناني .

كانت سلامة الأقليات المضطهدة مرتبطة مع اليونان ومعها فقط ، ولكن السياسة الاقتصادية للدول الإمبريالية جعلت من غير الممكن أي تنفيذ فعال لمعاهدة سيفر .

في ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٢٠، مات ملك اليونان الكساندر، ابن وولي عهد الملك قسطنطين ، الذي كان الحلفاء قد قاموا بنفيه ، تاركين عرش اليونان خالياً وجرّت انتخابات عامة بعد ذلك بثلاثة أسابيع في ١٤ تشرين الثاني ، تم خلالها توجيه النقد للحكومة فينيزيلوس العسكرية وإرسال أكثرية قوية من النواب الموالين للملك قسطنطين وحزب أنصار الملكية القديم إلى البرلمان . قام على أثرها فينيزيلوس بتقديم استقالته بعد الانتخابات مباشرة غير إن قسطنطين رفض الرجوع حتى يقوم الشعب بالتعبير عن إرادته في استفتاء . كانت نتيجة الاستفتاء مؤيدة للملكية على نحو كاسح ، وهكذا عاد الملك المنفي إلى عرشه في ١٩ كانون الأول عام ١٩٢٠ .

وقد تلا مباشرة عمل اليونان هذا تخلي الحلفاء عنها تقريباً ، وتركها وحدها تقوم بالعمل الذي كلفت به . وقد تحولت منذ تلك اللحظة الانتصارات اليونانية في آسيا الصغرى إلى هزائم .

من الضروري أن نقوم بالتعليق هنا بشكل خاص على هذه النقطة ، التي شكلت منعطفاً حاسماً في الشؤون اليونانية ، ليس لأنها أصبحت كما هي هامة ، ولكن لأنها أعطت القوى العظمى - ومن بينها الولايات المتحدة الذريعة ، التي اعتمدوا عليها في خيانتهم لليونان .

حيث قامت بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا في ٣ كانون الأول ، بإصدار إعلان مشترك تخطر فيه الشعب اليوناني كي لايقوم باستدعاء الملك قسطنطين . وقد تلا ذلك إعلان ثان بعد خمسة أيام ، تعلم فيها الحكومة اليونانية من أنه ، في حال عودة الملك قسطنطين إلى العرش ، فإن اليونان سوف لن تأخذ مساعدة اقتصادية أخرى من قبل الحلفاء وبذلك حُرم اليونان من باقي المبلغ الذي كان يعود لها من قرض الدول الثلاث عام

١٩١٨ والذي كان بالتوازي ٣٣ مليون دولار و ٣,٥ مليون جنيه إسترليني و ٥٦٦ مليون فرنك فرنسي .

إن من المشكوك فيه جداً ما إذا كان للحلفاء حق أخلاقي أو قانوني للقيام باتخاذ إجراء مماثل إجباري ، لأن القرض كان قد أعطي للشعب اليوناني ولم يعطى لجهة سياسية محددة .

تم استقاد اليونان على نحو قاسٍ للانتخابات التي جرت في ١٤ تشرين الثاني والتي كانت نتيجتها عزل فينيزيلوس وإستدعاء قسطنطين .

بالطبع من الصعب أن يدرك المرء الفرق بين هذا العمل وبين ما جرى في الولايات المتحدة التي تم فيها للتو قبل ١٢ يوماً معارضة حكومة الرئيس ويلسون العسكرية والحجىء بحزب الجمهوريين للسلطة .

ويلسون و فينيزيلوس . الجمهوريون وقسطنطين .

إذا كان صحيحاً بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أن تعمل بهذه الطريقة ما عملت . فمن المؤكد أنه سيكون صحيحاً بالنسبة لليونان أن تقوم بتقليد ذلك . ويوافق الخبراء السياسيون في اليونان بأن هذا ، الذي حصل في واشنطن في ٢ تشرين الثاني كان له تأثير على ما جرى في أثينا في ١٤ تشرين الثاني . هذا وقد عقد موقف الحكومة الأمريكية المنتخبة حديثاً الأمور أكثر فقبل أشهر قليلة من انقضاء فترة رئاسته كان الرئيس ويلسون قد عين الدكتور ادوارد كابس ، كسفير للولايات المتحدة الأمريكية في أثينا، شخص مناسب على نحو استثنائي لهذا المنصب !.

غير أنه لم يكن قد تم التصديق على تعيينه من قبل مجلس الشيوخ المعادي للرئيس ويلسون وهكذا ، تم إجبار الدكتور كابس على العودة إلى أمريكا لدى تقلد الرئيس هاردينغ مقاليد الحكم .

وهكذا لم يعد لدى أمريكا ممثل دبلوماسي في أثينا بعد الآن عدا معتمدها وبعض سكرتيري السفارة .

وفي الفترة التي توسطت بين انتخاب الرئيس هاردينغ وتقلده مهام الرئاسة وفيما كان الرئيس ويلسون مريضاً عاد، الملك قسطنطين إلى اليونان في (١٩ كانون الأول عام ١٩١٩) .

إذ ذاك وجدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في وضع غريب نوعاً ما ، في أن يكون لها علاقات مع الحكومة اليونانية وليس مع ملك اليونان .

فلو أنها قامت بإرسال سفير جديد إلى اليونان لكان هذا مضطراً لتقديم أوراق اعتماده إلى الملك قسطنطين ولكان هذا بمثابة الاعتراف الرسمي بالملك وبتقليدها للدول الأخرى لم تكن الحكومة الأمريكية راغبة في القيام بخطوة كهذه على الرغم من حقيقة مفادها أن استدعاء الملك كان نتيجة للإرادة الشعبية . وهكذا كانت أمريكا لاتزال دون سفير في أثينا وما كانت تستقبل بشكل رسمي السفير اليوناني في واشنطن* .

الخطوة تتبع الأخرى فإذا كانت الخطوة الأولى خطأ ، فالثانية ليست بأفضل وبالتالي يجب النظر من جوانب مختلفة إلى الحالة التي نشأت .

إن أول ما يجب أن نأخذه بعين الاعتبار ، هو عنف رد الفعل لفترة ما بعد الحرب . فالولايات المتحدة لم تأت فقط بالحزب الجمهوري إلى السلطة ، ولكنها شجعت الحكومة الجمهورية في البداية على الأقل ، على أن ترفض

* لقد تبدلت هذه الحالة حديثاً ، ففي ١٥ كانون الثاني عام ١٩٢٤ ، أعادت بريطانيا علاقاتها الرسمية مع اليونان وتبعته الولايات المتحدة في ٢٩ كانون الثاني ، والسبب في هذا التغيير ستجدونه في الملاحظة ، التي ستضاف في نهاية هذا الفصل .

بالفعل كل ما قام بدعّمه الرئيس ويلسون شاملة بذلك ((تحالفنا المعقد)) مع اليونان .

كان وضع اليونان في معاهدة سيفر والحملة اليونانية في آسيا الصغرى يُعتبران في إنكلترا في الحقيقة شيئاً يتبع ظاهرة اسمها ((لويد جورج)) وهكذا فقد ألحق سقوط لويد جورج وتشكيل حكومة من قبل بونارلو الضرر باليونان . وكما ذكرنا فقد كانت فرنسا وإيطاليا ، دولاً معادية على نحو واضح .

كانت معاهدة سيفر ستجعل الوضع في الشرق الأدنى مستقراً كما كان سيتم تقريباً إحلال التوازن التام للقوى في آسيا الصغرى ، لكن مع صعود الحكومة الوطنية التركية للسلطة تبدلت الحالة على نحو كبير . فقد دخلت تركيا اللعبة ثانية ووجد الحلفاء أنفسهم في مواجهة موقف صعب محير في أن تؤيد حكومة اليونان الملكية أو الديمقراطية التركية الكاذبة لمصطفى كمال باشا .

كان قسطنطين مثقلاً بتهمة العداء للحلفاء . أما كمال فكان شيئاً مجهولاً ، وكان بمقدور تركيا أن تقدم أكثر كانت الصداقة معها تعني مزايا سياسية ومكاسب اقتصادية في الشرق الأدنى .

لقد شعر صيادوا الامتيازات الاقتصادية بأن ساعتهم قد حلت ولم تتأخر الدول في انتزاع الفرصة .

كان الموضوع مطروحاً بوضوح :

فإذا كان مرتقباً قيام الدول العظمى بتنفيذ التزاماتها إزاء اليونان والقيام بمساندتها ، لكان من الضروري تبني سياسة خارجية إنسانية - لأن الأمر المؤكد تقريباً هو أنه كنتيجة لهذا الدعم لوجدت الأقليات المضطهدة من أرمن ويونانيين آسيا الصغرى نفسها في أمان دائم ، والأهم من بين كل

المسائل لكان تم تدويل إستانبول ولتم تحديد المكان ،الذي سيناسب تركيا كأمة صغيرة غير مؤذية - ولكن لما وجدت مكاسب سياسية وإقتصادية للدول التي كانت ستطبق سياسة مماثلة .

كان ذلك أمراً إنسانياً ومثيراً للغير إذا شئتم وعادلاً حتماً ، ولكن ما من أحد كان سيملاً جيبه بالنقود .

من جهة أخرى فإن خيانة اليونان ودعم تركيا كان سيعني القضاء على الأقليات ، الذين كانوا سيتركون تحت رحمة الوطنيين الأتراك المعروفين بسياسة الإبادة ، وإحياء مشكلة الشرق الأدنى ، وفرصة أيضاً لتحقيق الربح . ولم يكن صعباً على الدول العظمى أن تختار .

لقد تأرجحت بريطانيا وتوصلت بعد ذلك إلى أن تدعم اليونان على الورق وبالأقوال ، موقف غير مجد على نحو استثنائي ضمن الظروف المعروفة كما أخذت الحكومة الأمريكية موقف الحياد الظاهري . وقامت كل من روسيا وفرنسا بالتوقيع على معاهدات مع الحكومة الوطنية التركية ، الأولى في آذار والثانية في تشرين الأول عام ١٩٢١ .

كما قامت إيطاليا بعقد اتفاقية تعاون وهكذا طغت الإمبريالية الاقتصادية هذا وكانت القوات اليونانية والتركية في آسيا الصغرى قد توقفت في أيلول عام ١٩٢١ في سانكاريو ، ووفقاً للمعاهدة التي تم توقيعها بين تركيا وفرنسا الشهر التالي تمت إعادة كيليكيا إلى الأتراك . تلا ذلك مباشرة تهجير سكان كيليكيا الأرمن ضمن الظروف المخيفة المعتادة .

كانت حالة اليونان تدعو لليأس ، فقد رفضت بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف بقسطنطين ، مع إن الدول الثلاث الأولى كانت قد اعترفت بالبرلمان ، الذي تم انتخابه في تشرين الثاني عام ١٩٢٠ (حيث كان الحكم اليوناني ملكياً دستورياً) .

كما توقفت دفعات قروض الدول الثلاث ، وقامت فرنسا بإمداد كمال بالأدوية وكل الحاجات الضرورية والعتاد الحربي ، كما قام الضباط الفرنسيون بالخدمة تحت العلم التركي وكانت روسيا السوفيتية وإيطاليا معاديتين لليونان *

هذا ولم يسمح لليونان باحتجاز سفن فرنسية وإيطالية محملة بكل الحاجات الضرورية والعتاد الحربي المرسل إلى جيش أنقرة . وانسحبت القوات البريطانية من قطاع إزميت الذي تم احتلاله مباشرة من قبل القوات الكمالية .

كما قام الحلفاء بالتخلي عن قرارهم الصادر في ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٢٠ الذي قد منح بموجبه إيبيروس الشمالية لليونان وتم إعطاء هذا الإقليم لألبانيا ولم يسمح لليونان باحتلال إستانبول ، أكثر مناطق تركيا حساسة كما تفاهموا فيما بينهم على تعديل ضار باليونان لمعاهدة سيفر .

إذا كانت اليونان قد أخطأت باستدعائها لقسطنطين فمن المؤكد أنها دفعت غالياً ثمن خطأها .

فمنذ أواسط عام ١٩٢١ انتقل الجيش اليوناني في آسيا الصغرى من الانتصار إلى التوقف ومن التوقف إلى التراجع .

* كانت جريدة ((أثيناكي)) قد قامت بنشر جدول بأسماء الضباط الفرنسيين الذين جاؤوا بعد التوقيع على اتفاقية فرنسا - كمال ، كانوا على اتصال مع حكومة أنقرة للقيام بالخدمة بعد الأول من كانون الثاني في جيش كمال لقاء رواتب مغرية . هذا الجدول هو رسمي وقد صار بين يدي الجريدة عبر جهاز مخبرات مندوب سامي أجني في إستانبول الذي كان مهتماً على نحو خاص بنشاطات فرنسا في تركيا .

((العقضاء : زيل ليفاسير ، كوستاف موزاين . المقدمين : ارتير بلي فيه ، أندريه بيكو ، ساندريل . والنقباء : ريشار فلومبير ، ارنيس تيار ، بول دوندير ، فريدريك كازامبون ، انطوان روسلو دي كرانديس ، بازيل دي كرن ، بيرنازيه)) .

وكانت الطعنة الأخيرة للآمال اليونانية بالنسبة لآسيا الصغرى قد أعطيت على هيئة مذكرة للحلفاء ، كانت تحمل توقيع اللورد كورزون أرسلت إلى أنقرة وإلى أثينا على حد سواء في ٢٧ آذار عام ١٩٢٢ .

كانت المذكرة تقترح حصول هدنة على أن تسبق ذلك موافقة اليونان على سحب قواتها من آسيا الصغرى ((الذي ، وكما تقبلت المذكرة ذلك ، كانت قد ((تسببت)) بها الدول العظمى)) وأن تقبل من جهتها إحلال السيادة التركية على كامل المنطقة .

هذا وقد ساهمت المذكرة أكثر من أي عامل آخر في تدني الروح المعنوية للجيش اليوناني في آسيا الصغرى .

قبلت أثينا هذه المقترحات ولكن تركيا رفضتها وبقيت اليونان دون خيار آخر سوى الاستمرار في الحرب من أجل قضية خاسرة . وفيما كان الجيش اليونان يتراجع تاركاً منطقة بعد الأخرى ، كان الوطنيون الأتراك مستمرين في سياسة إبادة الأقليات المضطهدة بهوس لا يرحم ، على طول مناطق جبال البوند ، في طرابزون وفي عموم الأناضول كان الأرمن واليونانيون يُقتلون بلا شفقة . لقد تحول انسحاب الجيش اليوناني إلى فرار وانتهى إلى الانهيار . في أواسط آب عام ١٩٢٢ كان كمال مستعداً لتوجيه الضربة الأخيرة وبدأ اعتباراً من ١٨ آب أعمال هجوم تضليلية ضد المواقع اليونانية . في البداية في الطرف الجنوبي للجهة ، على طول نهر ميندرو وبعد ذلك في الطرف الشمالي من قطاع بورصة .

وفي ٢٦ آب ، قام كمال بشن هجوم شامل ضد مركز القيادة اليونانية في أفيون كارا هيسار التي سقطت بعد يومين وانهارت على أثرها الدفاعات اليونانية على طول الجبهة وبدأ الجيش اليوناني بالفرار العشوائي .

في ٩ أيلول دخل الجيش التركي إلى إزمير ، القصة التي قمت بسردها مسبقاً مباشرة بعد انسحاب آخر القوات اليونانية منها .

لقد فشلت الحملة اليونانية في آسيا الصغرى ، كما هلكت الاقليات المضطهدة وأصبحت تركيا أخيراً في وضع من يقدم ويقوم بالمفاوضات . أرسلت اليونان إلى آسيا الصغرى من قبل الحلفاء ، الذي تخلوا عنها بعد ذلك . فلم يقدموا لها لا الرجال ولا العتاد الحربي ، ولا الحاجات الضرورية لم يعطوها ولا حتى النقود التي وعدوا بإعطائها . ليس بوسع أية حملة عسكرية أن تحقق النصر دون رجال ، وعتاد حربي وأموال .

كان لصدى دمار إزمير وقع كبير في اليونان ، مما اضطّر حكومة قسطنطين إلى إخفاء أخبار الدمار لبضعة أيام غير أنه لم يكن بالإمكان الاستمرار بذلك طويلاً .

كان هناك دائماً تيار قومي مناهض لقسطنطين في اليونان . وفيما كانت حملة آسيا الصغرى تذهب من سيء ، إلى أسوأ كان هذا التيار يصبح أقوى باستمرار . لقد ثار هذا التيار الآن ، وحاول قسطنطين الحفاظ على منصبه ولكن محاولاته هذه باءت بالفشل .

إذا كان الشعب اليوناني قد أخطأ باستدعائه قسطنطين فإنه كان مستعداً لتصحيح خطئه دون أي تأخير .

أخيراً ثارت القوات المتمركزة في جزيرة خيوس بقيادة العقيد بلاستيراس وتلا ذلك قوات جزيرة ميتيليني وتم اعتقال ضباط الأسطول ، الموالين لقسطنطين . الموجودين في جزيرة خيوس بمساعدة طواقم السفن بعد أمر العقيد بلاستيراس .

في ٢٠ أيلول ، وبعد أسبوع من حرق مدينة إزمير ، طارت إحدى الطائرات فوق مدينة أثينا ملقاة مناشير تدعوا فيها الشعب للقيام بالثورة لإنقاذ البلاد .

بعد بضعة أيام كانت الثورة أمراً واقعاً. حيث قدم قسطنطين استقالته وتم تنصيب ابنه الأكبر يورغيوس ملكاً مكانه .

كما تم تشكيل حكومة جديدة مشكلة بصورة رئيسية من أنصار فينيزيلوس وتم في الليلة ذاتها اعتقال أعضاء الحكومة السابقة بتهمة الخيانة العظمى .

هكذا كان الشعور الشعبي ضدهم بسبب النتائج الوخيمة لسياساتهم إلى الحد الذي كان هناك خطر من أن يتم اغتيالهم لو أنهم تركوا أحراراً .

في هذا السياق كان النظام الجديد قد قام مباشرة باتخاذ إجراءات صارمة تستبق أية أعمال انتقامية ضد الحكومة المستقلة . كما أوضحت الثورة بأن من غير المنتظر أن تأخذ جانب أي حزب وأن هدفها الوحيد هو إيقاف طوفان الدمار الوطني .

ضمن أجواء أكثر اعتيادية كانت الخطوة التالية هو أن تتم الدعوة إلى إجراء انتخابات عامة وأن تتم في النهاية محاكمة الوزراء السابقين أمام محكمة البرلمان العليا .

غير أن هذا الأمر كان غير قابل للتنفيذ لأن مؤيدي هؤلاء الوزراء كانوا لا يزالون في مواقع تمكنهم من إحداث اضطرابات في البلاد إلى درجة لم يكن بالإمكان فيها إجراء انتخابات نزيهة .

هكذا ، وحتى لو كان الأمر من الوجهة السياسية فقط لوجب أن تسبق المحاكمة الانتخابات . كان هناك الكثير مما يجب قوله ومن الجهتين .

ربما الطريقة التي تم اتباعها كانت ظالمة بحق المتهمين ، الذين حرّموا من حقوقهم الدستورية ، ولكن الأمر المؤكد هو أنه كان الأفضل للأمة بمجملها

أن تستقر مباشرة بعد هذه القضية حتى تجد الأمور ثانية مسارها الاعتيادي بأسرع ما يمكن .

هكذا ، تم اقياد الوزراء السابقين وجنرالين أمام المحكمة العسكرية الاستثنائية في ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ على الرغم من احتجاجات السفير البريطاني الذي حاول مرتين التدخل لمصلحتهم .

كانت التهمة المشتركة ضد الوزراء الستة وجنرالات الجيش اليوناني هي أنهم خانوا البلاد عن عمد . لايسعنا المكان هنا أن نتفحص هذا الأمر بشكل موسع . وكانت ذريعة المتهمين هي أنهم تعرضوا بدورهم للخيانة من قبل الدول العظمى ، التي يبدو أن الأحداث التالية أكدتها .

من الواضح أنه تمت محاكمة الوزراء في محكمة عسكرية ، لم يكن لديها صلاحيات كافية وتم الحكم عليهم لجرائم لم يكن قد اقترفوها ، أيضاً في أنهم كانوا من جهة أخرى مذنبين في جريمة قصوى : هي الفشل .

وحقيقة أنهم فشلوا لأنهم خدعوا وتم التخلي عنهم من قبل دول يفترض أنها كانت صديقة لم تغير في الأمر شيئاً .

كانوا قد فشلوا . وقد اعتبر الموت بالنسبة لهم أمراً ضرورياً لكي تبرهن الحكومة للشعب بأنها كانت قوية إلى حد كاف يمكنها من فرض إرادتها .

كانت نتيجة المحاكمة والحكم - لأنه تم الحكم أخيراً على المتهمين الثمانية على ستة بالموت وعلى اثنين بالسجن المؤبد - ترسيخاً للأوضاع الداخلية في اليونان، على الرغم إنه تمت بهذه الطريقة إضافة صعوبات خارجية خطيرة جديدة .

ربما كانت المرحلة الأكثر أهمية للقضية هي تحرك الدول العظمى والذين توقفوا بعد المحاكمة وتنفيذ الأحكام من الاعتراف بالحكومة الثورية .

كان موقف الحلفاء إزاء اليونان بعد استدعاء قسطنطين عام ١٩٢٠ يعود إلى شكوكهم إزاء الملك .

ومن ثم كان على المرء أن ينتظر أن تلقى ثورة ، عزلت قسطنطين وحاكمت حكومته قبولاً حسناً ، وأن الحلفاء في تحول جديد كانوا سيجددون علاقات الصداقة مع اليونان . لم يحدث شيء من هذا القبيل !

وبالفعل - على الرغم أن الحلفاء كانوا قد اعترفوا بالبرلمان، الذي تم انتخابه في تشرين الثاني عام ١٩٢٠ - مع أنهم رفضوا الاعتراف بالملك - فأنتهم لم يعترفوا بحكومة ١٩٢٢ الثورية ، والتي كان واضحاً إنها معادية لقسطنطين وصديقة للحلفاء .

بالتأكيد فإن هذا يشير إلى شكوك الحلفاء ، والذي سيكون من الصعب وصف موقفهم إزاء اليونان أفضل من بيت الشعر القديم :

((لا تستطيع إذا رغبت .

ستكون ضائعاً إذا فعلت .

تستطيع إذا لم تكن تريد .

ستكون ضائعاً إذا لم تفعل)) .

حتى أيلول عام ١٩٢٢ ، تقريباً بعد عام من الثورة ، لم تكن ولا واحدة من الدول الحليفة الكبرى قد اعترفت بالحكومة الجديدة ، التي استمرت بهدوء وشجاعة على رأس عملها بمواجهة أكثر الظروف صعوبة .

حتى تلك اللحظة لم تكن قد جرت انتخابات عامة ، لأن حالة البلاد لم تكن تسمح بذلك وكانت الأسباب الرئيسية لذلك هي واضحة بالكامل .

أولاً : كانت اليونان قد تحطمت كاملة بسبب مشكلة اللاجئين .

فاليونان هي بلد يبلغ تعداد سكانها أقل من ٥ ملايين كما إن ثروتها الطبيعية ضئيلة نسبياً. وقد وجدت نفسها في طريق مسدود عندما زاد

تعداد سكانها بمقدار ٢٥% . هذه الزيادة التي كانت تتكون بصورة رئيسية من النساء ، والأطفال والشيوخ .

تم طرح الادعاء القائل بأن مشكلة اللاجئين ما كانت ستخلق لو لم تحدث الحملة العسكرية اليونانية في آسيا الصغرى وأنه لهذا السبب فإن اليونان تحصد ما تزرع .

غير إن هذا ليس حقيقياً ففي اليونان أكثر من ١,٢٠٠,٠٠٠ لاجئ من بينهم ١٠٠ ألف أرمني و ٢١٠ آلاف من يونانيي آسيا الصغرى من مناطق آسيا الصغرى الداخلية والبوند ، مناطق لم يحتلها الجيش اليوناني بتاتاً ولا حتى كانت اليونان تطالب بوصاية الحلفاء عليها أو بكلمة أخرى ،فإن الـ ١٨٠ ألف من هؤلاء كانوا من تراقيا الشرقية ، التي منحت لليونان من قبل الحلفاء وانتزعت منها بعد ذلك فضلاً عن إن أكثر من ٥٠ ألف منهم من إستانبول .

هكذا فإن أكثر من نصف اللاجئين هم من مناطق ، لم تجر فيها عمليات حربية كما أن قرابة ١٠% هم أجانب الجنسية .

قامت الحكومة اليونانية فضلاً عن تعاونها مع الصليب الأحمر والـ((نير إيست ريليف)) . ومنظمات أخرى بصرف مبلغ إجمالي قدره ٥٣٠ مليون درخمة من أجل تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية وإسكان هؤلاء الناس ، الذين تم القاؤهم في أحضان اليونان بتدخل أمريكي بصورة رئيسية .

علاوة على ذلك فإن الصليب الأحمر الأمريكي والـ ((نير إيست ريليف)) لم يكونا يعملان في اليونان ، وقد تركت الحكومة لتقوم وحدها بتحمل هذا العبء الضخم ، هذا العبء الكبير ، إلى الحد ، الذي كانت ستتحني تحت أعبائه دولة أكثر غنى من اليونان بمرتين . وعدا مشكلة اللاجئين وكعلاقة مباشرة معها فإنه كان يتعين على اليونان مواجهة المشكلة

المزدوجة الضائقة الاقتصادية وعدم الاعتراف بها من قبل تلك الدول الكبرى ، والذين بتنفيذهم فقط لالتزاماتهم لكانوا قد حلوا هاتين المشكلتين تطرقت مسبقاً إلى قرض الدول الثلاث عام ١٩١٨ ، الذي التزمت بموجبه أمريكا وإنكلترا وفرنسا بإعطاء اليونان قرابة ٥٠ مليون دولار لكل منها وأشارت إلى أنه ، تم إيقاف دفعات القرض باستدعاء قسطنطين عام ١٩٢٠ تاركة بريطانية مدينة بـ ٥ مليون جنيه إسترليني وفرنسا مدينة بـ ٥٦٦ مليون فرنك وأمريكا مدينة بـ ٣٣ مليون دولار .

وفقاً لشروط القرض ، وجب إعطاء هذه النقود إلى اليونان بالكامل دون إنقاص أي مبلغ منها وذلك بعد ستة أشهر من عقد اتفاقية سلام ، وعلى الرغم من التوقيع على اتفاقية سلام قبل أشهر عديدة ، فإنه لم يتم دفع هذه النقود لا في ذلك الوقت ولا في أي وقت آخر . وبما إن البنك الوطني اليوناني كان قد قام بإصدار عملة موازية لهذه الاعتمادات فقد وجدت البلاد نفسها في موقف صعب جداً وبصورة إضافية في مواجهة مشكلة الاهتمام بقرابة الـ ((١,٢٥٠,٠٠٠)) لاجئ الأمر الذي جعل الحالة خطيرة جداً وهي مستمرة في أن تكون كذلك .

كما وجد مناسباً دفع قرض صغير لليونان تحت رعاية عصبة الأمم . حيث كانت الخطة ترتأي منح الحكومة اليونانية قرضاً مقداره ٣٠ مليون دولار بمساعدة عصبة الأمم ، سيدفع بنك إنكلترا مقدماً بموجبها مبلغاً قدره مليون جنيه إسترليني على أن تضع اليونان ١,٢٣٥,٠٠٠ دوغم في مقدونية التي يقيم فيها لاجئون تحت تصرف اللجنة المسؤولة عن هذا القرض. أما فوائد القرض فكانت ستدفع بضمانة الحكومة اليونانية ومن مداخيل اللجنة التي كانت ستدفع من ريع تأجير الأراضي ، وقد تعهدت اليونان بالالتزام

بعدم فرض ضرائب على مداخيل اللجنة إلا إذا دعت الحاجة في أن تطابق التزاماتها الخارجية حتى تصل العملة إلى قيمتها الطبيعية .
وأنه لأمر مؤسف أن اليونان لم تُثَرَك حتى تقوم بالتصرف بهذا القرض الغير كافٍ وحدها .

فمشكلة اللاجئين هي مشكلتها ، على الرغم من أنها لم تخلقها هي .
فضلاً عن ذلك يبدو واضحاً لو إن فرنسا وإنكلترا وأمريكا قامت بإعطاء اليونان الأموال التي وافقوا على إقراضها لليونان عام ١٩١٨ لما كان القرض الحالي ضرورياً .

أخيراً كان على حكومة ملك اليونان يورغيو أن تواجه مشكلة خارجية خطيرة بخصوص إبرام معاهدة سلام .

كانت اليونان بحاجة إلى السلام لأنها كانت تقريباً في حالة حرب مستمرة منذ عام ١٩١٢ وحتى عام ١٩٢٣ . علاوة على أنه لم تكن هناك مشكلة سلام بشروط مقبولة لليونان بعد فرار حلفائها السابقين ولكن سلام تقريبي ((بكل تضحية ممكنة)) .

هكذا، تم التوقيع على معاهدة لوزان في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣ بين تركيا والحلفاء عدا أمريكا ، التي لم تكن قد أعلنت أبداً الحرب ضد تركيا سوف لن نتطرق بالتفصيل لهذه المعاهدة . يكفي فقط القول أن تركيا خرجت منتصرة في كل القضايا الهامة .

فقد رجعت إليها تراقيا الشرقية ، وقد أرجعها ذلك إلى أوروبا ثانية وضمّن لها من جديد أن تكون إحدى الدول التي يؤخذ رأيها في مشكلة الشرق الأدنى . وبالرغم من كل ما كانت تستحقه ، فقد اكتفت اليونان أن تأخذ فقط ما قدموه لها :

أي السلام ، كان السلام الضرورة القصوى وقد تم التوقيع عليه .

أيضاً كان لا يزال لدى الإمبريالية إيماءة تلوح بها . فبعد شهر تقريباً من التوقيع على معاهدة لوزان في أواخر آب عام ١٩٢٣ ، تم اغتيال المندوبين الإيطاليين الذين اشتركوا في اللجنة التي كانت قد أرسلت لترسيم الحدود بين اليونان وألبانيا . وعلى الرغم أن القتلة كانوا على الأرجح ألبان ، فقد قامت اليونان بتقديم الاعتذار مباشرة وأعربت عن رغبتها في التعويض عن عائلات المندوبين .

غير إن رئيس وزراء إيطاليا ، موسوليني لم يكتف بذلك وقام بإرسال الأسطول الإيطالي إلى جزيرة كير كيرا اليونانية ، حيث كانت ، تحلم بجعل المتوسط بحيرة إيطالية وكانت تطمح إلى ذلك منذ زمن .

كانت الجزيرة دون حماية ، ولكن رغم ذلك قام الأسطول الإيطالي بقصف محرس قديم جداً ، كان يستخدم لإقامة اللاجئين الذين كانوا موضع رعاية ((ال نير إيست ريليف)) حيث قتل منهم قرابة الـ ١٥ لاجئ وقام الأسطول بإنزال جنود ، وقاموا باحتلال الجزيرة .

كانت هذه الحركة فظة جداً ولم يستطع تحملها ولا حتى الحلفاء أنفسهم .

وهكذا أصبح موسوليني مكروهاً خارج حدود بلاده .

أظهر موسوليني استخفافاً بعصبة الأمم التي كانت اليونان، قد نقلت المسألة إليها مباشرة ، غير أنه تمت تسوية الأمر أخيراً بدفع ٥٠ مليون لير من اليونان لإيطاليا ومغادرة الأخيرة للجزيرة .

لا يوجد شك بأن الدول العظمى قد تصرفت بشكل غير محق مع اليونان . كانت تقدم اليونان الأولية نحو إيطاليا كافية ، لكن احتمالات حرب جديدة فقط أصابت بالذعر إلى حد كبير الحكومات الأوربية حتى سمحوا لرئيس الوزراء موسوليني بالحفاظ على ماء الوجه على حساب اليونان واللاجئين .

هذا وقد تمت مرة أخرى ، التضحية باليونان للحفاظ على وضع سياسي الأمر الذي لم تكن هي بالذات مسؤولة عنه وما كان من الواجب أن يتم السماح بخلق ذلك .

فقد تمت تسوية الحادثة ليس على أساس العدالة ولكن على أساس المنفعة السياسية التي كان ضحاياها اليونان والأقليات المضطهدة .

إن موجز تاريخ اليونان الحديث الذي عرضناه يشير إلى العلاقة بينها وبين الأقليات المضطهدة ، فلو أن اليونان انتصرت في حملة آسيا الصغرى ضد الوطنيين الأتراك ، لكان قد تم إنقاذ الأقليات المضطهدة . ولو أنه بعد هذه الحملة ، كانت القوى العظمى قد تصرفت بعدالة تجاه حكومة ، اليونان عندما التجأت هذه الأقليات إلى اليونان ، لثم إنقاذ اليونان والأقليات المضطهدة على حد سواء من الحالة ، التي قادهم إليها التخلي عنهم من قبل الدول الغربية .

هكذا يبدو بوضوح أن قضية اليونان هي متلازمة مع قضية - الأقليات المضطهدة وقضية الاستثمار في المجال الإنساني في تركيا .

حيث إن نجاح اليونان كان سيعني نجاح الأمرين الآخرين ، كما إن فشلها كان سيعني دمار الأمرين الآخرين إن فشل اليونان ودور هؤلاء الذين كانوا مرتبطين بنجاحها نتيجة هذا الفشل يعود بشكل خاص إلى حقيقة مفادها أن الدول الخليفة لم يعطوها عندما دعت الحاجة الدعم الذي كانوا قد وعدوا بإعطائها .

أيضاً فإن التبريرات التي تم عرضها لهذا التهرب - كاستدعاء قسطنطين الخ - هي تملصات رخيصة .

والحقيقة هي إن الظهور المفاجئ للحكومة الوطنية التركية جعل واضحاً للحلفاء أنه إذا كان مرتقباً أن ينفذوا وعودهم تجاه اليونان ، لربما كانوا

سيضطرون للجوء إلى السلاح كي يدافعوا عنها ، فيما كان صعود حركة كمال قد أعطى الوعود لتوزيع جديد للعناصر التي تشكل الجانب المعقد من مشكلة الشرق الأدنى والفرصة التي تصاحبها من مكاسب اقتصادية .
إن مستقبل اليونان والأقليات المضطهدة الذين هم البارحة واليوم بمثابة لاجئين موجود بين أيدي الدول العظمى .
لا يمكن لسياستهم سياسة الإمبريالية الاقتصادية والسياسية أن تعني سوى الدمار الشامل .

ليست المشكلة مستعصية على الحل بتاتا .
إن بمقدور سياسة الاستقامة وبعد النظر والمواجهة الإنسانية أن تساعد كثيراً في اختيار عملية إزالة الضرر الذي حدث وفي إعطاء كل من دول الشرق الأدنى فرصة عادلة حتى تتطور .
ملاحظة :

كانت الانتخابات العامة التي تأخر إجراؤها كثيراً في اليونان والتي تمت في ١٦ كانون الأول عام ١٩٢٣ ، قد أسفرت عن فوز كاسح لانصار فينيزيلوس مما نجم عن ذلك إتخاذ إجراءات عاجلين :

١- تم الطلب من الملك يورغيو أن يغيب عن البلاد حتى تشكل حكومة جديدة وقد غادر الملك والملكة أثينا إلى روما نيا في ١٩ كانون الأول
٢- تم توجيه نداء عاجل إلى فينيزيلوس للعودة واستلام قيادة البلاد .

عاد على إثرها فينيزيلوس إلى أثينا في ٤ كانون الثاني عام ١٩٢٤ حيث تم انتخابه في اليوم التالي رئيساً للبرلمان كما أصبح فينيزيلوس ثانية رئيساً للوزراء في ١١ كانون الثاني غير أنه لم يستطع التصدي للوضع حيث استقال بعد ذلك بقليل في غضون ذلك ، كانت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية قد أعادا علاقتهما السياسية مع اليونان في كانون الثاني ، على

الرغم من أنه تم تأجيل موضوع إرسال سفراء جدد حتى تصبح معروفة نتائج الاستفتاء، الذي تم تحديده في نيسان عام ١٩٢٤. كان هدف الاستفتاء هو أن يقرر الشعب اليوناني شكل نظام الحكم الذي يريد : ملكي أم جمهوري.

الفصل الثامن

العامل الاقتصادي في مشكلة الشرق الأدنى

على نقيض صارخ من النفقات في الحقل الإنساني البالغة ١٣٦ مليون دولار التي خصصتها العامة الأمريكان لشؤون التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية في الشرق الأدنى، فإن الاستثمارات التجارية المعروفة للمصالح الأمريكية الخاصة في نفس المنطقة ، كانت قرابة الـ ١٢ - ١٥ مليون دولار والتي يعود منها ٥ مليون دولار لـ ((استاندرد أويل كومباني)).

على الرغم من هذه الكمية الأقل فقد مارست تأثيراً أكبر من الكمية الأكبر وهذا يجعلنا نفترض إمكانية وجود استثمار أمريكي هام جداً في آسيا الصغرى، معروف فقط لكل من له علاقة بالأمور الاقتصادية أو السياسية أو من المحتمل أن للشرق أهمية أكبر للولايات المتحدة الأمريكية مما يفترض العامة .

أيضاً فإن الشرق الأدنى منطقة نامية وغير مكتشفة إلى درجة كبيرة فيما يخص ثروتها ، وإن من غير الممكن أن يتم تقدير القيمة الحقيقية لهذه الثروة إلى أن يتم التنقيب عنها بدقة أكبر ، هكذا تبدو آسيا الصغرى ساحة مترامية الأطراف ومربحة لقراصنة الاقتصاد ومغامري التجارة .

أيضاً ربما لهذه المصالح الاقتصادية التي يأملون أن يربحوها هناك أهمية أكبر بدلاً من الأرباح المعروفة التي حققوها .

إن ما يدعى بإمتيازات تسيستر ، المعروفة رسمياً بشركة التنمية العثمانية - الأمريكية يعطينا مثلاً نموذجياً للظروف الاقتصادية الخاصة السائدة في منطقة الشرق الأدنى هذا ويعطينا التقرير الذي يلي والمكتوب من قبل الدكتور ألفريد. ل. ب. دينيس جانباً واضحاً ودقيقاً للوضع حيث يقول :إن قصة الامتيازات هي بدرجة كبيرة قصة محاولات الأميرال تسيستر العنيدة

فمنذ عام ١٩٠٨ كان قد مر ثانية بالشواطئ التركية وكقبطان كان قد لاحظ عدم توفر موانئ مناسبة. وذهب عام ١٩٠٨ إلى إستانبول لتفحص الوضع عن كثب .

كانت لديه موافقة غرفة تجارة نيويورك وقد لقي هذا الأمر حظوة لدى الرئيس روزفلت . هكذا قام عام ١٩٠٩ بإنجاز خطة لقيت موافقة الأتراك كانت الخطة تتعلق بإنشاء ميناء وخطوط سكك حديد ، مع أنها كانت تتضمن حقوق التنقيب عن النفط والثروات المعدنية على مسافة ٢٠ كم من خط سكة الحديد . غير أنه لم يتم منح الامتياز المذكور .

كانت تلك الفترة بعد الثورة التركية مباشرة وكانت الحكومة كلها تعيش حالة اضطراب ، على كل حال ، تم إحداث الشركة الأمريكية المذكورة تحت اسم شركة التنمية العثمانية - الأمريكية . وقد أعطت الأخيرة كل حقوقها لشركة الاستثمار العثمانية - الأمريكية عام ١٩١٢ .

هكذا فقد واجهت الشركة التي ساهم فيها الأميرال تسيستر وولدها، مشاكل خطيرة بسبب إنعدام الرساميل .

كان قد تم التوقيع مسبقاً على الخطة المذكورة عام ١٩١٠ من قبل وزير الإنشاءات العامة ، ولم يبق سوى التصديق عليها من قبل البرلمان الأمر الذي كان الأميرال تسيستر يلح دائماً على اعتباره ذلك أمراً مؤكداً .

في العام التالي ١٩١١ اندلعت الحرب الإيطالية التركية وتلا ذلك مباشرة حربا البلقان .

كان الامتياز الذي وافق عليه الصدر الأعظم، يتضمن بنداً ينص على أنه في حال التأخير بسبب أعمال العنف الاستثنائية ، فإن للشركة الحق ، طالما قامت بإخطار الحكومة التركية بخصوص هذا الأمر، أن تقوم بدورها بتأخير أعمالها كاملة .

بموجب هذا البند أرسلت الشركة إخطاراً بهذا الخصوص للسلطات التركية. وقد جاءت الحرب العالمية بعد ذلك وتم نسيان امتياز تسيستر مؤقتاً بعدها دب النشاط في شركة تسيستر وأعيد تنظيم شركة التنمية العثمانية - الأمريكية التي أخذت اسم شركة الأبحاث العثمانية - الأمريكية .

وبانتخاب الجنرال جورج غ. كيتالس كرئيس ، دبت روح جديدة في الشركة . وصار أحد الكنديين السيد س. أ. برنار سكرتيراً ومولاً مالياً للشركة وبالتعاون مع الرائد ك. ي. كليتون - كينيدي أخذوا على عاتقهما دفع مصالح الشركة إلى الأمام .

أيضاً كان الرائد كينيدي الذي هو بدوره كندي الجنسية وصهر السيد ج. غ. كليتون من لندن طياراً أثناء الحرب، وموجوداً منذ عام ١٩٢١ في الشرق الأدنى ويمثل مع أرثور ابن الأميرال تسيستر الشركة في إستانبول وأنقرة .

وتشير المعلومات إلى أن السيد كليتون هو ممول الشركة . بعد بضعة أشهر مما نشر أعلاه في جريدة نيويورك تايمز ، صار معروفاً أن الأميرال تسيستر وأمريكيين آخرين من ذوي رؤوس الأموال كانوا قد قاموا ببيع مصالحهم الناجمة عن الامتيازات إلى الشركة الإنكليزية - الكندية - كينيدي .

وإذا صح هذا الأمر ، فإن من الواجب تسمية شركة التنمية العثمانية - الأمريكية من الآن فصاعداً بشركة التنمية ((العثمانية - البريطانية)) .

لو أنه تم تنفيذ امتياز تسيستر وفق هيئتها الأولية ، لكانت تركيا قد وضعت بصورة رئيسية تحت سيطرة الرأسمال الأمريكي ، حيث كان الامتياز يتضمن إنشاء خطوط سكك حديدية في آسيا الصغرى بطول ٢٤٠٠ ميل وحق استثمار المناجم على مسافة ٢٠ كم من جهتي خط سكة الحديد ، أي بمساحة إجمالية قدرها ٩٦ ألف ميل مربع ، ومدة سريان هذا الامتياز هو

٩٩ عاماً. على الرغم من حق الحكومة الوطنية التركية بشراء خطوط سكك الحديد والمينائين ، اللذان ينتظر إنشاؤهما بعد مرور ٣٠ عاماً .

سيكون من غير المجدي القيام بتحليل مفصل للامتياز، لكن توجد بعض النقاط الهامة التي من الواجب أخذها بعين الاعتبار .

ذهب الأميرال في البدء إلى تركيا كي يضمن بعض حقوق الأسبقية في مناطق البترول التركية . وبالاكتفاء على وعود سابقة لحقوق التنقيب في المنطقة ذاتها ، قامت المصالح البريطانية والفرنسية والروسية بمعارضة الامتيازات الممنوحة التي كان الأميرال الأمريكي يجري التفاوض بشأنها مع تركيا عام ١٩٠٩ .

تم مراراً التطرق إلى أن مصالح تسيستر اندفعت نحو الأمام بسبب الوقائع التالية :

لم تعلن أمريكا الحرب ضد تركيا ، مثلما فعلت الدول الحليفة، ولم تعترف بمعاهدة سيفر واتفاقية سان ريمو الثلاثية والوصاية واتفاقيات أخرى و إن وزير الخارجية السابق كولبي ووزير الخارجية الحالي هيوز ألحوا بقوة على سياسة ((الباب المفتوح)) - الصحيح من الناحية النظرية، لكن المدمر نوعاً ما من الناحية العملية - مانعة هكذا بريطانيا العظمى من ضمان حقوقها الخاصة في منابع نفط الموصل . ما من شك أن ماذكر أعلاه هو صحيح في الواقع .

كان موقف الحكومة الأمريكية هذا مدروساً بعناية لكي يفيد المصالح التجارية الأمريكية في تركيا وشركاء الأميرال تسيستر الذين يبدو أنهم من هؤلاء الذين استفادوا بصورة رئيسية . هذا ولا يعتبر امتياز تسيستر من قبل الشعب التركي كقضية خاصة بسيطة .

ففي حديثه إلى اتحاد الشركات الأمريكية في نيويورك في ٦ تشرين الأول عام ١٩٢٣، يشير المندوب السامي الأمريكي للشؤون التجارية جوليان . ي . جيليسبي قائلاً :

جرت المفاوضات بخصوص امتيازات تسيستر مع ممثلي مصالح تسيسترالذين عملوا لحسابهم الخاص ولم يلقوا أية مساندة من الحكومة الأمريكية وكانت الحكومة الوطنية التركية تدرك ذلك عندما أعطت هذه الامتيازات غير أن الشعب التركي كان يعتقد أنه يعمل مع الحكومة الأمريكية . فإذا فشلت الحكومة الأمريكية في هذه المسألة فإن من غير الممكن أن نتظر في المستقبل تحقيق أي نجاح في دفع المصالح الاقتصادية في الشرق الأدنى. هذا وكان المتحدث الذي أعقب السيد جيليسبي أكثر وضوحاً حيث يقول :

((لو فشل امتياز تسيستر بسبب إنعدام الدعم من أمريكا، فإن ذلك سيكون بمثابة ضربة مخيفة للتغلغل الأمريكي مستقبلاً في تركيا .

هذا ويعتقد الفلاحون الأتراك في عموم الأناضول بأن الامتياز قد اعطي للحكومة الأمريكية ومن غير الممكن بالنسبة لهم أن يميزوا الفرق بين امتياز خاص لمجموعة من أصحاب رؤوس الأموال الأمريكيان وامتياز يمنح للشعب الأمريكي)) .

وهكذا ((إن الشعب الأمريكي)) شاء أم أبى ينفاد إلى دعم الاقتصاد الإمبريالي ، الذي يمثله الأميرال تسيستر وأصدقائه !.

أيضاً الأمر الهام هو التأثير الذي مارسه اصطدام المصالح، الذي أحدثه الامتياز الممنوح لتسيستر.

إنه لامر صعب أن يميز المرء بين المطالب التي تبدو في ظاهرها اقتصادية وهي وطنية في الواقع، لأن الحكومات الوطنية تظهر اهتماماً واضحاً لكل المطالب الخاصة .

فالحق الذي أعطته تركيا لتسيستر بإنشاء سكة حديد الموصل يأتي على النقيض مما تسعى إليه شركة البترول التركية ، التي كانت في البداية اتحاداً بين المصالح الإنكليزية والألمانية قبل الحرب العالمية .

لقد خسر الألمان حصتهم الذي أخذته فرنسا ، واليوم فإن أسهم الشركة موجودة في أيدي شركة البترول الإنكليزية - الإيرانية ، التي تملك ٥٠ % من أسهم الشركة وتملك شركة رويال داتش شل ٢٥ % كما تملك فرنسا الباقي أي ٢٥ % .

وتسعى مجموعة الشركات الأمريكية إلى الاشتراك في شركة البترول الإنكليزية - الإيرانية وشركائها وتسري إشاعة مفادها أن بإمكان الأمريكيان ضمان ٢٥ % من الأسهم ووقفت شركة استاندارد أويل في نيويورك على رأس المطالبين ، وشرعت بإجراء مفاوضات باسم المجموعة الأمريكية. حيث تقوم وزارة الخارجية الأمريكية باتخاذ موقف ودي من هذه المفاوضات .

والحقيقة أن للمشاحنات الطويلة المدى في لوزان بخصوص حق أو سياسة (الباب المفتوح) في مناطق موجودة تحت الوصاية ، علاقة وثيقة برغبة الشركات الأمريكية في الاشتراك في بترول منطقة ما بين النهرين .

قامت أمريكا بإجراء المفاوضات المتعلقة بذلك مع بريطانيا ، التي تسيطر على أكثر من ٥٠ % من أسهم شركة البترول الإنكليزية - الإيرانية فيما عهد إليها في نفس الوقت بالوصاية على منطقة ما بين النهرين .

وهكذا فإن الحكومة الأمريكية صارت مجبرة على الاختيار بين مجموعتي شركات أمريكية . حيث إن دعمها للامتياز الممنوح لتسيستر سيعني بشكل واضح المطالب التركية في منطقة الموصل ، الموجودة في الوقت الراهن تحت الوصاية البريطانية .

من جهة أخرى إذا كانت الحكومة الأمريكية مستمرة في ميلها الودي تجاه شرك استاندارد أويل ، فإن النتيجة المنطقية هو أنها ستدعم المطالب التركية (والتي هي بالأساس بريطانية) . لشركة البترول وإن أمريكا سوف لن تمنع في وصاية بريطانيا العظمى على منطقة البترول هذه .

لكن كما أشر إذا كانت مصالح تسيستر قد انتقلت إلى البريطانيين فليس غريباً الافتراض أن عملية البيع والشراء قد حصلت على موافقة الخارجية الأمريكية . وفي هذه الحالة سوف لن يحصل اصطدام أبداً بين المطالب الأمريكية ، كما تتمثل من قبل امتيازات تسيستر، ومطالب بريطانيا العظمى التي تمثلها شركة البترول الإنكليزية - الإيرانية لأن بريطانيا ستكون قد أخذت على عاتقها المطالب الأمريكية .

في هذا السياق كان الفرنسيون قد حصلوا في أعوام ١٩١٣ - ١٩١٤ على امتياز بإنشاء سكة حديد من صامصون إلى سيواس. فضلاً عن أن هذا الامتياز كان من ضمن ما كان قد أعطي للأميرال تسيستر .

وكانت بريطانيا قد أخذت على عاتقها الوصاية على بلاد ما بين النهرين أو مملكة العراق كما تدعى حالياً ، وعندما دخلت مطالب مجموعة تسيستر إلى الموصل الموجودة في العراق ، حدث مرة أخرى اصطدام مصالح .

كما أن الامتياز الممنوح للفرنسيين بإنشاء سكة حديد في الأناضول يأتي أيضاً باصطدام على نحو جزئي مع مطالب مجموعة تسيستر .

تم تأمين هذا الامتياز بعد مفاوضات جرت أثناء التوقيع على معاهدة فرانكلين - بويون بين فرنسا وتركيا في ٥ تشرين الأول عام ١٩٢١ . حيث قامت فرنسا بموجب هذه المعاهدة بإعطاء تركيا شريطاً من شمال سوريا والتي يمر على حدودها خط سكة حديد بغداد ، وتخلت عن جنوب كيليكيا ، مانحة هكذا معبراً لقوات كمال .

آنذاك كانت تركيا قد وعدت فرنسا الحصول على مكانة مميزة في قضية تنمية تركيا الداخلية وعلى إعطاء الشركات الفرنسية حقوق التنقيب في المناجم وقطاعات أخرى مقابل تقديم مساعدة عسكرية ، كانت الثانية قد أعطتها للأولى . وعلى وجه العموم كان الفرنسيون سيحظون بمعاملة الدولة الأكثر رعاية .

لكن وبما أن تركيا استفادت من مساعدة فرنسا لكي تربح الحرب ، فقد أدارت ظهرها لكي تساعد الأمريكان ، والذين باعوا بدورهم كما يبدو مصالحهم للبريطانيين !

هذا وتكمن سخرية الحالة في أن فرنسا لم تقم مطلقاً عام ١٩٢١ باستشارة شركائها قبل أن تقوم بتسليم الأراضي ، التي كانت تحتلها بموجب وصاية عصبة الأمم . فمن أجل المصلحة الاقتصادية خانت الثقة التي أعطيت لها وتعرضت بدورها للخيانة من قبل الآخرين . من كل هذا فإن المصالح ، التي تختبئ خلف حركات الشطرنج في سياسة الشرق الأدنى تبدو واضحة . هذه المصالح هي اقتصادية وقبل كل هذا البترول .

وبعمل إسقاط نستطيع لفت انتباه القارئ إلى فضيحة تيبوت دوم المتعلقة بالبترول . هذه الحادثة مع كل النتائج المترتبة عليها تلقي ضوءاً ساطعاً على سياسة أمريكا على الأقل فيما يخص المكسيك ، لأن من الواضح أنه خلف هذه السياسة تختبئ مصالح بترولية . حيث كان البترول هو الذي أملى موقفنا في لوزان بنفس الطريقة .

هذا ويبدو أن أثر البترول يقود ليس فقط إلى وزارة الداخلية ووزارة البحرية ولكن مباشرة إلى وزارة الخارجية والبحرية ، واحتياطي البترول البحري وبترول المكسيك وبترول منطقة ما بين النهرين فهي كلها خيوط لذات النسيج . إذا لمست واحدة منها ستهتز جميعها .

كما أنه من الصعب تأمين أهمية البترول في العالم المعاصر. فبعد الحرب العالمية أشار جميع مستشاري الدول العسكرية الكبرى لحكوماتهم بأنه ، ((سيتم الانتصار في الحرب القادمة بواسطة البترول)) . فالجيوش والأساطيل بحاجة للبترول ، حيث تأخذ موانئ البترول مكان المحطات القديمة التي تزود السفن بالفحم وأيضاً فإن النقلات البحرية بالإضافة إلى النقلات البرية والجوية تزداد ارتباطاً بالبترول أكثر فأكثر. ويبدو أنه لا يوجد حد لاستهلاك مشتقات البترول، كما يجب في غضون ذلك مواجهة مشكلة الاحتياطي. وفيما تقوم أمريكا وفقاً لمعلومات السنوات العشر الأخيرة ، بإنتاج أكثر من ٦٦% من إنتاج النفط العالمي. غير أن مخزوننا الوطني ينفذ الآن ، كما يشير بذلك الفحص الأمريكي الجيولوجي الموثوق لواقع الحال.

كان معروفاً وجود زيادة في إنتاج النفط الأمريكي عام ١٩٢٢ ، فيما يبدو واضحاً أن هذه الحالة كانت مؤقتة ولم يكن لها تأثير على احتياطي النفط عام ١٩٢٣. حيث أن ظروف إنتاج واستهلاك خارجية تفسر لنا لماذا انتجت أمريكا في عام ١٩٢٣ من البترول أكثر مما كان بوسعها استهلاكه ، ولكن على الرغم من كل هذا فإن المخزون الحقيقي، الذي كان موجوداً على مدى سنوات ، قد انخفض ، حيث نقوم باستيراد النفط بكميات متزايدة على نحو راسخ من المكسيك ، ولكن توجد أصلاً شكوك جدية بخصوص محتوى آبار النفط المكسيكية حيث نجد أنفسنا في مواجهة الحاجة لإيجاد وتطوير مصادر جديدة للتزود بالنفط . وهكذا ، فإن النشاطات ، التي تقوم شركات النفط الأمريكية بتطويرها في الحال تصبح باستمرار أكثر أهمية بالنسبة لوزارة الخارجية . وكانت الوثيقة الدبلوماسية رقم ٦٣ ، التي تم إعدادها كدليل للدبلوماسيين البريطانيين المشتركين في مؤتمر لوزان، تتضمن التصريح التالي:

٣- امتيازات البترول

كان أحد الخبراء الألمان ، الذين زارو عام ١٩٠١ مناطق بترول الموصل وبغداد ، قد أشار إلى أن ((هذه المناطق البترولية هي من أغنى مناطق البترول في العالم)) ، وتميل التقارير التي تلت ذلك إلى تأكيد وجهة النظر هذه .

وتحيط هذه الأسطر القليلة بإيجاز بمجمل القضية . كان هذا هو السبب ، الذي تم من أجله خيانة اليونان والتضحية بالأقليات المضطهدة . ولهذا السبب تراجع الحلفاء السبعة من نقطة إلى نقطة في لوزان حتى أن جملة السخرية المضحكة : ((لقد ربحت تركيا الحرب)) أصبحت حقيقة مرة ، لقد أراد الحلفاء البترول . وفيما تبدو الأهمية المطلقة لبترول الشرق الأدنى ، من المهم أن نؤكد هنا أنه ، ليس فقط رؤساء غرف التجارة الأمريكية في الشرق الأوسط ، بل حتى رؤساء غرف التجارة الأمريكية في اليونان وتركيا ومصر هم جميعاً رجال شركة استاندارد أويل .

يبدو أن البترول وإدارة المصالح التجارية الأمريكية في الشرق الأدنى متلازمان هذا ويمكن اعتبار الأهمية السياسية لباقي الاستثمارات الأمريكية في آسيا الصغرى كالتبغ وأنواع الأغذية ، عدم الأهمية بالمقارنة مع النفوذ الذي لا يقاوم الذي تمارسه المصالح البترولية . ويحدث الشيء ذاته مع الدول الأخرى ، حيث تبدي حكومات جميع الدول اهتماماً واضحاً بالإشراف على منابع النفط وتطويرها ، اهتمام قوي وملح ، إلى درجة لا يمكن لشيء آخر أن يوازئها في المكانة .

فلنتفحص حجم الامتياز الممنوح لتسيستر . حيث أن العمل المتعلق بذلك يشمل عدداً أصغر من الامتيازات ، التي تتضمن عقوداً للبناء تقدر قيمتها بـ ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار واستثمار مناجم ومصادر أخرى للثروات الطبيعية ، التي تقدر قيمتها بـ ١٠ مليار دولار .

كما يقدر ماتحتويه منابع نفط أرضروم وبتليس و(وان) والموصل ، والتي يشملها الامتياز المذكور بأكثر من ثمانية مليار برميل بترول ويقدر ما يحويه منجم نحاس أرخانا بـ ٢٠٠ مليون طن من الخام الذي يحتوي على نسبة عالية من النحاس .

وتشير التقارير السرية السابقة لأبحاث الجيولوجيين البريطانيين والفرنسيين والألمان في مناطق يشملها امتياز تسيستر ، إلى غنى هذه المناطق بالبتترول والنحاس والذهب والبلاطين والفضة والحديد والرصاص والزنك والقصدير والزرنيخ والكوبالت والمغنيزيوم والنيكل والأنتيموان والفحم والملح . كما تم مسبقاً تقدير قيمة منابع النفط ومنجم النحاس في أرخانا والإشارة إليهما إلى حد معين .

والتي كانت أهميتها ستكون واضحة لو تم استخدام مصادر هذه الثروة الطبيعية الضخمة لفائدة البشرية . . غير أن الغنى الشخصي في أعين صائدي الامتيازات يسبق فائدتها للبشرية وهكذا تم تجاهل مبلغ الـ ١٣٦ مليون دولار التي استثمرها العامة الأمريكيان في حقل الأعمال الإنسانية والتي ما كانت ستحقق أية فائدة مادية ، كما تم تجاهل الوعود الأمريكية للشعبين الأرمني واليوناني التي لم تؤثر على رأي الإمبرياليين الذين كانوا يجهدون أنفسهم للحصول على الامتيازات .

إن موضوع الامتيازات يأتي بأمر آخر إلى واجهة الأحداث من وجهة النظر المادية. فالامتيازات التي تعطى من قبل أي نظام تركي ، يمكن أن تصبح لاغية بعد سقوطها من السلطة . والامتيازات التي تمنحها الحكومة الوطنية التركية اليوم يمكن أن تلغى عندما تسقط هذه الحكومة وتستلم واحدة أخرى السلطة بدلاً عنها ، لأن هذه لعبة قديمة في تركيا . ففي الوقت الراهن يبدو أن بريطانيا العظمى هي المهيمنة على الوضع . وليس غريباً أن تسعى كل من

فرنسا وإيطاليا وروسيا إلى إسقاط الحكومة الوطنية الحالية آخذين كمكافأة من الحكومة الجديدة، التي سيساعدونها على استلام زمام السلطة، الامتيازات التي تملكها الآن بريطانيا العظمى . وهكذا فإن من مصلحة مالكي الامتيازات هي أن يدعموا الحكومة، التي منحتهم إياها .

وبالتزامن من مصلحة أولئك ، الذين ليس لديهم امتيازات ، ولكنهم يرغبون في الحصول عليها، أن يقوموا بالإطاحة بالحكومة الموجودة وأن يحلوا محلها واحدة أخرى مiale أكثر بشكل ودي تجاه مصالحهم .

إن نتيجة كل هذا هو الحرب . فالإمبريالية الاقتصادية تتبعها الروح العسكرية ثانيةً وثانيةً . وإذا كانت بريطانيا العظمى تملك اليوم امتيازات تسيستر، فمن المؤكد أنها في وضع من يسيطر على نحو فعال على آسيا الصغرى لأن لديها أيضاً الوصاية على بلاد ما بين النهرين ، التي تحولت إلى مملكة العراق ويشار إلى أنها تسيطر على المفاوضات الجارية بهدف الحصول على حقوق سكة حديد برلين - بغداد . وبهذه الطريقة ستقع ثروات آسيا الصغرى المعدنية وخطوط المواصلات منها وإليها في أيدي البريطانيين .

بالطبع إن هذا سيحدث إذا كان كل شيء كما يشاع وكما يبدو أنها كذلك ، لكن الاحتمال الأكبر هو وجود شبكة من الدسائس ، الاقتصادية التجارية والسياسية ، التي تحاك قريباً جداً من سطح الأحداث الظاهرية .

لقد عملت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية كل ما هو ممكن للحصول على السيطرة الاقتصادية على الشرق الأدنى . فقد تنكروا لوعودهم ، وخانوا حليفهم ، وضحوا بالأقليات وقاموا بتقطيع أوصال الاستثمار الأمريكي في الحقل الإنساني في تركيا وكل هذا كي يضمنوا الحصول على مزايا تجارية ، وكي يستولوا على

مصادر النفط من أجل الحرب القادمة ويضعوا الشرق الأدنى تحت سيطرتهم أثناء فترة السلم التي تتخلل ذلك .

في الوقت الراهن يبدو أن بريطانيا تملك مكانة مميزة ، ولكن ليس لذلك أهمية ، لأن من يسبق في هذا السباق الخسيس من أجل الغنائم سىرى عاجلاً أم أجلاً خصومه الأقل نجاحاً ينقلبون ضده كقطيع من الذئاب .

فمنذ عام ١٩٠٨ كتب تاريخ الشرق الأدنى بالدم والبتروى . وعلى مدى ستة قرون قبل ذلك كان يكتب بالدم فقط .

لم تجلب مصادر الثروة الطبيعية الضخمة لهذه المنطقة ، التي وجب أن تستفاد منها البشرية برمتها ، إلا العار والخيانة والحرب والدمار بسبب جشع المصالح الاقتصادية التي تختبئ خلف السياسة الخارجية للدول العظمى .

لقد دخلت الولايات المتحدة الأمريكية حديثاً هذه اللعبة الشرهة ، ولكن مسيرتها رسمت مسبقاً بالوعود التي لم يتم الوفاء بها والالتزامات التي لم تنفذ إنها معضلة ما إذا كانت هذه السياسة قد حققت ربحاً . لكن الخسائر التي أحدثتها هي في منتهى الوضوح . حيث كان الشعب الأمريكى قد أنشأ حضارة غربية زاهية في آسيا الصغرى وقد تم خنق هذه الحضارة في البترول .

الفصل التاسع

السرد التاريخي لأحداث الشرق الأدنى

نستطيع القول أن الإمبريالية هي مسؤولة بلا شك عن التعقيدات في الشرق الأدنى بشكليهما : الاقتصادي والسياسي .

وفي الحقيقة فإن الإمبريالية الاقتصادية تظهر بتعابير سياسية، غير أنها ليست ظاهرة سياسية ذات منشأ داخلي .

لقد أشرت في الفصل السابق إلى أسباب و نتائج الإمبريالية الاقتصادية في الشرق الأدنى، وسأحاول الآن فعل الشيء ذاته بخصوص الإمبريالية السياسية يجب أن نقبل بأن تقسيم الإمبريالية إلى نوعين هو أمر نظري بالكامل ، لأنه يمكن بشكل منطقي جداً الإدعاء بأن للإمبريالية دائماً قاعدة اقتصادية .

على كل حال من الواضح أن أهمية البترول في الوضع العالمي اليوم قد ركزت على الاهتمام بالبحال الاقتصادي ،ساحة هكذا برسم خط نظري منفصل بين كل ما هو سياسي على نحو جلي وكل ما هو اقتصادي على نحو صارم .

على كل حال ولأسباب توضيحية أجد أن هذه الطريقة هي الأكثر فاعلية.

فعلى مدى قرنين ، منذ أواسط القرن الخامس عشر وحتى أواسط القرن السابع عشر ، قامت تركيا بعد سلسلة من الاحتلالات العسكرية بالتغلغل في أوروبا حتى أسوار فيينا .

وبفشلها باحتلال فيينا بعد حصارها للمرة الثانية ، تعرضت تركيا إلى هزيمة ساحقة عام ١٦٨٣ وهكذا انهارت قوتها لفترة في أوروبا. وأصبحت منذ تلك اللحظة محور تنافس الدول العظمى واضطرت بعد معاهدة كارلوفيتش التي تلت حملة فيينا ، إلى التخلي عن هنغاريا إلى النمسا .

كما قامت تركيا عام ١٧١٦ بالهجوم ثانية على النمسا آملة استعادة الأراضي التي فقدتها ، غير أنها هزمت ثانية ولم تفقد هذه المرة مستعمراتها

الآخيرة في هنغاريا وحسب بل جزءاً من فلاحيا بالإضافة إلى بعض المناطق شمال صربيا ، كما سعت الدول منذ تلك اللحظة إلى تجزئتها بشكل منظم كان الصيد قد بدأ وكانت كلاب الصيد قد شنت هجوماً بكل اندفاعتها.

وقامت روسيا بالحركة الأولى حيث كانت روسيا قد قامت عام ١٧٣٦ بدخول القرم واحتلال تحصينات كثيرة على طول البحر الأسود . وقامت النمسا بأخذ ماكان لها . وبعد حرب دامت ثلاث سنوات أجبرت تركيا البلدين على التراجع وأخذت ثانية بموجب معاهدة بلغراد عام ١٧٣٩ أراضي فلاحيا والصرب ، التي كانت قد تنازلت عنها للنمسا عام ١٧١٨ . أيضاً فإن روسيا كانت طامعة بمدينة إستانبول ، الأمر الذي لم تتوقف عن فعله منذ زمن . وكان دافعها الظاهري هو وجوب بقاء المدينة في أيدي مسيحية على اعتبار أنها كانت مركز الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية مذهب روسيا الرسمي ، لكن الواقع هو أن موقع إستانبول هو المفتاح لمنطقة الشرق الأدنى، حيث يترتب على احتلالها السيطرة على مضائق البوسفور والإشراف على منطقة العبور بين أوروبا وآسيا . زد على ذلك ، أن إستانبول تعطي روسيا المخرج الوحيد نحو العالم الخارجي عبر البحر الأسود .

وينجح تم تشبيه الشرق الأدنى بخاتم ، حيث إستانبول هي جوهرها الوحيدة دائماً كان بالإمكان تقسيم الخاتم إلى قسمين متساويين، لكن الصعوبة كانت في من سيأخذ الجوهرة .

كانت روسيا بسبب وضعها الجغرافي وديانتها تدعي دائماً أن لها حقوق أكثر من أي طرف آخر . هذا وكانت تركيا قد تعرضت منذ عام ١٧٦٨ وحتى عام ١٧٩٢ إلى سلسلة هزائم على يد كاترين الثانية (الكبرى) امبراطورة روسيا . حيث خسرت تركيا ثانية الكثير من التحصينات في شمال البحر الأسود وتم السماح لروسيا ببناء كنيستها الخاصة في إستانبول .

وقد استخدمت روسيا منذ ذلك الوقت تلك الكنيسة كذريعة للتدخل في الشؤون التركية . كانت تلك حركة مأكرة .

كما تم بموجب معاهدة ياسيو عام ١٧٩٢ ، إعطاء القرم لروسيا بشكل نهائي ، حيث أصبح حدودها تمتد على طول البحر الأسود وحتى نهر الدنيبر منذ ذلك الحين أصبحت فرنسا و بريطانيا خائفتان من سيطرة روسيا التامة على الشرق الأدنى بإشرافها في نفس الوقت على الطريق نحو الشرق الأقصى كما حصلت روسيا عام ١٨٠١ على جورجيا ، التي كان بها عدد هام من الأرمن . وباعتبار أن الأرمن كانوا شعباً من رجال الأعمال المتطورين على نحو استثنائي ، فقد منحهم ذلك العديد من الحريات لأن مؤهلاتهم كانت ضرورية لتطوير البلاد . كما قام العديد من الأرمن بتقلد مناصب سياسية وعسكرية هامة .

كان لدى روسيا الآن طريقان للتدخل في شؤون تركيا الداخلية : كنيسةها في إستانبول والحماية ، التي كانت تمنحها عن عمد للأرمن . وقد قامت صربيا،الرازحة منذ زمن تحت الحكم التركي، بثورة ناجحة جزئياً لفترة من الزمن ، مستفيدة من ضعف تركيا ، وقد تم سحق هذه الثورة بطريقة وحشية كبيرة عام ١٨١٣، لكي تندلع ثانية بزخم جديد بعد سنتين وكانت النتيجة منح صربيا حكماً شبه ذاتي، لأن تركيا أرادت أن تكون بعد معركة واترلو في وضع يمكنها من التصدي دون صعوبة لروسيا ، التي كانت حرة الآن في الانشغال بها .

وفي عام ١٨٠٥ ، كان قيصر روسيا ألكساندر قد طلب من تركيا التحالف مع روسيا ، وانكلترا والنمسا ضد نابليون ، ولكن تركيا ، ولخوفها بالطبع من أعدائها القدامى ، فضلت أن تربط مصيرها مع فرنسا . تلا ذلك حرب الحلفاء ضد نابليون والفسل الذريع ، الذي انتهت إليه حملة نابليون على

روسيا عام ١٨١٢ ، التي كانت تعود بشكل جزئي إلى رغبة نابليون في التصدي لمخططات القيصر بخصوص تركيا . كان نابليون هو ذاته يريد مدينة إستانبول . هذا وقد قام مؤتمر فيينا الذي نظم القضايا الأوروبية عام ١٨١٥ بعد سقوط نابليون بترك تركيا بصورة رئيسية دون التعرض لها ، بإعطائها فرصة القيام (بالإصلاحات) .

لكن كالمعتاد ، تم تجاهل هذه الفرصة وفي عام ١٨٢١ قامت اليونان ، التي كانت قد بقيت رازحة تحت الاحتلال التركي قرابة ٤٠٠ عام ، بالثورة بدورها ، تم أثناءها شق البطريرك اليوناني غريغوريوس على باب كنيسة البطريركية مرتدياً زيه الكهنوتي . كما تم قتل ٢٣,٠٠٠ ألف يوناني في جزيرة خيوس وبيع ٤٧,٠٠٠ ألفاً كعبيد .

قامت تركيا آنذاك بدعوة مصر الواقعة تحت سيطرتها إلى إخضاع اليونان وبهذه المساعدة كان سيتم سحق الثورة بالكامل لو لم يقيم الحلفاء بالاشتراك والوقوف في صف اليونان ، في الوقت الذي كانت فيه الأخيرة بحاجة إلى المساعدة . لقد اهتز الرأي العالمي بعنف .

وقام اللورد بايرون بتقديم مساعدته إلى اليونان ومات على أرضها . وقام دانييل غويمبستر بإلقاء كلمة مؤثرة في الكونغرس لصالح اليونان . وطالبت شعوب العالم بتخليص اليونان بشكل دائم من عبء الاحتلال التركي الذي لا يطاق . وقد فرضت رغبة العامة بمساعدة عوامل أقل أهمية نفسها ، وقام الحلفاء بالتحرك . حيث قامت سفن كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا بإغراق الأسطول التركي - المصري في معركة نافارينو .

كان هذا كما يفترض عملاً (دفاعياً) لأن السفن التركية قامت بفتح النيران أولاً ضد سفن الحلفاء ، فيما لم يكن الحلفاء قد أعلنوا الحرب بشكل رسمي ضد تركيا . وكنتيجة لهذه الهزيمة تم التوقيع في ١٤ أيلول عام ١٨٢٩ على

معاهدة أدرينوبول ، التي ألزمت تركيا بالاعتراف باليونان كمملكة مستقلة تحت حماية بريطانيا وفرنسا وروسيا. كما تم منح الصرب حكماً ذاتياً كاملاً فضلاً عن ذلك ، تخلت تركيا عن حقوقها في مولدافيا وفلاخيا (ملاحظة المترجم: الأمر هنا يتعلق بخطأ الكاتب، فقد بقيت إمارات فلاخيا ومولدافيا المطلتان على الدانوب - بطريقة أو بأخرى- تحت حكم الامبراطورية العثمانية حتى الحرب الروسية- التركية في أعوام ١٨٧٧-١٨٧٨). وكانت إحدى نتائج هذه المعاهدة هو هجرة عدد كبير من الأرمن إلى الأراضي الروسية . بعد ذلك بعامين في عام ١٨٣١ ، قام رجال البعثات التبشيرية الأمريكيان في إستانبول بدعم الحركة البروتستانتية ، التي انتشرت وازدهرت حتى ظهور الحكومة الوطنية التركية عام ١٩٢٠ . حيث قامت كل من روسيا وبطاركة الكنيسة اليونانية بالتصدي لهذه الحركة ، التي اعتبروها خصماً مخيفاً .

أيضاً ، فقد سعى الفاتيكان كما يشير إلى ذلك السنيور جوليو كاستيلي في جريدة ((داسيوني)) ، إلى منع انتشار المذهب البروتستانتي والأورثوذكسي السلافي أو اليوناني على حد سواء. وقد تلقى الفاتيكان لهذه السياسة مساعدة كبيرة من قبل الأتراك ، الذين لم يقوموا فقط بمنع انتشار هذين المذاهبين بل قاموا بإزالتهم تقريباً من كامل آسيا الصغرى .

من السهل أن نتأكد من هذه الواقعة بأن الديانة والسياسة هما متلازمان في الشرق الأدنى . ولكي أعود لتتمة سردي ، فإن مصر أيضاً كانت قد تعبت من الحكم التركي حيث قام محمد علي نائب السلطان في مصر بالثورة عام ١٨٣١ ، وهكذا اندلعت حرب جديدة . ويعلم الله وحده كيف ، فكرت تركيا بطلب المساعدة من روسيا وقد تدخلت الأخيرة بسرور كبير وقامت بإزالة ١٥ ألف جندي على ضفاف البوسفور.

وقد أصابت هذه الحركة بالرعب كل من فرنسا والنمسا وبريطانيا العظمى ولكي يتم تجنب الأسوأ، قاموا بإلزام السلطان المستاء بالاتفاق مع محمد علي وقد كلف هذا الاتفاق خسارة تركيا كل من سوريا ومنطقة كيليكيا المجاورة لأضنة .

لم يكن بوسع أية قوة أن تسمح لأخرى بتبوؤ مركز الصدارة في آسيا الصغرى هكذا يجب ألا يستغرب المرء لصفافة تركيا بخصوص مسيحية (الدول المسيحية) .

لقد أصابت معاهدة اونكيار ايسكيليسي المعقودة بين تركيا وروسيا عام ١٨٣٣، باقي أوروبا بإحباط كبير، حيث جعلت الأولى تدور في فلك الثانية فقد وعدت روسيا بتقديم مساعدة عسكرية لتركيا إذا دعت الحاجة ووعدت تركيا بإغلاق مضيق الدردنيل في وجه أعداء روسيا، جاعلة هكذا البحر الأسود ميناءً روسياً . وكان مؤكداً من أن هذه الواقعة ستسبب بإحداث اضطرابات، وهذا ما حصل . قام السلطان غداة إحساسه بأنه صار أقوى بإعلان الحرب على نائبه محمد علي، المتمرد عليه، ولكنه أخفق .

كانت بريطانيا العظمى والنمسا تخافان انتشار النفوذ الروسي في الشرق الأدنى في حال تم السماح لها، بتنفيذ شروط معاهدتها مع تركيا وعدا عن ذلك كانا يخافان فرنسا، التي كانت صديقة محمد علي . وفيما كانت فرنسا تدعم محمد علي كانت روسيا تشعر أن بوسعها التدخل وفقاً للمعاهدة المذكورة . أي كانت الدولة المنتصرة . غير أن بريطانيا العظمى والنمسا لم يستطيعا تقبل شيء كهذا وهكذا تم التوقيع عام ١٨٤٠ على معاهدة لندن، التي ألزمت محمد علي بالانسحاب من سوريا وقامت أخيراً بحصره في مصر .

وفي العالم التالي عام ١٨٤١ قامت الدول العظمى ومن بينها فرنسا وروسيا الذين لم يستطيعوا تجنب عدم الاشتراك ، بالتوقيع على معاهدة المضائق التي تم بموجبها إعلان إغلاق ممر إستانبول المائي بالنسبة للسفن الحربية لكافة الدول . وهكذا تم بصورة رئيسية حجز السفن الروسية في البحر الأسود . حيث لم يكن قد تم تسوية هذا الأمر بعد .

في عام ١٨٤٦ قام البطريرك الأرمني في إستانبول بإصدار الحرم الكنسي لكل الأرمن البروتستانت ، ولكن بعد تدخل بريطانيا العظمى تم إنشاء كنيسة الأرمن الأنجيلية كرد موازٍ على هذا القرار .

ومنذ ذلك الحين بدأت البروتستانتية والبعثات التبشيرية والأفكار الغربية عموماً بتحقيق مكاسب على الأرض .

بعد ذلك بسبعة أعوام ، وفي عام ١٨٥٣ ، اقترح قيصر روسيا نيقولا على انكلترا تسوية أمر إرث السلطان ، داعياً الأخير (برجل أوروبا المريض) . وقد رفضت انكلترا ثانية هذا الأمر خوفاً من سيطرة روسيا على الطريق نحو الهند عبر آسيا الصغرى. وقد اندلعت في العام ذاته حرب القرم حيث حاربت كل من انكلترا وفرنسا في صف تركيا ضد روسيا .

كان اتحاداً غريباً هزمت روسيا على أثرها وقد أعطت معاهدة باريس عام ١٨٥٦ (فرصة) أخرى للأتراك ، لأن الدول قامت بضمان (سلامة أراضي الامبراطورية العثمانية الكبيرة) . وقد مُنعت روسيا من تواجد سفن حربية أو أحواض بناء سفن لها في البحر الأسود كما أجبرت الأخيرة على التخلي عن حقها في أن تكون حامية الأقليات الوحيدة في تركيا .

في الأعوام العشر التالية ، كانت العاصفة تهدد بالاندلاع بلا توقف ولكن هذا لم يحدث حتى عام ١٨٧٥ . حيث تم في ذلك العام قيام ثورة للفلاحين في البوسنة ضد الضرائب ، التي فرضها الضباط الأتراك .

يقال ، وربما في الأمر شيء من الحقيقة ، أن عملاء روس وثمانين كانوا مسؤولين على نحو جزئي عن تحريض الناس على العصيان .

غير أنه يبدو أن الظروف السائدة آنذاك كانت تبرر العصيان حيث تم طلب حكم ذاتي ووعدت تركيا القيام بإجراء (إصلاحات) .

كما وجدت تركيا في الوقت ذاته نفسها في موقف العاجز عن دفع فوائد دينها العام وبدأ مالكو الأسهم التركية في عموم أوروبا بالضغط على حكوماتهم وقامت الرابطة الثلاثية لأباطرة ، ألمانيا ، والنمسا ، وروسيا بتقديم نصائح للسلطان بخصوص هذا الأمر . غير أن النصائح لم تساعد مالكي الأسهم في شيء .

إذ ذاك وفي عام ١٨٧٦ ، صعد على عرش تركيا السلطان عبد الحميد المعروف في التاريخ بـ (عبد الحميد الملعون) ، حيث اندلعت على أثرها العاصفة بكل هوسها . وفي ذلك العام قام سفراء النمسا وروسيا بعد اجتماع مع بسمارك بإعداد (مذكرة برلين) الشهيرة .

كانت تلك محاولة أخرى لضمان تنفيذ الإصلاحات في تركيا الأوروبية ولكن عندما تم عرض هذه الوثيقة على الدول العظمى ، رفضت بريطانيا الاشتراك فيها . فدرزائيلي كان يخاف من روسيا كعقبة أمام انتشار الإمبريالية البريطانية . وقد قادت صداقة بريطانيا الواضحة لتركيا إلى الحرب .

فقد انتشرت الثورة البوسنية إلى بلغاريا ، وقام الأتراك بإخمادها بقتلهم أكثر من ١٢ ألف من الرجال والنساء والأطفال . كما قام غلادستون بتوجيه انتقادات لاذعة ضد تركيا في كراسه (الفضائع البلغارية) . وقامت كل من صربيا والجبل الأسود بإعلان الحرب ضد تركيا ، غير أن الأخيرة قامت بإبطال دور السفراء بإعلانها دستوراً يعطي قدراً أكبر من الحريات على الورق أكثر مما لدى روسيا وألمانيا والنمسا . كانت حركة ذكية .

فضلاً عن أن أول مجلس نيابي عثماني كان مهزلة . وقد أعلنت روسيا الحرب ضدها وهزمت تركيا مرة أخرى .

كما قامت روسيا وتركيا في آذار عام ١٨٧٨ ، بالتوقيع على معاهدة سان ستيفانو ، التي تم بموجبها منح بلغاريا جزءاً كبيراً من تركيا الأوروبية ، فيما حصلت صربيا ورومانيا على استقلالهما . غير أن ، بريطانيا العظمى ، قامت بإجبار روسيا على طرح هذه المعاهدة على مؤتمر الدول الأوروبية لتعديلها الأمر الذي أدى إلى التوقيع على معاهدة برلين في حزيران من العام نفسه بين تركيا والدول العظمى .

فانكلترا كانت لاتزال خائفة من قيام روسيا بخلق منطقة نفوذ لها في الجنوب مسيطرة بذلك على الطريق إلى الهند . في غضون ذلك ، وبموجب اتفاقية قبرص ، التي تم التوقيع عليها من قبل بريطانيا العظمى وتركيا ، ثم إعطاء قبرص لانكلترا وفي نفس الوقت وعد السلطان القيام بإجراء الإصلاحات الضرورية . (لحماية الأقليات ورعايا السلطان الآخرين) .

أمام أعين الدول كانت هذه الواقعة الأخيرة قد وضعت الأقليات المضطهدة تحت حماية بريطانيا العظمى الخاصة .

تم في معاهدة برلين بصورة رئيسية إنقاص مساحة الأراضي ، التي تم منحها لبلغاريا ، ولكنها أكدت في الوقت ذاته على استقلال صربيا ورومانيا .

إن نقض معاهدة سان ستيفانو بين تركيا وروسيا باستبدالها بمعاهدة برلين بين تركيا والدول الأوروبية الست ، قد شجعت الأقليات على الاتجاه نحو هذه الدول ربما بدلاً من انكلترا فقط لطلب الحماية . غير أن انكلترا كانت تلح على قيام روسيا بإخلاء الأراضي التركية التي كانت تحتلها قبل إجراء أية إصلاحات كانت ، وقد حرمها موقف الشك هذا الضمانة الوحيدة ، التي كانت موجودة للقيام بإجراء الإصلاحات .

وقد تم بموجب معاهدة برلين إعادة مقدونيا إلى تركيا وأخذت القوى العظمى على عاتقها متابعة تركيا وإجبارها الحفاظ على التزاماتها . غير أنه تم تجاهل كل ما كانت ترتأيه معاهدة برلين تقريباً سواء من قبل تركيا أو من قبل الدول العظمى والسبب في ذلك كان ، كالمعتاد الإمبريالية . ومما أن إمبراطوريات بريطانيا العظمى وفرنسا كانتا قد امتدتا وضمتا في أرجاء مستعمراتها الكثير من المسلمين حيث كان هناك خوف من ثورة الأخيرين لو تم ممارسة ضغوط على تركيا التي كان السلطان فيها خليفة أي زعيم العقيدة الإسلامية .

من جهتها كانت ألمانيا ترغب في الحصول على قاعدة في تركيا الآسيوية . في حين تحاصم الروس والنمساويون في البلقان . وكان نتيجة اصطدام المصالح هذا أن لا تتخددع تركيا بخصوص دوافع الدول العظمى . فتركيا كانت ترى بوضوح أن المصلحة الفردية فقط هي التي تملئ فيما بينهم التحالفات وكانت تستهزئ بمذكراتهم الجماعية . على كل حال لم تكن ظروف عام ١٨٧٨ عديمة الجدوى بالكامل فقد أصبحت صربيا وبلغاريا ورومانيا دولاً مستقلة بالكامل عن تركيا وتم منح قبرص لبريطانيا العظمى .

كانت الأعمال الأولى الثلاث تعتبر حتماً خطوة إلى الأمام . أعطت معاهدة برلين روسيا باطوم وبيسارافيا وكارس وأرادهان الأمر الذي أعقبه نزوح جديد للأرمن نحو الأراضي الروسية ، والذي لم يكن كبيراً على كل حال كذلك الذي حدث في أعوام ١٨٢٨-١٨٢٩ .

إذ ذاك بدأ القناصل الروس في تركيا بالتشجيع على إنشاء تنظيمات وطنية في أوساط الأرمن ، بهدف إنشاء وطن مستقل ، والذي كان سيضم أجزاء من أرمينيا التي كانت محتلة من قبل روسيا وإيران وتركيا . وفي الواقع إن أمراً كهذا سيكون إنصافاً ولكن سيكون من المبالغ فيه أن يدعي أحد أن روسيا

كانت معنية بدوافع العدالة . بل كانت ببساطة تستغل الأرمن وكان منتظراً أن يعاني الأرمن لهذا السبب .

هذا وتعتمد شكوى تركيا بصورة رئيسية من سياسة روسيا التي تعتمد سياسة تحريض الأقليات ، من اليونانيين والأرمن على القيام بالتمرد . لكن الحقيقة هي أنهم لم يكونوا بحاجة إلى دفع آخر أكثر من هذا ، الذي كانت تمثله الإدارة التركية السيئة .

إلى ذلك لم تكن الأمور في تركيا واضحة . حيث لم يتم تنفيذ الإصلاحات وقامت القوى العظمى عام ١٨٨٠ بتوجيه مذكرة جماعية للسلطان مذكرين إياه بعوده ، ولكن دون أية نتيجة . وقد أثار ذلك سخرية السلطان الذي جلس ينتظر .

هذا وقد تم في السنة التالية ، عام ١٨٨١ ، اغتيال قيصر روسيا ألكساندر الثاني حيث تبنت روسيا على أثرها سياسة معادية للأرمن على نحو استثنائي وكنتيجة لذلك قام أرمن تفليس بتوجيه انتباههم لأرمينيا التركية .

هذا وكانت بريطانيا العظمى المنهكة من تأخيرات الباب العالي ، قد أرسلت في السنة ذاتها ، خطاباً إلى الدول الأخرى الخمس مقترحة القيام بعمل . غير أن هذه الردود لم تكن سوى تملصات . فالقوى العظمى لم تكن مستعدة . وكان واضحاً أن من غير الوارد أن تنفذ تركيا أي شيء إلا إذا أجبرت على فعل ذلك .

في غضون ذلك كان بسمارك قد قام عام ١٨٨٣ ، بإعطاء الحكومة البريطانية علماماً معناه أن ألمانيا غير مهتمة بتأناً بالإصلاحات في أرمينيا وأن من الأفضل أن تتخلى عن الموضوع برمته .

كما كانت روسيا قد بدلت سياستها تجاه الأرمن وكانت الدول الأخرى غير مهتمة . غير أن بريطانيا العظمى ، استمرت في لفت انتباه السلطان إلى

الالتزاماته الناجمة عن معاهدة برلين لكن الأخير كان يعرف أنه ليس عرضة للخطر في الوقت الراهن على الأقل ، لذا لم يعطي أي انتباه لهذه الأفعال. وقد استمرت الحالة على هذا المنوال حيث عرفت فترة هدوء دامت عشر سنوات . حين عرف العالم بدهشة عام ١٨٩٣ مقتل ٧٥ ألف أرمني ضمن ظروف أكثر فظاعة من قتل البلغار عام ١٨٧٦ . وقد استمرت المذابح إلى أن تم قتل ٦ آلاف أرمني عام ١٨٩٦ وذلك تقريباً أمام أبواب السفارات الأجنبية في إستانبول . لقد نعت غلادستون عبد الحميد (بالقاتل الكبير) واحتجت بريطانيا على هذه الفظائع .

كان الأرمن يتعرضون للاضطهاد والملاحقة منذ سنوات ، غير أنهم كانوا قد انتشروا في كل أرجاء تركيا وبالرغم من عددهم القليل فإنهم كانوا يمارسون نفوذاً اقتصادياً وحضارياً كبيراً . وقد تم عام ١٨٩٤ ، إرسال لجنة تحقيق تركية إلى أرمينيا، برفقة ممثلي بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا. حيث أشارت اللجنة إلى أن الأرمن لم يكونوا قد قاموا بالإعداد لأي (تمرد) ، كما زعمت الحكومة التركية وأنه لم يكن هناك مبرر للمذابح التي اعتبرها الأتراك (كعقوبة مبررة) .

كانت نتيجة هذا البحث مميزاً . فقد قامت بريطانيا العظمى بدعم خفيف جداً من روسيا وفرنسا ، بالضغط على السلطان من أجل القيام بالإصلاحات في ولايات أرزروم وفان وبتليس وسيواس ومعمورة العزيز وديار بكر . قام السلطان بعمل اقتراح مضاد وبمنح أوسمة ومكافأة الضباط الذين كانوا مسؤولين عن مذابح صاصون .

هذا وكانت الدول الثلاث قد قامت في ١١ أيار عام ١٨٩٥ ، بعرض خطة إصلاحات معقدة على السلطان، التي أغلب الظن كانت ستزيد من صعوبات

حكم أرمينيا بدلاً من إنقاصها ، غير أنها كانت الخطة الوحيدة التي وافقت عليها روسيا . تأخر السلطان في الرد محاولاً كسب الوقت . كانت بريطانيا العظمى ميالة بالفعل للضغط على السلطان ، الأمر الذي كان الحل الوحيد الممكن ضمن الظروف الحالية ، غير أن فرنسا وروسيا رفضتا بشدة إذ ذاك لجأ السلطان إلى هاتين الدولتين ضد انكلترا . جرى ذلك في شهر آب .

تلتها اضطرابات في طرسوس وإستانبول، والثورة من قبل الأرمن، والذي من الطبيعي ، أنهم شعروا أن وضعهم كان ميؤوساً .

تقبل السلطان خطة إصلاحات الدول الثلاث في ١٧ تشرين الأول . غير أن مذابح كانت قد جرت في غضون ذلك في طرابزون في ٧ تشرين الأول وضار واضحاً أنه ، لن يكون بإمكان الدول التحرك على نحو مشترك .

هكذا ، وبما أنه تم قبول برنامج الإصلاحات ، لم يبق للدول أي شيء تطلبه فتجاهل السلطان هذه الإصلاحات وتلت مذبحة أخرى .

مرت عشر سنوات أخرى إلى أن حدثت خطوة أخرى حاسمة . ففي عام ١٩٠٠ ، أظهرت روسيا مرة أخرى شيئاً من الاهتمام بمصير أرمينيا التركية ضامنة الحق الخاص بإنشاء خط سكة حديد في هذه المنطقة . وقامت في الوقت ذاته بحركة بارعة بالضغط على الباب العالي للقيام بإحلال النظام وإجراء إصلاحات .

هذا وقد جرى في عام ١٩٠٤ ، مذابح للأرمن في موش والتقى في العام ذاته زعماء كل من روسيا و النمسا في مورتزستينك ، حيث قاموا بتبني برنامج غامض يتضمن تشكيل جندرية دولية ، ستقوم بدور الشرطي في مقدونيا وتعين مناطق النفوذ الخاصة لمختلف الدول العظمى .

وقد رفضت ألمانيا الاشتراك في هذا العمل ، الذي تبين أنه مهزلة، وبعد ذلك بأربعة أيام جرت مذابح للأرمن في فان .

وقد حدث هذا في عام ١٩٠٨ ، الذي دعي بثورة رجال تركيا الفتاة التي لم يصاحبها إراقة دماء .

كان العديد من (رجال تركيا الفتاة) ، قد درسوا في أوروبا و اكتسبوا شيئاً من قشور الحضارة الغربية ، حيث كانوا قد أبعادوا على مدى سنوات في زمن الحكم الاستبدادي الذي لا يطاق لعبد الحميد الملعون والذين كانوا مستعدين الآن لقلب النظام القديم وخلق تركيا وطنية جديدة .

إنه أمر لا يرقى إليه الشك . أن يكون العديد من هؤلاء ذوي دوافع وطنية صادقة ويرغبون على نحو عارم أن يرتقوا بتركيا إلى مستوى الحضارة الأوروبية ، لكن هؤلاء يشكلون عدداً ضئيلاً من مجموع السكان ، الذين بالرغم من وصفهم بالأتراك الجدد فإنهم يشبهون الأتراك القدامى كما تشبه حبة حمص مع أخرى .

لقد بدأت الثورة بضباط الجيش ، الذين كانوا قد تلقوا تدريباً في الخارج وكان الأرمن قد تعاونوا مع هؤلاء المنادين بالتححر والقيم الديمقراطية سواء في داخل البلاد أو في المنفى ، حيث نشأت بينهم علاقات صداقة وكان الأرمن ينتظرون على نحو مبرر أن يتخلصوا حقيقة من الاضطهاد بانتصار النظام الجديد . غير أن الانتخابات الأولية للبرلمان الجديد ثم تنظيمها شكلياً إلى الحد الذي استبعدت منه بصورة رئيسية العناصر القومية الأخرى .

لقد وجد الأرمن أنفسهم في وضع أسوأ من ذي قبل ، وقد حصل هذا الأمر لأن أصدقاءهم لم يتخلوا عنهم فقط، بل قاموا بتدشين سياسة (تركيا للأتراك) التي كان نتيجتها إبادة الأقليات القومية .

وعدا عن حقيقة أن الأرمن كانوا قد ساعدوهم في ثورتهم فقد أعطتهم هذه المساعدة الذريعة لكي يدعوهم بـ (خونة) النظام التركي، والجديرين بالإبادة فحزب رجال تركيا الفتاة الذي يفترض أنه كان يحمل عالياً مشعل الحرية

والديمقراطية موطداً ومفتتحاً عصرًا جديدًا لم يتأخر في الكشف عن وجهه الحقيقي. ففي ١٤ نيسان عام ١٩٠٩ جرت مذابح غير متوقعة للأرمن في أضنة. وقد تم تنفيذ المذبحة من قبل السلطات المحلية بمساعدة ضباط تركيا الفتاة. قامت الدول على أثرها باستنكار هذا العمل بطريقة زائفة وأرسلت بعض السفن الحربية غير أنه جرت مذبحة أخرى في ١٥ نيسان أمام أعين ممثلي أوروبا الغربية. وقد ادعى رجال تركيا الفتاة أن مسؤولية المذابح تقع على عاتق النظام القديم وقاموا بعرض القضية على محكمة عسكرية، ثبت زيفها. وقد أدركت الأقليات المضطهدة في تركيا منذ تلك اللحظة أن لا أمل لهم بأية مساعدة تحت النير التركي. فالتركي (جديد) أو (قديم) هو دائماً تركي.

لقد جرى أول غزو مسلح للإمبراطورية العثمانية بعد عام ١٨٧٨ في عام ١٩١١، عندما قامت إيطاليا بشن هجوم على طرابلس الغرب واحتلت جزيرة رودس وإحدى* عشر جزيرة تركية أخرى في بحر إيجه.

لقد ربحت تركيا الحرب التي تلت ذلك وأعطت معاهدة لوزان التي تم التوقيع عليها في ١٥ تشرين الأول عام ١٩١٢ طرابلس الغرب لإيطاليا شريطة أن تنسحب الأخيرة من جزر بحر إيجه.

وقد أدى نجاح إيطاليا إلى تشجيع شعوب أخرى، كان لديها أسباب أهم لتكره تركيا وهكذا اندلعت حرب البلقان الأولى عام ١٩١٢.

في ذلك العام تحالفت كل من بلغاريا، وصربيا، والجبل الأسود واليونان ضد تركيا، مما أسفر ليس فقط عن خسارة الأخيرة، ولكن طردها تقريباً بالكامل من أوروبا. كما قام الخصوم في ٣٠ أيار عام ١٩١٣، بالتوقيع على معاهدة لندن

*ملاحظة المترجم. يقصد الكاتب الجزر الإثنا عشر التي كانت ذلك الحين تحت الاحتلال التركي.

حيث احتفظ السلطان بموجب هذه المعاهدة في أوروبا على إستانبول فقط وعلى مساحة من الأرض حولها كانت كافية لحمايتها .

لقد خسرت تركيا مقدونيا، التي تم تقسيمها بين اليونان وصربيا وبلغاريا. وتم احتلال جزء من تراقيا من قبل بلغاريا التي تم إعطاؤها لاحقاً لليونان كما خسرت تركيا أيضاً جزيرة كريت وجزر بحر إيجه .

غير أن القوى العظمى وخصوصاً انكلترا، شعروا بأن من واجبهم أن يساهموا في حل المشكلة وهكذا ألحوا على إنشاء دولة جديدة على جزء من الأراضي التي تم اقتطاعها من الأتراك . وكانت هذه الدولة هي ألبانيا . طبعاً ولا واحدة من دول البلقان بقيت قانعة وصاروا يطلبون المكافأة في مكان آخر وبدؤوا بالتخاصم من أجل رسم حدود جديدة . وهكذا اندلعت حرب البلقان الثانية التي حاربت فيها اليونان صربيا ضد بلغاريا وانتصرا عليها ووجدت تركيا أن الفرصة قد سنحت لاستعادة جزء من الأراضي التي كانت قد خسرتها ، حيث قامت باحتلال ادرنة التي قضت معاهدة بوخارست الموقعة في ١٠ آب عام ١٩١٣ ، بمنحها هذه المدينة ، بالإضافة إلى أراضٍ أخرى شمال إستانبول . وقد حدث كل هذا بالرغم من إخطار الدول العظمى في تشرين الأول عام ١٩١٢ بأنهم سوف لن يسمحوا بإجراء أي تغيير في وضع تركيا الأوروبية . وفي تشرين الأول عام ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، حيث كان القيصر يعد ولسنوات لهذه الحركة . وقد استضافه السلطان بكل مظاهر التبحيل المتسمة بالأبهة ، والعزيزة على قلوب الشرقيين كما كانت برلين على مدى جيل مركز الدسائس التركية .

لقد تم ترتيب الأمور على نحو جيد حيث تم إنشاء خط سكة حديد برلين - بغداد من قبل ألمانيا كتهديد ضد قوة بريطانيا العظمى في الهند ، وكان لدى القيصر آمال في أن يصبح زعيماً للشرق والغرب على حد سواء .

(ملاحظة المترجم : في حقيقة الأمر ، لم يكن قد تم في ذلك الوقت، إنجاز خط سكة حديد برلين - بغداد عندما اندلعت الحرب) .

هذا وكان العديد من الأرمن قد فروا لدى اندلاع الحرب من إقليم أرومروم الواقع في أقصى شمال شرق تركيا وطلبوا الحماية لدى أرمن روسيا* .

وقد عاد فيما بعد العديد من هؤلاء لدى تقدم الجيش الروسي عام ١٩١٥ . وقد استمر رجال تركيا الفتاة في العام ذاته في سياسة إبادة الأقليات المضطهدة بحماس منقطع النظر. حيث حدثت مذابح جماعية وأعمال تهجير أرمن ويوناني آسيا الصغرى . وكما يشير بيسترمان :

(إلى أن هذه التجربة هي من أكثر التجارب قذارة و فظاعة عبر التاريخ) .
نصل الآن إلى المعاهدات السرية والتي جعلتها الحرب موضوع شراء وبيع ومبادلات من أجل العدالة الأمر الذي عقد قضية الشرق الأدنى أكثر مما كانت من ذي قبل .

فقد قام الحلفاء في نيسان عام ١٩١٥ ، بالتوقيع على معاهدة لندن ، التي منحت إيطاليا قطاعات واسعة من أراضي الإمبراطورية النمساوية ، وأفضل ميناء في ألبانيا، ومساحات من الأراضي في أفريقيا، والجزر الإثنا عشر اليونانية وأراضٍ في تركيا ماثلة لتلك التي كانت ستأخذها انكلترا وفرنسا .

كان تلك مكافأة إيطاليا لدخولها الحرب . كما كانت الغنائم توزع كالمعتاد على نحو مسبق . تلا ذلك معاهدة باليولونغ-سازانوف التي تم التوقيع عليها

*ملاحظة المترجم . يبلغ المؤلف فعدد الأرمن الذين كانوا قد لجؤوا إلى الجهة الأخرى من الحدود كان ضئيلاً وقد وقف أرمن تركيا في معظمهم مخلصين للدولة العثمانية .

سراً في باريس في آذار عام ١٩١٦، والتي منحت روسيا بموجبها الأراضي الواقعة بين إيران والبحر الأسود وقامت بمد حصّة فرنسا المستقبلية في الأراضي التركية على جزء من آسيا الصغرى التي كانت تشمل على شريط من سوريا حتى نهر دجلة .

وقد كان كل ما تلا ذلك أكثر سوءاً . ففي أيار عام ١٩١٦، قامت فرنسا بالتوقيع على معاهدة سرية مع إنكلترا من وراء ظهر روسيا ، المعروفة باتفاقية سايكس - بيكو والتي أعطت فرنسا بموجبها جزء آخر من سوريا حتى ميناء عكا .

كما أخذت بريطانيا العظمى ميناء حيفا والذي يحتمل أنه كان أفضل ميناء على شواطئ فلسطين بالإضافة إلى الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين . أيضاً كانت دمشق وحمص وحلب ستعطى مستقبلاً لـ(دولة عربية) . علاوة عن أنه كان يتم على نحو مسبق تمويل ملك الحجاز من قبل بريطانيا . لن يكون لدولة أخرى - والمقصود هنا إيطاليا - حقوقاً في أجزاء من الإمبراطورية العثمانية الناطقة بالعربية . وكما قيل بدقة :

(إن هذه المعاهدة كانت من اليوم الأول لتوقيعها ملوثة بالبترول وأشكال أخرى من المصالح التجارية والاستغلال الإمبريالي) . وكانت هناك معاهدة أخرى سرية ، هي اتفاقية سان يوانو التي تم التوقيع عليها في مورينيس ، في نيسان عام ١٩١٧ . وهذه الاتفاقية تم زيادة مكافأة إيطاليا لأنه تم إعطاؤها منطقة في آسيا الصغرى ، كانت تشمل كل المنطقة الواقعة بين قونية شمالاً وحتى إزمير غرباً . هكذا شئنا أم أبينا فإن الزاوية الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى كانت ستصبح بالكامل تحت السيادة الإيطالية . وقد تم عرض هذه الاتفاقية على روسيا للموافقة عليها ، ولكن هذه الأخيرة كانت قد بدأت بكشف هذه المعاهدات السرية في مهدها ولم توافق على شروطها .

هكذا وجد الحلفاء أنفسهم في موقف صعب . وبالتوقيع على هدنة مودروس التي تم التوقيع عليها في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨ ، توقفت الأعمال العدائية في الشرق الأدنى .

لم تكن تركيا قد هزمت فقط ، ولكنها كانت قد انهارت ولم يكن يبدو بتاتاً أن هناك سبب للاعتقاد من أنها كانت ستصبح بؤرة اضطرابات ثانية. وما كانت ستصبح لولا وجود التنافس الإمبريالي للدول العظمى . فلإستانبول كانت قد احتلت من قبل الجيوش الحليفة . كما كانت قوة فرنسية قد احتلت سوريا وكيليكيا . وكانت قوات إيطالية قد نزلت في أنطاليا وقوات يونانية في إزمير . وتم اقتطاع الحجاز من تركيا وتم تسميتها بالمملكة العربية .

كما تم اقتطاع فلسطين من تركيا من قبل البريطانيين الذين احتلوها من أجل (الصهاينة) وتم تسمية منطقة ما بين النهرين بمملكة العراق التي وضعت تحت الوصاية البريطانية . هذا وقد تم في الفصل السابق سرد كل ما تلا ذلك - كيف أن اليونان أرسلت إلى آسيا الصغرى من قبل الرئيس ويلسون و لويد جورج لكي يتم تطويق إيطاليا ، وكيف أن القوات اليونانية احتلت إزمير ، وما هو متعلق بظهور الحزب الوطني التركي بقيادة مصطفى كمال . والتوقيع على الميثاق الوطني التركي في أنقرة ، في ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٢٠ . لقد توالى الأحداث الواحدة تلو الأخرى بسرعة وعلى نحو مثير . فالحلفاء كانوا منقسمين على أنفسهم كما هو الحال دائماً وقد تم التوقيع على معاهدة سيفر ، الأمل الأخير بحل راسخ لعموم مشكلة الشرق الأدنى ، غير أنه لم يتم التصديق عليها بتاتاً وقامت بريطانيا العظمى بدعم اليونان ضد تركيا الوطنية ، التي بدورها وجدت حلفاء لها في فرنسا وإيطاليا. كما قامت كل من فرنسا وروسيا بالتوقيع على معاهدات مع تركيا وقامت إيطاليا بعقد معاهدة فعالة معها .

كانت بريطانيا معادية حقيقية لتركيا أما الولايات المتحدة الأمريكية فعلى الرغم من اتخاذها ظاهرياً موقف الحياد، فإنها كانت قد سارت على نحو مسبق في طريق التغلغل السياسي والاقتصادي في الشرق الأدنى .

لقد أحرقت مدينة إزمير وتم قتل سكانها الأرمن واليونانيين أو تم تهجيرهم في أيلول عام ١٩٢٢ وتخلصت تركيا أخيراً من الأقليات .

كان الاجتماع الأول قد بدأ في لوزان بين تركيا وسبعة من الدول الحليفة في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ واستمر حتى ٧ شباط عام ١٩٢٣ .

وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن قد أعلنت الحرب ضد تركيا ، لذا لم تشترك على نحو رسمي ، ولكنها ، أرسلت ممثلين عنها على رأسهم السفير تشايلد ووزير الخارجية هيوز وعلى رأسهم الأميرال بريستول ، الذين كان عملهم هو مراقبة سير المحادثات وإرسال تقارير إلى واشنطن .

وقد عمل ممثلو أمريكا في الحقيقة أكثر بكثير، لأنها قامت بمنح قروض لعموم أوروبا لذا فإن أمريكا كانت في وضع القادر على جعل رغبتها معروفة ومحسوسة. فضلاً عن قيام وزير الخارجية الأمريكي هيوز ، بإخطار الحلفاء أنه على الرغم أن أمريكا لم تقم بدور فاعل في المحادثات ، إلا أنها كانت مهتمة بشكل قوي بموضوع الوصاية ، الذي كان سيتم مناقشتها ، بشكل خاص لأنه كان بوسع الوصاية أن تؤثر على مسألة الامتيازات الممنوحة وسياسة (الباب المفتوح) .

هذا وكان للموقف الأمريكي تأثير حاسم على الاجتماع ، الذي تلا ذلك حيث أنقسم المشتركون في اجتماع لوزان إلى مجموعتين ظاهرتين . الأولى كانت مكونة من هؤلاء، الذين يمثلون المعنيين بالمصالح البترولية والأخرى من كل الذين يساندون الأقليات المضطهدة والاستثمارات الإنسانية الأمريكية في آسيا الصغرى . وقد تغلب البترول .

ورفضت تركيا مناقشة الامتيازات إلا إذا تم شطب موضوع الأقليات من جدول الأعمال . لم تكن أية دولة من الدول العظمى مستعدة للتخلي عن منفعة اقتصادية ممكنة بدل رؤية تحقيق العدالة . وبما أن تركيا كانت على دراية بانقسام الحلفاء فيما بينهم فقد قامت بتأليب الواحدة ضد الأخرى . كانت مصالح الحلفاء المتعلقة بالبترول في آسيا الصغرى مرتبطة ببعضها وقد ربحت تركيا نقطة بعد أخرى .

على كل حال تم أخيراً ، فض الاجتماع دون تحقيق أي اتفاق . وقام المجلس الوطني التركي في ١٠ نيسان عام ١٩٢٣ ، (ملاحظة المترجم . التسمية الصحيحة هي مجلس الملة الكبير لتركيا) بالتصديق على الامتيازات الضخمة الممنوحة لتسيستر كما تم في اجتماع لوزان الثاني المنعقد في ٢٣ نيسان إنجاز العمل الناقص الذي تركه الاجتماع الأول .

أخيراً تم التوقيع في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣ على اتفاقية سلام بين الحلفاء ، وقد كانت المزايا المخيفة التي ربحتها تركيا بادية بوضوح بتعداد بسيط لشروط الاتفاقية :

فقد تمت إعادة إستانبول نهائياً لتركيا كما تم استبعاد كل القوى الأجنبية عنها . وتم ترتيب أمر المضائق وبقيت تركيا المسيطرة الأخيرة عليها . وتم السماح ببقاء بطيركية الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في إستانبول ، ولكن عملية تبادل يوناني تركي مع أتراك اليونان أصبحت إلزامية . وتركت المشكلة الأرمنية بالكامل دون حل . وقد نقصت مساحة تركيا بالاعتراف بالدول التي اقتطعت منها ، والتي تم إعطاء أمر الوصاية عليها إلى الدول الحليفة مثل سوريا ، وبلاد ما بين النهرين وفلسطين ، ولكنها استعادت مدينة إزمير وتراقيا الشرقية . كما تخلصت تركيا من قوانين الامتيازات الأجنبية والأمم الوحد ، الذي تمكن الحلفاء من تحقيقه كنسوية اقتصادية ، كانت الاتفاق

في المحافظة على منابع نفط في مملكة العراق الجديدة التي كان البحث جارياً في صدد إنشائها إلى أن يتم تحديد مصيرها عبر مفاوضات مستقبلية بين تركيا وبريطانيا العظمى .

شكلت معاهدة لوزان تعديلاً كاملاً لمعاهدة سيفر وتبديلاً جذرياً تم الاتجاه على الموافقة عليها في اجتماع لوزان الأول .

لقد رجحت تركيا الحرب في لوزان . لم يصدق أحد بتأتا أن معاهدة لوزان كانت ستستمر . لقد خضع الحلفاء لسبيين :

أولاً : لأن تركيا كانت تملك جيشاً كبير العدد كان يتم إبراز حجمه للحلفاء على نحو مضخم ولا واحدة من الدول العظمى كانت مستعدة لأن تحارب ثانياً : لأن تصادم الأهداف المطلق بين المصالح المرتبطة بالبترول قد حصل ومن غير الممكن قيام الحلفاء بعمل مشترك . كانت مأساة غربية :

فتركيا التي تحطمت عام ١٩١٨ ، كانت تلمي شروط السلام على دول العالم العظمى عام ١٩٢٣ ، وتم هذا فقط بفضل الإمبريالية الاقتصادية ولا واحدة من الدول الحليفة ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت قد جاءت إلى طاولة المفاوضات بأيدٍ نظيفة ولعلمهم بهذا فإن المندوبين الأتراك كانوا يتصرفون معهم بسخرية ولا مبالاة .

إن نظرة إلى مسرح الأحداث في لوزان كانت ستكون توضيحية . كان المرء سيرى أحد صيادي الامتيازات يدق بقبضته على الطاولة ويتساءل :

(هل جئنا هنا لنحمي مصالحنا الاقتصادية أم لأجل الأقليات الملعونة ؟) .

كان سيرى مندوبي تركيا وخرائطهم في أيديهم بحالة ارتباك جنونية ، إلى الحد الذي اضطروا فيه إلى طلب مساعدة زملائهم البريطانيين ليقوموا بتسوية أمورهم وليجدوا ما هو من حقهم وما ليس من حقهم .

كان سيتابع المشهد الساخر للأتراك ، عندما قام الانكليز بإعطائهم خارطة ذات مقياس كبير المساحة ، كانوا يرغبون في منحهم إياها ، من أجل مقبرة في إستانبول، حيث أظهر الأتراك بسذاجة كاملة خارطة ذات مقياس صغير لأوروبا ، لاحظوا فيها أن الانكليز كانوا قد طلبوا منهم مساحة مساوية لمساحة سويسرا .

أيضاً قامت أمريكا التي لم تكن ضمن الدول التي ساهمت في المعاهدة الرئيسية ، بالتوقيع في ٦ آب عام ١٩٢٣ ، على معاهدة (الصدقة والتجارة) مع تركيا . كما كان وزير الخارجية هيوز قد صرح مسبقاً بأن أمريكا كانت ستلح على النقاط التالية :

١-الحفاظ على قوانين الامتيازات الأجنبية .

٢-حماية المؤسسات الإنسانية الأمريكية .

٣-تعويض الأمريكيان عن الخسائر التي تكبدوها .

٤-حرية عبور المضائق .

٥-حرية الشروع في تنقيبات أثرية في الأرض التركية .

٦-حماية الأقليات المضطهدة .

وعندما تم التوقيع أخيراً على المعاهدة تبين أن أمريكا كانت قد تخلت عن كل هذه النقاط. فقد تم التخلي عن قوانين الامتيازات الأجنبية. كما خضعت المؤسسات الإنسانية الأمريكية للقوانين التركية . ولم تتم تسوية قضية التعويضات عن الخسائر . وفيما يخص حرية عبور المضائق ، تم التأكيد ببساطة على (حق كان لنا منذ البداية) .

بالطبع فقد ضمننا لعلماء أثارنا الحقوق المماثلة لعلماء الآثار الأتراك ولكن

ما حصل هو أنه ليس لدى تركيا علماء آثار !

وقد أعطتنا سياسة الباب المفتوح ما كان لدينا مسبقاً :

أي الحق في أن نمارس أعمالاً تجارية وأن نقوم بالاستثمارات في تركيا كما في الماضي. فضلاً عن أنها أعطتنا المقدرة على أن نضع العقوبات في وجه كل خصومنا الاقتصاديين الذين كان لديهم حقوق وامتيازات من قبل ، مثل بريطانيا العظمى . وفيما يخص حماية الأقليات المضطهدة ، تم تأجيل قضيتهم إلى يوم لن يأتي أبداً. فقد رفض الأتراك مناقشة هذا الموضوع وقبلت الحكومة الأمريكية ذلك على نحو مذل . كانت عملية تبادل بذينة وثن باهظ جداً من أجل البترول .

إن فحصاً شاملاً لدبلوماسية تحريف الحقائق في الشرق الأدنى يرينا بعض الحقائق على نحو جلي . كانت هناك فترتان :

الأولى كانت أثناءها الدول العظمى تنافس الواحدة الأخرى لتبؤ مركز الصدارة السياسية ، والثانية حيث كانت الأهداف السياسية تشكل فيها الدافع الرئيسي للسباق .

طبعاً لا يمكن الادعاء بأن سياسة (الدبلوماسية المكشوفة) الراهنة هي في كل الأحوال طريقة أفضل من دبلوماسية الماضي السرية ، على الأقل فيما يخص الشرق الأدنى .

لقد انتعشت القوى العظمى و تمت التضحية باليونان والأقليات المضطهدة وكل ذلك دون نتيجة . فمعاهدة لوزان ليست سوى نذير حرب جديدة . فهؤلاء الذين وقعوا عليها اعترفوا أنفسهم أنها كذلك . وكما هو الحال دائماً تأتي الإمبريالية في البدء وتليها الروح العسكرية .

من الواضح أن تركيا لا ترغب في تحسين أساليبها إلا إذا تم إجبارها على فعل ذلك ، ليس بالضرورة بالحرب ، ولكن بممارسة ضغط اقتصادي . فعندما قامت روسيا في الماضي بطلب إجراء إصلاحات في تركيا ، قامت إنكلترا خوفاً من النفوذ الروسي بمعارضة تنفيذ الإصلاحات .

وعندما قامت إنكلترا بدورها بطلب إجراء إصلاحات فإن روسيا وفرنسا وألمانيا قامتتا بقطع الطريق أمام الإصلاحات .

لم تكن الدول العظمى أكثر عدلاً إزاء تركيا من ما كانت عليه تلك إزاء الأقليات القومية الخاضعة لها. إن لدى تركيا اليوم فرصة أخرى :

فقد خرجت الأقليات المضطهدة من طريقها، وصارت مقبولة بنفس القدر من قبل الدول العظمى فضلاً عن أنها ألزمتهم بالموافقة على شروط سلمها ولا يبقى سوى أن نرى كيف ستتم الفرصة التي أعطاها إياها القدر. من المشكوك فيه كثيراً إذا كانت الفرصة قد تم شراؤها بمقايسة بيع الدول الغربية الرخيصة والتضحية باليونانيين والأرمن والتي يمكن أن تقود إلى نهاية حسنة على المدى البعيد . فما أن تقوم دول أوروبا بترتيب قضاياها الداخلية سوف يولون أنظارهم ثانية نحو الشرق الأدنى ، كما فعلوا دائماً في تاريخهم لقد باع الحلفاء في لوزان حقوق الطفل الأول، من أجل صحن حساء، الذي ربما لن يعطى لهم أبداً ، لأنه لم يتم ترتيب مسألة الأمتيازات للآن. ويمكن أن تكتشف تركيا بأنها أخطأت في البازار . وفيما يخص أمريكا، فإن الأحداث تتكلم بوضوح لوحدها. فقد تم طرح التزاماتهم الأخلاقية كما يلقي بصابورة للتخفيف من وزن سفينة .

لقد أسست هذه المعاهدة على وعود تم التكرار لها أو التزامات لم تنجز. لقد كتبت هذه المعاهدة بالبترول وتم ختمها بدماء اليونانيين والأرمن ، الذين تمت التضحية بهم ليكون بالإمكان عقد هذه المعاهدة .

الفصل العاشر

تحديد المسؤوليات

حاولت في الفصول السابقة أن أشير إلى أن السبب في عدم وجود مخرج لمشكلة الشرق الأدنى ، هو اللامبالاة في مواجهة الوضع من ناحية الدول الكبرى ، التي تحض تركيا على الاستمرار في إدارة شؤون البلاد على نحو سيئ حتى لو لم يوافقوها على ما تقوم به كما تحرض هذه الدول الكبرى على التدخل في شؤون الشرق الأدنى مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج مدمرة .

في هذا السياق قامت الدول الكبرى بتقديم احتجاجات أو إعطاء وعود ، لم يتم تبنيتها باستمرار . هذا وقد تم في الحقيقة تحديد المسؤولية عن حالة الضياع بالنسبة للشرق الأدنى ، ولم يبق سوى أن نشير هنا إلى الطريقة التي أخذ المسؤولون بها على عاتقهم معالجة هذه الأمور .

كان الرئيس ويلسون قد طلب من الحلفاء في كانون الثاني عام ١٩١٧ القيام بإعلان أهدافهم العسكرية ، حتى يكون في وسعه إقناع الشعب الأمريكي بأنه لم يطلب منهم أن يحاربوا من أجل قضية إمبريالية أو أمر غير مفهوم ، إذ ذاك قام الحلفاء بإصدار تصريح رسمي يتضمن البنود التالية :

١- ((تدرك الدول الحليفة بأنها لا تحارب من أجل مصالح أنانية ولكن فوق كل اعتبار من أجل الحفاظ على استقلال الشعوب وحقوق البشر .

٢- من الضروري أن نتذكر مجازر آلاف الأرمن الأبرياء والأعمال الهمجية التي تم اقترافها ضد سكان سوريا

٣- ((تتضمن أهداف الحلفاء العسكرية)) تحرير الشعوب الواقعة تحت نير عبودية السكان الأتراك وطرد الإمبراطورية العثمانية من أوروبا كجسم غريب بالكامل تجاه الحضارة الغربية)) .

من الواضح أن بريطانيا العظمى وفرنسا قد التزمتا برنامج لحماية الأقليات المضطهدة ، والتي كانت شروطها واضحة . وقد أعقب هذا التصريح احتجاجات أكثر عنفاً من قبل زعماء تلك الدول . حيث قام كليمانصو عام ١٩١٩ ، بالإجابة نيابة عن المجلس الأعلى ((للحلفاء)) لانتقادات الأتراك لمعاهدة سيفر التي تم إعدادها وقام بتوجيه الملاحظات التالية لمندوبي تركيا المعتمدين قائلاً :

((لقد بدأت الحرب دون سبب وتم الشروع فيها دون رحمة،وقد تلتها مذابح وصلت أو تجاوزت وحشيتها المنظمة كل المجازر التاريخية التي سبقتها..... لا توجد أي حالة ، سواء في أوروبا ، أو آسيا أو أفريقيا ، لم يتبع الحكم التركي انخفاض مستوى المعيشة وهبوط المستوى الحضاري فيها . كما لا توجد أي حالة لم يتبع الانعتاق من النير التركي زيادة في مستواها المعيشي وارتفاع مستواها الحضاري)) .

هذا وقد قام ميليران بعد سنة من هذه الشكوى المباشرة ، في ١٦ تموز عام ١٩٢٠ بإرسال مذكرة من قبل الدول الحليفة إلى تركيا نذكر منها المقتطفات التالية :

((إن الدول الحليفة هي واضحة فيما يخص مجيء الوقت،الذي أصبح فيه ضروريا وضع نهاية دائمة لاستعباد تركيا لقوميات أخرى لقد تجاوزت أعمال المذابح ، والتهجير وإساءة معاملة الأسرى أثناء فترة الحرب من قبل الحكومة التركية كل ماسبق ارتكابه . حيث يقدر عدد الذين تم قتلهم عام ١٩١٤ بذريعة افترضت قيامهم بثورة كاذبة بـ ٨٠٠,٠٠٠ ألف أرمني بين هؤلاء النساء والأطفال ، كما أنها هجرت أو طردت أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ ألف يوناني و ٢٠٠,٠٠٠ ألف أرمني من منازلهم .

فالحكومة التركية لم تنجح فقط في عدم حماية رعاياها من القوميات الأخرى من أعمال النهب والعنف والقتل بل هناك أدلة عديدة تشير إلى مسؤوليتها وتنظيمها للأعمال الوحشية وتوجيهها ضد أولئك الذين كان من واجبها حمايتهم . لهذه الأسباب فإن الدول الحليفة هي مصممة على تحرير هذه المناطق المأهولة من قبل أغلبية غير تركية من النير التركي .

ليس من العدل في شيء كما لن يساهم في استمرار السلم في الشرق الأدنى والأوسط بقاء مجموعات سكانية كبيرة من أصل غير تركي تحت النير التركي .

طبعاً ليس بمقدور الحلفاء تغيير الشروط التي تقتطع مدينة إزمير وتراقيا من الحكم التركي لأن الأتراك أقلية في هاتين المنطقتين)) .

هذا بخصوص المسؤولية التي أخذت فرنسا وبريطانيا العظمى على عاتقها القيام بها . وقد ضمت الولايات المتحدة الأمريكية صوتها مباشرة إلى أصوات الآخرين .

يقال أن الرئيس السابق روز فلت قال قبل وقت قليل من انتهاء الحرب : ((سيكون بمثابة خيانة للحضارة بقاء الأتراك في أوروبا)) .

لم يكن الوحيد الذي توصل إلى هذا الاستنتاج حيث قام الرئيس ويلسون بإعلان مبادئه الأربعة عشر المشهورة في ٨ كانون الثاني عام ١٩١٨ والتي كان البند الثاني عشر منها يقول :

((يجب ضمان أمن وسيادة الأجزاء الحالية للإمبراطورية التركية ، أما بالنسبة للقوميات الأخرى الموجودة حالياً فيجب ضمان حياة مؤكدة لهؤلاء وفرصتهم المطلقة في الحصول على الاستقلال ، كما يجب بقاء مضائق الدردنيل مفتوحة باستمرار كمعبر حر للسفن والتجارة لجميع الدول تحت ضمانات دولية)) .

حتى أكثر الجمهوريين المتشددين من معارضي الرئيس ويلسون كانوا متفقين معه في هذه النقطة. فقد صرح لوتز عضو مجلس الشيوخ في ذات العام، عام ١٩١٨ ، قائلاً:

((أن نسقي تركيا في أوروبا فهذا بؤس ، ولعنة لرعاياها وجيرانها ، بؤرة خوف ومصدر حروب)) .

لاحقاً وبعد عامين كتب السيد هاردينغ ، أثناء حملته الرئاسية في ٢٤ تشرين الأول عام ١٩٢٠ قائلاً :

((يمكنكم أن تكونوا متأكدين بأنه لكي أقوم بالمساهمة والتفكير في حل عادل لقضية الأمة اليونانية والمواطنين المميزين الذين قدمتهم لبلدنا ، فإنني سأستمر في المساعدة بكل طريقة ممكنة ، كما فعلت في مجلس الشيوخ في السنتين الأخيرتين .

لقد صوتت لصالح اقتراح لوتز ، الذي يعبر عن رأي مجلس الشيوخ والقاضي بمنح شمال إبيروس متضمنة كوريتساس والجزر الإثنا عشر وشواطئ آسيا الصغرى الغربية لليونان .

كما صوتت أيضاً لصالح الاقتراح الذي يعبر عن تقدير مجلس الشيوخ والقاضي بوجوب اتحاد تراقيا مع مملكة اليونان . كم إنني أؤيد أي تعديل يقضي بإعطاء العدالة للشعب اليوناني .

في هذا السياق ستنفذ أمريكا برمتها واجبها الإنساني إزاء العالم فيما تلح على وجوب اتجاه العالم حسب وجهة نظرها بخصوص ماهو صح وماهو عدل)) .

بمقدور الشخص أن يفاجأ بوفرة هذه التأكيدات سواء بالنسبة للأرمن أو اليونانيين الذين شعروا هذه المرة بأن قدرهم سيكون مضموناً في أيدي الحلفاء ولكن على الرغم من ذلك فقد تم نهب إزمير وحرقتها بعد سنتين من

ذلك وتم قتل أرمن ويونانيي آسيا الصغرى أو تهجيرهم ، وقام الحلفاء عام ١٩٢٣ بعقد معاهدة مع تركيا التي نقضت كل النقاط الواحدة تلو الأخرى التي كانت تصريحات الحلفاء السابقة قد أظهرتها كنقاط جوهرية . الآن يجب أن نبرهن بأن دورأمريكافي هذه القضية المحزنة كان غريباً . فعندما قام مندوبو فرنسا الرسميين في شتاء عام ١٩١٨ - ١٩١٩ بحض الأرمن على الطلب من فرنسا قبول الوصاية على المناطق الأرمنية (مساحتها قرابة الـ ٦٠ ألف ميل مربع) ، التي كانت قد أعطيت لفرنسا بموجب اتفاقية سazanوف - باليولونغ عام ١٩١٥ واتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦ قام الوفد الأمريكي في مؤتمر السلم بإعطاء الأرمن الانطباع بأن أمريكا مستعدة بشكل مناسب إزاء أخذ أمر الوصاية على عاتقها . وقد تعزز هذا الانطباع في رسالة وبرقية من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وبموجب هذه الأسباب قام الأرمن برفض الاقتراح الفرنسي وولو أنظارهم صوب الولايات المتحدة الأمريكية .

يمكن أن تكون الذريعة المعروضة هي أن الرئيس ويلسون تصرف دون تفويض كامل من بلده .

ولكن وجهة نظر الرئيس كما يشير إلى ذلك عضو مجلس الشيوخ . لم تكن بعيدة عن وجهة نظر أشد معارضييه السياسيين على أية حال، لقد تأرجحت أمريكا لمدة زمنية طويلة إلى الحد الذي عندما أرادت فيه رفض الوصاية ، لم يكن بوسع أي دولة التحرك بدلاً عنها .

كان نتيجة ذلك التردد في اتخاذ القرار كما عرضها لويد جورج في أحد خطبه في مجلس العموم في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٢٠ حيث

قال آنذاك :

((من المعروف أن التوقيع على الاتفاقية مع تركيا قد تأخر كثيراً لأنه كانت لدينا آمال بأن أمريكا كانت ستشارك ... فلولم نكن قد وافقنا على الدعوة التي قدمت لنا بأن نؤخر مناقشة المعاهدة حتى تجد أمريكا الطريقة المناسبة لاشتراكها لكان تم طرح وجهة النظر القائلة بأن بريطانيا طلبت بإلحاح إبعاد أمريكا من تسوية المسألة التركية ... أنا متأكد بأنه لم تكن لدينا طريقة عمل أخرى لفرنسا ، وإيطاليا ولنا بعد تقديم دعوة مماثلة .

إن التأخير يعود بشكل خاص لهذه الواقعة)) .

عدا عن ذلك كان السيد أوستين شامبرلين قد قال في خطاب له في برمينغهام في الثالث عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٢ ، بعد مضي شهر على تدمير مدينة إزمير :

((لم يأخذ مؤتمر السلم على عاتقه التجهيز والإعداد لاتفاقية مع تركيا سوى في طور متأخر . كانت نتائج كل هذا التأخير سيئة على نحو عميق وقد أثرت على مجمل الوضع . ماذا كانت نتيجة هذا التأخير ؟

لقد اعتقد الحلفاء واستمدوا الشجاعة من الرئيس ويلسون ليعتقدوا أن الولايات المتحدة ستقوم بدور فاعل في تسوية المسألة التركية وحماية الأقليات التي عانت إلى حد كبير من نظام السلطان . وعندما بدا بشكل واضح أن آمال الرئيس ويلسون لن تتحقق وأن من غير المجدي انتظار أية مساعدة من الأمريكان ، إذ ذاك فقط اهتم الحلفاء بموضوع المعاهدة مع تركيا)) .
بالطبع في هذين التصريحين يبدو هناك ميل لعدم تحمل المسؤولية لكن على الرغم من ذلك هناك الكثير من الحقيقة في هذين التصريحين إلى درجة من المهم أخذهما بمجدية بعين الاعتبار .

من الواضح أنه لم يكن بوسع الأرمن تكليف الحلفاء القيام بالمساعدة أو أن ينفذوا وعودهم إلى أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بدورها فيما يتعلق

بالوصاية المقترحة أو اقتراح لوتز - ويليامس ، والذي كان في الواقع بديلاً للوصاية .

كان شيئاً كهذا سيكون تجاوزاً للقوانين والأعراف من قبلنا وكان سيشير بهذه الطريقة إلى أنهم سيمانعون في رغبتنا الحسنة . غير أن حالة الجمود التي اعترت حكومتنا بخصوص الموضوعين المذكورين أعلاه أخرت عقد معاهدة سلام مع تركيا ، حتى أصبحت الدول العظمى تقوض الوحدة الأخرى في الشرق الأدنى وإلى أن وجد الأتراك أنفسهم في موقع سمح لهم بالاستهزاء دون عقاب بقرارات الدول العظمى .

لقد قام الحلفاء بالتوقيع على معاهدة سيفر في العاشر من آب عام ١٩٢٠ واضعين بالاعتبار الموقف الأمريكي بشكل كامل إزاء أرمينيا أي بعد الاعتراف الذي تم من قبلنا باستقلال أرمينيا في الثالث والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٢٠ ورفض الوصاية على أرمينيا في الواحد والثلاثين من الشهر التالي . حيث كانت المعاهدة المذكورة أعلاه تنص على إنشاء دولة أرمنية مستقلة تم الطلب من الرئيس ويلسون القيام بترسيم حدودها جنوباً وشرقاً بالإضافة إلى قيام المعاهدة بإخراج تركيا من أوروبا وإعطاء تراقيا ومنطقة إزمير إلى اليونان شريطة القيام باستفتاء بالنسبة للأخيرة قبل إعطاءها لليونان .

لقد أخذ الحلفاء بموجب معاهدة سيفر على عاتقهم القيام ببعض الالتزامات ولكن عندما أعطيت لهم الفرصة لم يقوموا بتنفيذ هذه الالتزامات . هذا وقد تجاهل الحلفاء الخطر الذي كان يتهدد الأرمن واليونان بسبب قدوم الجيش الوطني التركي مما أسفر عنه الدمار الشامل للأقليات التي كانت قد وعدت بحمايتها على نحو رسمي .

إنه لمن السذاجة بمكان أن يصدق شخص ما أية وعود لتركيا بأنها ستقوم بحماية القوميات الخاضعة لها ، وذلك يبدو من حقيقة مفادها قيام الأتراك بالتوقيع منذ عام ١٧٧٤ على ٢١ معاهدة دولية ، أعطت خلالها تأكيدات بأنها ستقوم بحماية رعاياها من الأقليات القومية وكانت المذابح التي ارتكبت في الـ ١٤٠ عاماً والتي مضت تصبح أكثر اتساعاً والأعمال الوحشية أكثر فظاعة . اعتقد أن من الصواب التوقف هنا وإيجاز الحالة بالطريقة التالية :

أرمينيا

- ١- لقد وعد الحلفاء بصورة افردية وجماعية على حد سواء .
 - أ- تخليص أرمينيا من الاضطهاد التركي .
 - ب- إنشاء وطن أرمني مستقل .
- ٢- لقد عبرت فرنسا عبر مندوبيها عن رغبتها في قبول الوصاية على أرمينيا .
- ٣- لقد عبرت أمريكا عبر مندوبيها عن رغبتها في قبول الوصاية على أرمينيا .
- ٤- بعد هذا اتجهت أرمينيا صوب أمريكا .
- ٥- قام الحلفاء وفق الطلب الأمريكي بتأجيل البث في التسوية بانتظار الدور الأمريكي الفاعل .

٦- لم تقم أمريكا على مدى سنة ونصف السنة بعمل أي شيء .

٧- كانت النتائج المباشرة لهذا التأخير .

أ - استعادة تركيا لكامل قواها .

ب- قتل وتمجيد كل أرمن تركيا .

ت- سيادة تركيا التامة في لوزان .

اليونان

١- لقد وعد الحلفاء على نحو إفرادي وجماعي .

أ- بتخليص يوناني الإمبراطورية العثمانية من الاضطهاد التركي .

ب- عودة الأجزاء التي معظم سكانها من اليونانيين من تركيا إلى السيادة اليونانية .

٢- لقد وعدت فرنسا وبريطانيا العظمى وأمريكا اليونان بتقديم مساعدة اقتصادية عبر قرض من الدول الثلاث عام ١٩١٨ .

٣- لقد أعطى الحلفاء لليونان حق الوصاية على جزء من تركيا وقاموا بدفعها على احتلال هذا الجزء .

٤- توقف الحلفاء عن دفع دفعات قروض الدول الثلاث مما أصاب الاقتصاد اليوناني بالشلل .

٥- قامت فرنسا وإيطاليا بمساندة تركيا في الحرب التي تلت دخول اليونان إلى آسيا الصغرى ،على الرغم من حقيقة أنهم كانوا بين تلك الدول التي أرسلوها إلى هناك .

٦- لقد أعطت بريطانيا العظمى لليونان مساعدة غير فعالة أثناء الحرب ، كما وقفت أمريكا على الحياد على الرغم من أن هذين البلدين كانا المسؤولين الرئيسيين عن إرسال اليونان إلى آسيا الصغرى .

كانت نتيجة ذلك :

أ- هزيمة الجيش اليوناني في آسيا الصغرى من قبل الأتراك .

ب- نهب وحرق مدينة إزمير .

ت- قتل قرابة ١٠٠ ألف أرمني ويوناني .

ث- استعباد قرابة ١٦٠ ألف أرمني ويوناني في آسيا الصغرى .

ج- دمار الاستثمارات الخيرية الأمريكية في تركيا .

ح- وصول ١,١٢٠,٠٠٠ لاجئ إلى اليونان .

خ- عودة تركيا إلى أوروبا .

د- سيادة تركيا التامة في لوزان .

من المشكوك فيه وجود مثال في التاريخ بهذا القدر من الفشل المثير للدهشة.
فلم تتحقق ولا واحدة من التزامات ((الحلفاء)) ولا واحدة من تلك الوعود
بقيت دون أن يتم التنكر لها !

فالدول الخليفة ، التي كانت تضم في صفوفها دول العالم الكبرى ، والتي
كانت بمنتهى القوة بعد انتصارها في الحرب كانت قد التزمت بمعاينة دولة
صغيرة ، كانت وعلى مدى قرون تمارس الاضطهاد ، وكانت هذه الدول التي
التزمت برفع المظالم التي ارتكبتها تركيا قد انهزمت بالكامل واضطرت في
لوزان على التراجع نقطة فنقطة إلى الحد الذي لم يبق لها سوى بعض
الأسمال لتغطي بها كرامتها العارية ولماذا ؟

إما لأن أولئك الحكام كانوا الأقل كفاءة في التاريخ أو لأن المبادئ السامية
التي كانوا قد أعلنوها بالإجماع ، كانت أقل أهمية لهؤلاء من المكاسب
الاقتصادية والسياسية المنتظرة . كانوا حمقى وضعفاء أو محبين للمال .
الإجابة النهائية سيعطينا إياها التاريخ .

من هذه الأحداث التاريخية المفجعة يتبادر إلى أذهاننا سؤالان ، يجب أن تجيب
البشرية عليهما عاجلاً أم آجلاً .
أولاً ، هل الوعود التي يعطيها سياسي ، رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية
هي ملزمة للأمة التي يمثلها ؟

إذا كان الجواب لا ، عندئذ يجب عرض كل مسألة تمس سياسة البلد الوطنية
على الشعب في استفتاء عام .

إذا كان الجواب بنعم ، فإن على الأمم أن تعلم وأن تعترف بالكامل بأن
التنكر لهذا الموضوع ، للذين يحكمونهم ، هو تنكر لوعودهم وأنه إذا لم
يحترموا كلمة زعمائهم المنتخبين بشكل شرعي فأنهم لا يحترمون كلمتهم .

السؤال الثاني والمرتبط بالسؤال الأول، هو إلى أي حد تكون مسؤولية حكومة ما عن الوعود التي أعطاها أسلافهم ؟

ففي كل الدول المتحضرة اليوم يعتبر استمرار المسؤولية للالتزامات الاقتصادية أمراً مفروغاً منه، لأنه على النقيض من ذلك فإن الثقة الدولية ستنهار في اليوم ذاته على الرغم من ذلك . فإن بوسع حكومة ما أن تلتزم أخلاقياً باسم الأمة التي تمثلها ، لا يمكن للحكومة التي تليها أن تتجاهلها أو أن ترفضها بصرف النظر عن النتائج المدمرة التي يمكن أن تترتب على ذلك . لا يمكن أن يكون في العالم سلام طوال الوقت الذي توضع فيه الثقة في الاقتصاد بدل الثقة في الأخلاق .

ليس ذلك أحد المثل العاطفية ، ولكنه حقيقة عملية قاسية ، يمكن وصفها على نحو أفضل من أي طريقة أخرى بمقارنة معاهدة سيفر مع معاهدة لوزان . نجد أن الفراغ الذي يفصل بين هاتين الوثيقتين يعبر بشكل مناسب عن المسافة بين الشرف والمنفعة ، هذا الفرق بين التهدة المؤقتة التي يمكن أن تنجم عن تسوية الأمور والعلاج الجذري الذي يمكن أن ينجم فقط عن التصدي الشجاع لجوهر المشكلة .

في الحالة المقصودة وجد الحلفاء أنفسهم وجهاً لوجه أمام القيام بتنفيذ وعودهم نحو اليونان وأرمينيا وتنفيذ الهدف، الذي كانوا قد أعلنوه بطرد تركيا من أوروبا .

وجدوا أنفسهم في مواجهة هذه الأمور ، ولكن لم تكن لديهم القدرة الأخلاقية على تنفيذ ما كانوا قد اعترفوا بأنه جوهرى لتوطيد دعائم السلم الدائم ولتطور الحضارة .

لقد دفع اليونانيون والأرمن ثمن الخيانة، ولكن مازال الدين واجب الاستحقاق سيأتي يوم - يعترف الساسة الأوروبيون أنه يمكن ألا يكون بعيداً -

ستضطّر فيه القوى العظمى - ومن بينهم الولايات المتحدة - أن يرفعوا
هذا العبء الذي يرمونه الآن دون شرف وعلى نحو باطل .
لم تكن لوزان شاهداً فقط على معاهدة ولكنها كانت عملية بيع وشراء .

الفصل الحادي عشر

ماذا سنفعل الآن ؟

بقيامنا بتفحص المعاهدات في الشرق الأدنى سواء من الناحية التاريخية أو كما تبدو اليوم ، سوف نصل بلا شك إلى نقطة يُطرح فيها السؤال التالي قبل أي شيء :ماذا يمكن أن يحدث بخصوص كل هذا ؟

فالأجوبة على هذا السؤال هي عديدة وسأعرض كل واحدة منها باختصار أ: أن ننقذ اللاجئين (الأقليات المضطهدة البارحة) .

فلو تم حل مشكلة اللاجئين في اليونان ، فإن عموم الشرق الأدنى سيسلك طريق السلم والرفاهية بصورة نهائية .

فاليونان ، التي نرفت حتى الموت ، ستزدهر ما أن تمتص الزيادة السكانية الحالية وسوف لن يعود هذا التجدد إلى وجود دم أجنبي لأن يونانيي آسيا الصغرى هم شعب نقي من الناحية العرقية إلى حد بعيد كما أخوتهم في اليونان، والحقيقة ، هي أن الشعب اليوناني هو الوحيد الذي حافظ في الشرق الأدنى والبلقان على نقائه العرقي منذ سنين موعلة في القدم وهكذا فإن سكان اليونان اليوم هم مباشرة من سلالة العصر الذهبي هذا وإن مسألة الاهتمام باللاجئين هي ذات طورين مختلفين .

فالطور الأول مرتبط بخطة الإسكان التي جرى فيها مسبقاً تقدم محدد ، وقد قامت عصبة الأمم بتطوير خطة لتشغيل دائم للاجئين في أعمال منتجة وقد نجحت في جلب قرض إلى اليونان قدره ٦ ملايين جنيه إسترليني من أجل هذا الهدف ، المبلغ الذي هو ربما أقل من نصف ما ارتأى خبراء عصبة الأمم ضرورته .

وقد قام البنك الإنكليزي سابقاً بدفع دفعة مقدماً قدرها مليون جنيه إسترليني وألحت إلى أن بوسعها منح دفعة إضافية ضمن ظروف محددة .

إن في اليونان أراض خالية من السكان يمكن إسكان اللاجئين فيها أما أموال القرض التي من المنتظر استخدامها بصورة خاصة لهذا الهدف فسيتم التصرف بها من قبل لجنة إشراف دولية ، تم تعيين إثنان من أعضائها من قبل عصبة الأمم وإثنان من قبل الحكومة اليونانية ، وسيكون لرئيس اللجنة هنري مورغنتاو صوت الترجيح في حال تساوي الأصوات .

غير أن إحدى التزامات هذا القرض هي وجوب عدم صرف أي بنس لهدف آخر غير خطة الإسكان ، ولا يمكن استخدام ولا سنت للطعام واللباس والمواد الطبية ، هذه الأشياء التي يحتاجها اللاجئون بصورة عاجلة . أما الطور الثاني للاجئين فهو مرتبط بحاجة اللاجئين المطلقة للرعاية الطبية والاجتماعية إلى أن يكون بوسعهم الاعتماد على أنفسهم ، حيث ليس لديهم في الوقت الراهن أي مورد مالي ويجب إبقاؤهم على قيد الحياة إلى أن يصبح لديهم عمل منتج ، هذا ويقدر أن الأمر يحتاج لـ ٦٠٠ ألف دولار في الشهر لإطعام اللاجئين الفقراء إلى أن يتم جني محصولهم الأول وسيحتاج الأمر لـ ٣٠٠ ألف دولار آخر لأولئك الذين ستبدو محاصيلهم غير كافية . تقول الحكومة اليونانية أن بوسعها تخصيص ٢٠٠ ألف دولار في الشهر لهذا الهدف ، لذا يجب إعطاء مساعدة أكبر لكي تنجو اليونان من الدمار الاقتصادي و اللاجئين من الموت جوعاً .

إلى ذلك هناك نقطتان أقل شأنًا بخصوص حالة اللاجئين يجب أن تؤخذان بعين الاعتبار .

أولاً : وجوب حث اللاجئين غير اليونانيين (١٠٠ ألف أرمني و ٩ آلاف شركي وألف آشوري) على العودة إلى أوطانهم .

وهذا سيتطلب تأمين وسائل النقل لأجلهم والاهتمام بهؤلاء أثناء سفرهم ، أيضاً فإن هذا سيخفف من أعباء اليونان وسيقوي القوميات الصغيرة التي

ينتمي إليها هؤلاء الأنفو الذكر، ويجب الا يتم إجبار أي من هؤلاء أو تركهم ليعودوا إلى تركيا ، إن أمراً كهذا سيعني ببساطة بدء هذا الصراع الأبدي ثانية .

ثانياً : يجب حث الكونغرس على التصويت على الموافقة على منح كمية مستعجلة من الأموال لصالح اللاجئين ، والتي يجب أن يكون مقدارها مماثلاً لما كانت قد خصصته لجنة الحاجة المباشرة للاجئين في الشرق الأدنى في شتاء عام ١٩٢٢-١٩٢٣ .

كان اقتراحاً بهذا الشأن قد أودع في البرلمان من قبل السيد غوايت وعضو مجلس الشيوخ كيس في مجلس الشيوخ ، حيث كان مشروع القانون ينص على قبول أمريكا كل تجاوز على نسبة قانون الـ ٣٠٪ للذين تربطهم صلات قري مع المواطنين اليونانيين أو الأرمن أو المقيمين بصورة دائمة في أمريكا ، شريطة أن يكون هؤلاء الأقارب لاجئين من الشرق الأدنى وأن تتوافر فيهم كافة الشروط المعتادة ليتم قبولهم في هذه البلاد هذا فيما يخص اللاجئين .

٢: أن نعتزف باليونان بأول فرصة ممكنة .

مع وصول أنصار فينيزيلوس إلى السلطة ، سقطت الذريعة الأخيرة ، لأنه لم يكن هناك بتاتاً سبب جوهري لرفض الاعتراف الرسمي باليونان، حيث يجب إعادة العلاقات الكاملة معها مباشرة لأنها ببساطة قضية عادلة ومطلوبة من وجهة النظر العملية على حد سواء .

فقد حدث أصلاً ضرر كاف بسبب رفض الاعتراف وسوف لن تجد شؤون اليونان توازها الطبيعي ثانية طالما شعرت الدولة اليونانية أنها خارجة على الشرعية الدولية .

٣: أن ندفع مبلغ الـ ٣٣ مليون دولار المستحقة لليونان على الولايات المتحدة الأمريكية بموجب قرض الدول العظمى الثلاث عام ١٩١٨ .

وبصرف النظر عن عبء مشكلة اللاجئين ، فإن اليونان بحاجة للأموال التي كانوا قد وعدوا بإعطائها إياها لمساهمتها في الحرب العالمية، فقد أصبحت هذه الحاجة ملحة بعد أن زاد اللاجئين من متاعب فترة ما بعد الحرب فضلاً عن أن منح هذه الأموال يمثل بالنسبة للحلفاء التزاماً قانونياً فلو أن أمريكا قامت بدفع حصتها من هذا القرض فإن من المحتمل أن تقوم كل من فرنسا وإنكلترا بدفع حصصهما .

لقد أعطي هذا القرض باعتماد مبدأ التبادلية ولا ينكر أحد بتاتا أن اليونان قامت قبل كل شيء بتنفيذ التزاماتها المترتبة على ذلك . فلا يمكن تجاهل هذا القرض ، واعتباره إجراءً عسكرياً بسيطاً ، لأنه تمت الموافقة على تسوية القضايا المتعلقة والمرتبطة خلال ستة أشهر من عقد معاهدة سلام .

كما أن شروط القرض تمنع اليونان من طلب أموال قبل تنفيذ التزامات الدول العظمى الثلاث الناجمة عن هذا القرض ، ويبدو أنه لا يوجد بالنسبة للأخيرة طريقة تجد فيها أموالاً حتى يتم سداد كل مستحقاتها . بموجب هذا القرض .

٤: أن يتم إلزام تركيا بدفع تعويضات .

يجب أن يتم تعويض الحكومة الأمريكية الناجمة عن تدمير قنصليتنا في مدينة إزمير ولكل أملاك الحكومة الأمريكية التي دمرت ، كما يجب تعويضنا عن كل الخسائر التي تعرضت لها مؤسساتنا الخيرية ومصالحنا التجارية .

٥: أن نطالب الحفاظ على قوانين الامتيازات الأجنبية .

بخصوص هذه النقطة يكفي القول بأنه لن يبقى أحد من الأمريكيان بأمان في تركيا إذا تم إلغاء قوانين الامتيازات الأجنبية .

من الأهمية بمكان أن يكون بمقدور المواطنين الأمريكيين اللجوء إلى محاكمنا القنصلية، فتركيا لا تملك جهازاً قضائياً يمكن مقارنته بذلك الموجود في الدول الغربية، فقضاؤها رجال فاسدون ولا يوجد محامون بالطريقة التي نفهمها نحن .

يجب أن لا يجبر أحد من مواطنينا مستقبلاً على اللجوء إلى محكمة تركية إن أي إجراء من هذا القبيل هو مرفوض وغير عادل .

٦: أن ننجح في تأمين ضمانات لحماية مؤسساتنا الخيرية في تركيا .

إذا لم يحدث هذا فليس من الوارد أن يكون لعملنا هذا في تركيا مستقبل وكما يؤكد السيد جميس . غ. جيرارد ، ((... فقد أصدر وزير التربية التركي مرسوماً سوف لن يسمح بموجبه لتلاميذ تقل أعمارهم عن الخامسة عشرة بالدراسة في مدارس أجنبية (في تركيا) ، كما يجب أن يكون لتلاميذ دول البلقان ، الذين يدرسون في مدارس أمريكية في تركيا أساتذة أتراك بصورة خاصة)) توجد أدلة ضئيلة بأن في نية الأتراك المحافظة على وعودهم .

على كل حال فإنهم ينتظرون منا بموجب كل ما هو ساري مسبقاً ، القيام بدفع رواتب عدد كبير من مفتشي المدارس الأمريكية الأتراك بالإضافة إلى الأساتذة الأتراك كي ينشروا وجهة النظر التركية بخصوص الحضارة .

هذا وأن الموقف الودي الظاهري للأتراك تجاه مندوبي منظمات بعثاتنا التبشيرية أثناء مؤتمر لوزان كان يعود ، كما هو واضح ، إلى أملهم في استخدام رغبة هؤلاء المندوبين الحسنة لتحقيق الدعم الدبلوماسي الأمريكي ، على كل حال إن ما هو مؤكد هو أن الأتراك لا يشعرون بأدنى احترام لرجال بعثاتنا التبشيرية .

٧: أن نعيد تراقيا الشرقية إلى اليونان .

إن بقاء تراقيا الشرقية في أيدي تركيا سيقود بلا شك إلى حرب عاجلاً أم آجلاً ، فتراقيا الشرقية هي جزء لا يتجزأ من اليونان كما الألبان هي جزء لا يتجزأ من فرنسا ، فقد أعطيت هذه المنطقة لليونان بموجب معاهدة سيفر وانتزعت منها ثانية ، هذا العمل الذي أعاد فيه الحلفاء تركيا إلى أوروبا على نحو جائر ، واقتروا إجحافاً كبيراً بحق اليونان وقاموا ثانية بتعقيد الوضع في الشرق الأدنى ، هذه الحالة هي شاذة وكما هي كذلك لا يمكن الاستمرار فيها بشكل دائم .

لا أعتقد أنه سيكون أمراً سوياً منح اليونان أراضي في آسيا الصغرى ولكن المؤكد هو أن المطالبات اليونانية بمدينة إزمير هي ذات أسس أكثر بكثير من المطالبات التركية بتراقيا الشرقية .

كما أن الحدود السياسية ، المشكلة من عائق طبيعي ، مثل سلسلة جبال أو مساحة مائية ، هي أفضل من الحدود المصطنعة على نحو صرف حيث لا يوجد عائق مماثل .

إن خط الحدود الحالي بين تركيا في تراقيا الشرقية وتراقيا الغربية اليونانية يمر عبر نهر أيفروس ، لا يوجد شك في ذلك ، ولكن أهمية أيفروس تقل بشكل هام كحدود طبيعية من حقيقة مفادها أن تراقيا الشرقية هي مفصولة عن باقي تركيا بمضائق الدردنيل و البوسفور التي تفصل في هذه الحالة قارة عن أخرى ، من الناحية السياسية والقومية يجب أن تكون تراقيا الشرقية جزءاً من اليونان وإعطائها إلى تركيا يعتمد على ذرائع مصطنعة وجائرة .

كما أن بوسع عودة تراقيا الشرقية إلى اليونان أن تحل بشكل جزئي مشكلة أخرى ، وتلك هي مشكلة تعويض اليونانيين الذين كانوا في السابق مواطنين أتراك وتم طردهم من آسيا الصغرى من قبل الحكومة الوطنية .

إن عودة هذه الأراضي يمكن أن تتم شريطة قيام الحكومة اليونانية بإسكان اللاجئين فيها وإذا كان قد تم إسكانهم على نحو مختلف في مكان آخر ، فإن تراقيا الشرقية ستشكل شيئاً من التوازن مانحة هكذا الحكومة اليونانية أراض بدل تلك التي اضطرت إلى تخصيصها لإسكان اللاجئين الفقراء الذين لجؤوا إليها من تركيا.

٨: أن ندفع قدماً للأمام إجراءات إنشاء وطن أرمني .

إن ما تبقى اليوم من أرمينيا كدولة هو تحت السلطة المطلقة لروسيا السوفيتية إن لهذه المنطقة ذلك الموقع الجغرافي الذي يجعلها عرضة لاعتداء روسيا وتركيا ، فحدود أرمينيا الحالية لا تتوافق مع العدالة ولا مع المنطق ، سوى مع السياسة الأزلية الهادفة إلى التضحية بالدول الصغيرة من أجل مصالح الكبار ، حيث كان الحلفاء متفقين جميعاً أثناء الحرب على وجوب استعادة أرمينيا لحدودها القديمة ، فقد قامت فرنسا باحتلال كيليكيا ، مصرحة بأنها فعلت ذلك لمصلحة أرمينيا ، الأمر الذي كان مرتقباً أن تمتد بموجبه أرمينيا من البحر الأسود وحتى المتوسط ، لأن من غير المعقول الافتراض بأن تكون أرمينيا مكونة من قسمين منفصلين واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب ، وتشغل تركيا المساحة التي تتوسطها ، وعدا ذلك ، فإن لإنشاء أرمينيا مستقلة تمتد من البحر الأسود وحتى المتوسط نتيجتان هامتان .

الأولى : هي خلاص أرمينيا من السيطرة السوفيتية ، لأن أرمينيا كانت تستصل إلى مناطق ما كانت ستتأثر بروسيا وتركيا .

وكانت أرمينيا ستواجه على نحو أكثر قرباً من أصدقائها وبالرغم من أن تركيا ستكون موجودة على حدودها الغربية ، إلا أنها ستكون في موقع جيد على نحو كاف إلى الحد الذي يمكنها من حماية حدودها من هذه الجهة .

أما الثانية : فكانت أن تتخلى تركيا عن حلمها القديم الرامي إلى إنشاء دولة بان طورانية ، والتي كانت ستوحد أترك الأناضول والشر والطورانيين الآخرين إلى ما وراء بحر قروين .

كان هذا هدف رجال تركيا الفتاة عندما دخلوا الحرب العالمية وفكرة عبد الحميد الراسخة ، الذي كان يعتقد بإمكانية توحيد ٢٠٠ مليون مسلم تحت سلطته .

إن إنشاء دولة أرمنية في الحدود الآنفة الذكر ، كان سيفصل تركيا عن طوراني شرق بحر قروين وكان سيعيق على نحو دائم اتحادهم .

إن إمكانية إنشاء دولة بان طورانية هي خطر ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار على نحو خطير جداً وأن تؤخذ بانتباه كبير جداً تدابير وقائية للتصدي لها .

إن إنشاء دولة أرمنية مستقلة تمتد من البحر الأسود وحتى المتوسط ، سوف لن ينصف أرمنيا فقط ، ولكنه سيقسم الحاجز ، الذي سيطل احتمالات حدوث أمر كهذا .

من وجهة النظر القومية إن أمراً كهذا هو صحيح ومن وجهة النظر السياسية ليس أمراً محقاً فقط بل مقصوداً .

من واقعة إنشاء دولة أرمنية مماثلة ، سيكون منطقياً أن تتم حماية هذه الدولة بأخذ الوصاية عليها من قبل إحدى الدول العظمى ، لأن هذه الدولة الفتية لا تختلف عن طفل صغير يحتاج إلى الاهتمام والإشراف ، هذا إذا لم يكن يحتاج إلى ((دلال)) حقيقي .

وفيما يخص تحديد الدولة التي ستأخذ على عاتقها الوصاية فإن اختيار أمريكا هو أمر منطقي .

فأمريكا هي الدولة الوحيدة ، التي بمقدورها أن تأخذ على عاتقها هذه الوصاية في الشرق الأدنى دون التسبب بمنافسات عنيفة سواء في أوروبا أو

في آسيا ، فبريطانيا العظمى تملك مسبقاً حق الوصاية على بلاد ما بين النهرين كما تملك فرنسا حق الوصاية على سوريا.

إن تغلغلاً أكثر من ذلك لإحدى هاتين الدولتين في المنطقة سيواجه بمعارضة عنيفة من قبل الدول الأخرى، أما ألمانيا فمن الواضح أنها خارج هذه المعركة ، كما أن إيطاليا بزعيمها الإمبريالي موسوليني ، ستكون كل شيء سوى أن تكون حارساً غير خطر ، أما وضع أمريكا فمختلف بالكامل .

وعلى الرغم أن سياسة أمريكا في الشرق الأدنى لم تكن تتسم بإثارة الغير بصورة خاصة ، فإن ليس بوسعنا اتهامها باتباع سياسة إمبريالية في آسيا الصغرى ، بصرف النظر عما هي طموحاتها الاقتصادية .

إن القيام بالوصاية من قبل أمريكا سيكون أمراً هاماً بالنسبة لأرمينيا من وجهة النظر الداخلية كما أنها ستحمي هذه الدولة الفتية من عدوانية روسيا وتركيا ، سوف لن يكون أمراً غير مألوف اقتراح منح قرض دولي مماثل لهذا الذي أعطي لليونان والنمسا ، تحت رعاية عصبة الأمم ، والذي كان سيسمح لدولة أرمينيا الفتية بتنظيم أمورها وإعداد كادرها الحكومي .

إن تسوية اقتصادية مماثلة كانت ستخفف عن أمريكا جزءاً من مسؤوليتها وكان سينجم عنها تعاون ودي للدول التي ساهمت في هذا القرض .

حسب رأيي إن هذه الاقتراحات الثمانية ستقدم حلاً نهائياً لهذا الذي يدعى على نحو صحيح ((مشكلة الشرق الأدنى)) لكن أن تقدم اقتراحات هو شيء وأن تفكر بوسائل لتحقيقها هو شيء آخر .

فضلاً عن أنني لا أعتقد أن هذا الأخير يقع ضمن أهداف هذا الكتاب .

بقيامي بعرض الحالة السائدة في الشرق الأدنى ، وتحليل أسباب ونتائج السياسة التي أدت إلى ولادة هذه الحالة والمحافظة عليها وبقيامي بعرض خطة عملية من أجل حل دائم للمشكلة ، أعتقد أنني أنجزت مهمتي .

لقد قلت إن الخطة التي عرضتها هي عملية وهي كذلك، ولكنها لن تصبح حقيقة البتة إلى أن يفرض الرأي العام تنفيذها ، وطالما استمرت الدول العظمى في التعامل مع اليونان وأرمينيا في سياسة لعبة الشطرنج، فإن مشكلة الشرق الأدنى ستستمر في البقاء .

إن الشرق الأدنى هو نادي القمار الكبير للاعبين القمار الإمبرياليين ولكن في هذه الحالة هناك تغير في قواعد اللعبة المعتادة ، فالمشاهدون الأبرياء هم أولئك الذين كان يجوزهم (ماركا) * ! فيما كانت الدول العظمى تمسك بمجموعة أوراق اللعب ، وقام اليونانيون والأرمن بدفع الخسائر .

فلو أنه تم التصدي لتعقيدات الشرق الأدنى بتراهة وشجاعة لصار بالإمكان تسوية كل شيء لمصلحة ليس فقط الشرق الأدنى ، ولكن العالم برمته . وإذا تم الاستمرار في التصدي لها بالطريقة الراهنة ، سوف لن تتم تسوية هذه التعقيدات بتاتاً وسيصبح المستقبل شاهداً فقط على تكرار الجرائم ذاتها التي تسبب على مدى أجيال الفظائع واليأس في العالم المتحضر .

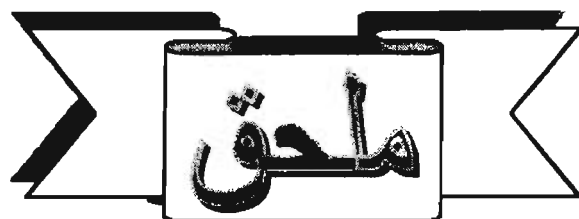
لقد اعتدنا أن ننظر للشرق الأدنى بالتدريج من وجهة نظر عاطفية ، وهذا أمر طبيعي لأنه لم يوجد بتاتاً في التاريخ ظروف مناسبة أكثر كي توقف داخل الإنسان إدراك علاقته مع بني البشر و مسؤوليته بالنسبة لهؤلاء .

إن الظلم ، وبصرف النظر عن كيفية ظهوره والهيئة التي يتخذها ، هو أمر أساسي سيئ إلى درجة أن وجوده في مكان ما في العالم يبدو محسوساً حتماً عندما لا يكون مفهوماً بالكامل في العالم برمته .

إن الاضطهاد والقتل والتهجير هي أمور سيئة تمسنا جميعاً والتي نشمئز من صور غريزية حتى لو لم تحدث لنا بصورة شخصية، أيضاً عدا عن التحريض الأخلاقي والعاطفي والانفعالي، الذي يشغل تفكيرنا بهذا الوضع

في الشرق الأدنى ، من المهم بالنسبة لنا أن ندرك بالكامل المشكلة العملية
الموضوعة أمامنا .

لقد كان الشرق الأدنى وعلى مدى قرون مستودع بارود العالم ، لم يعرف
في الحقيقة طعم السلام لأن السلام وجد فيها مخيفاً كما الحرب .
إن مستودع البارود هذا سينفجر وسيثير انفجاره اضطراباً عنيفاً في العالم ،
إلا إذا أعطي حل دائم لمشكلة الشرق الأدنى ، كنا نشن حرباً حتى يصبح
العالم أكثر أمناً وديمقراطية وحتى الآن يبدو أننا فشلنا في هدفنا .
سوف لن يحتاج الأمر لحرب كي تتم تسوية مشكلة الشرق الأدنى - مع أن
الاستمرار في عدم تسويتها سيقود بلا شك إلى الحرب كما جرى في الماضي
- وإلى أن تتم تسوية هذه الأمور فإن العالم سيستمر في ألا يكون آمناً ليس
فقط للديمقراطية ، ولكن للحضارة أيضاً .



قبل أحداث إزمير

تشير الأنباء الواردة في صحيفة ((كريستيان ساينس مونيتور)) الصادرة في بوسطن ، يوم الأربعاء ، الموافق للثالث من أيار عام ١٩٢٣ . إلى استمرار أعمال قتل اليونانيين من قبل الأتراك كما تستمر عمليات الإبادة المتعذر ضبطها وتشهد على ذلك شهادات الأميركيان ،الذين يعيشون في الأناضول

من هيربرت أدامس جيبونز ph.d .

طرابزون ٢٤ أيار . (هذه البرقية تأخر نقلها) .

على الرغم من نفهم الشديد المتوالي ، فإن أترك أنقرة يتبعون سياسة إبادة جائرة ودون شفقة بحق اليونانيين ، أؤكد بأنه يتم تفريغ طرابزون من بقية سكانها . فقبل عامين كان هناك ٢٥ ألف يوناني .

أما اليوم فمن بين السكان الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثمانين ، لم يبق سوى ستة رجال دين وعشرة مواطنين . لم يبق ولا حتى طبيب واحد ، ولا أستاذ واحد .

كما تم إغلاق المشافي والمدارس اليونانية وتم منع الدروس الخصوصية في المنازل . كما لا يوجد يونانيون في المؤسسات التجارية .

كان اليونانيون العنصر الأكثر رخاءاً هنا ، حيث كانوا يملكون منازل جميلة ومشفى رائعاً وفيلات كبيرة على التلال .

لكن الآن وبما أن الآباء والأزواج والأبناء قد غادروا ، فقد ألم بالنساء فقر مدقع . أرى النسوة يحفرن المجاري ، ويحملن الأحجار للمباني ، ويقمن برفع أحمال ثقيلة يسرن وهن حافيات مرتديات الأسمال البالية . هؤلاء هن بمثابة عربات نقل الميناء .

هذا وقد أمرت حكومة أنقرة الآن ، وبعد تهجير الأولاد الأكبر سناً ، بالقبض على كل الأولاد من سن الرابعة عشرة وحتى سن الحادية عشرة . إنه لمشهد يسحق القلب أن ترى هؤلاء الأطفال الصغار البؤساء ، وهم يتدافعون كقطع حيث يتم اقتيادهم عبر طرقات المدينة نحو دار الحاكم، ليلقى بهم في سجن مظلم كائن تحت الأرض . في العشرين من أيار تم تجميع قرابة الثلاثمئة من هؤلاء بهذه الطريقة في طرابزون .

بعيداً عن أعين الأجانب

هذا الأسبوع سيتبع هؤلاء الأكبر منهم سناً ، الموجودين في معسكر تجمع بالقرب من جفيزليك في الطريق إلى أرضروم بعيداً عن أنظار الأجانب ، حيث سيهلكون إلى الأبد . لأنه ، ما أن يدخل المهجرون معسكر جفيزليك فإنهم لن يغادروه البتة .

فالأترك لا يعطوهم الطعام، الأمر الذي يمكن أن يترتب عليه فقط شيء واحد ليس رجال طرابزون وحدهم ، ولكن كل القرى اليونانية الموجودة في المنطقة أصبحت لقمة سائغة في أنياب إله الساميين الذي تقدم له القرابين البشرية في جفيزليك هذا وقد تم تدمير القرى الأرمنية منذ زمن ، وجاء الآن دور القرى اليونانية . وحيث أنه ليس بوسع النساء العيش دون رجال ، وبذور ، وحيوانات وأدوات زراعية ، لذا فإنهن يأتين إلى طرابزون بحثاً عن الطعام ، فيما تخبىء الفتيات الجميلات منهن جماهن خلف القذارة والأسمال البالية . زد على أن السلطات لا تشرع في عمل تحقيقات مهما كانت أعمال العنف التي يتم إقترافها .

وجهاء أترك يحتجون

جاء إلى هنا وجهاء جفيزليك كي يحتجوا .

((إن جفيزليك ترفع صوتها عالياً نحو السماء ضدنا سوف تلعننا جميع الأمم))
هذا ما صرح به أحدهم فيما احتج آخر لدى الوالي قائلاً يجب التوقف عن
إلحاق العار بزمين النصر التركي الكاسح من قبل جرائم ترتكب بحق الإنسانية
وعلى الرغم ، من أن الوالي أبو بكر حكيم ، ورئيس البلدية حسين يشعرا
بالخجل من قيامهم بالحرب ضد أطفال صغار ، فإنهما غير قادرين على وقف
هذا الأمر ، الذي تم إصداره من قبل جمعية سرية ، تحكم هذا البلد .

إن لدى جمعية أنقرة ، كما أسلافهم من جمعية الاتحاد والترقي ، مندوبين في
كل مكان ، يقومون بإصدار أوامر للمسؤولين الحكوميين ويشرفون على
تنفيذها . وكل من لا يخضع لأوامر هذه الجمعية يتم اعتقاله ، ويحكم عليه
بتهمة الخيانة ، أو أنه يقتل في بعض الحالات . وقد تم استبدال ولاية وحكام
طرابزون في العديد من المرات عندما كانوا يحاولون التخفيف من إجراءات
التهجير .

هذا وإن أكثر عملاء الحكومة الوطنية المتشددين ، الذين عهد إليهم مباشرة
أمر إبادة السكان اليونانيين ، هم مفتشو الصحة ، والأطباء و مفتشو
التربية الحكوميين . هكذا فإن المسؤولين المباشرين هم مثقفو رجال تركيا
الجدد .

ليس لليونانيين مستقبل

مدفوعاً بحافز نبيل ، قام شيخ طرابزون المتحدر من جزيرة كريت ، بالذهاب
إلى مدير مدارس الولاية . وعندما رأى أن المدارس تغلق وأن الفتية الصغار
ييقون دون تعليم قال له :

((أعرف اليونانية وأريد فتح مدارس لهؤلاء الأطفال)) .

إذ ذاك استبد الغضب بالمدير وصرخ قائلاً ((ماذا ؟ نحن هنا نحاول القضاء على هؤلاء البشر وأنت تريد إبقاءهم على قيد الحياة ؟)).

لا يوجد أي أمل لهؤلاء اليونانيين في إطار هذا النظام الوطني . لا يوجد مستقبل لليونانيين في الأناضول عدا تلك المناطق التي يحتلها اليونانيون ، إلا إذا نفذ صبر أوروبا وأمريكا وجعلوا حكومة أنقرة خارجة على الشرعية الدولية . وعلى الرغم من رفض الحكومة الوطنية الرسمي والتصريحات الكاذبة والمضللة ، التي يفترض أن موظفي الـ((نير إيست ريليف)) يقومون بها داخل آسيا الصغرى ، فيما يتم في الحقيقة إرسال هذه البرقيات من أنقرة ، فإنه توجد أدلة ضخمة على أن أعمال قتل وتهجير اليونانيين هي أكثر فظاعة حتى من تلك التي تعرض لها الأرمن أثناء الحرب العالمية الأولى وأن هذه الجرائم هي مستمرة بوتيرة عالية .

تفيد التقارير الصحفية المرسلة من هيربرت أدامس جيبونز في إستانبول في ٣١ أيار ، والصادرة في صحيفة ((كريستيان ساينس مونيتور)) في بوسطن يوم الخميس الموافق ١٣ تموز عام ١٩٢٢ .

إلى أنه يتم منع الـ((نير إيست ريليف)) من مساعدة اليونانيين . وإلى أن الأنباء التي ترسل برقيةً بخصوص الأعمال الوحشية الراهنة في آسيا الصغرى هي في منتهى الموثوقية وإن تقبل نبأ مفاده أن الأتراك يحاولون إبادة السكان اليونانيين بدرجة أشد مما أظهره ضد الأرمن عام ١٩١٥ ، هو أمر قطعي إلى درجة أنني أرسلت برقية إلى صحيفة كريستيان ساينس مونيتور موجزاً عن رسائلي من مدينة طرابزون ، مدلياً بشهادتي الشخصية بالإضافة إلى تصريح مختصر للآنسة إيديت غود من فيلادلفيا .

وآخذاً بعين الاعتبار أهمية اللحظة الراهنة وإعطاء أدلة محددة في وضع ، يمكن أن يؤدي إلى إحداث تبديل جذري في السياسة البريطانية إزاء هدنة يونانية

- تركية وحصول مفاوضات سلام ، فإنني أرسل النص الكامل لتصريح
الآنسة غود ، والذي أعطيتني إياه بمحض إرادتها ومدركة بأن من المرتقب أن
ينشر باسمها . حيث كانت الآنسة غود قد ذهبت إلى مناطق آسيا الصغرى
الداخلية بصفة ممرضة لـ((النيرايست ريليف))، وقامت بالخدمة في بداية
الأمر في خربوط وبعد ذلك في ملاطيا وعادت للتو إلى داخل البلاد الأسبوع
الفائق . وقد انتهت مدة خدمتها ومن المتوقع عودتها للولايات المتحدة
الأمريكية ، حيث تنوي سرد كل ما شاهدته بالتفصيل .

هذا وكانت الآنسة غود قد غادرت خربوط في أواخر تشرين الثاني حيث
أقضت طوال فصل الشتاء ومطلع الربيع في ملاطيا ، التي كانت ((مركزاً
لإقامة)) المهجرين اليونانيين القادمين من شواطئ البحر الأسود .

إلى ذلك كانت الآنسة غود قد شاهدت قبل مغادرتها خربوط مؤشرات
خطة إبادة اليونانيين التي كتب عنها الرائد يويل والدكتور مارك غورد .

ففي ملاطيا ، كما تصرح الآنسة غود ، كانت الأوضاع أكثر فظاعة عما هي
في خربوط مع أنه كان يسمح لها بأخذ يونانيين والاهتمام بهم في مؤسستها
الأمر الذي لم تكن حتى تحلم به في خربوط .

غير أن تأمين السكن للأطفال لم يكن له نتيجة أخرى سوى إطالة أمد
شقائهم حيث نجا فقط نصف الإثنا عشر طفلاً الذين كانت قد أخذتهم
في مؤسستها بشكل مؤقت .

تعرض صحة المهجرين للتدهور

كان من أربعة إلى سبعة أفراد من أولئك ، الذين أمضوا مشاقهم الأولية في
أن يأكلوا ويغتسلوا ، يموتون يومياً بالرغم من أن الآنسة غود كانت تعتقد
أنه كان بالإمكان إبقاءهم على قيد الحياة . فيما كانت صحتهم قد تعرضت
لأضرار جسيمة جراء سفرهم من الساحل إلى هناك .

((كانوا مثل سلسلة لا تنتهي)) ، قالت الأنسة غود .

((كان الأطفال يموتون باستمرار قبل أن أتمكن من كتابة أسمائهم .

فضلاً عن موت أربعين إلى خمسين من النسوة المسنات يوماً .

ترون أن عدم تناولهم الطعام ، وتعرضهم للبرد والإنهاك قد فعل فعله قبل

وصول المهجرين إلى ملاطيا حيث كانوا يصلون إلي في مراحلهم الأخيرة .

لم يكن للطعام والأدوية أية نتيجة مع أنني جربت أفضلها كما لم يقم الأتراك

مطلقاً بفعل شيء بالنسبة هؤلاء . فالجثث كانت ملقاة على قارعة الطريق

وحقول ملاطيا ، ولم تجر أية محاولة لدفنها . إن التهجير هو أسوأ من الحكم

بالإعدام . فمن غير الممكن أن يصدق أحد بوجود وحشية وهمجية

كهذه ، إن لم يشاهد أحد هذه الأشياء .

يبدو أمراً لا يصدق أن يجعلوا الأطفال والنساء يعانون بهذه الطريقة إلى أن

ينهاروا ويفارقوا الحياة ، ومع ذلك فإن ذلك يحدث في ملاطيا .

كما أن الاستقبال الذي نلقاه في إستانبول هو بارد عندما نريد قول كل ما

نعرفه لمصلحة حكومتنا ، ويجعلوني أدرك بوضوح ، بأنهم لا يرغبون بسماع

قصتي كما أنهم يعتبروني امرأة مهسترة ، تبالغ وتقوم بتحريف الحقائق.

لقد سافرت أربعة عشر يوماً دون توقف كي أصل من ملاطيا إلى صامصون

على البحر الأسود، حيث استقلت من هناك سفينة يوم الخميس إلى إستانبول

كانت رحلة تسحق القلب طوال الفترة التي استغرقتها حيث ، كنا نمر بجوار

نساء وأطفال صغار ، كانوا يتجهون نحو جلجلتهم .

وكنت أعرف ما ستكون عليه نهاية هذه المسيرة !

لقد حزنت كثيراً على كل الذين ماتوا أثناء المسير .

ففي كل مكان ، على حافة الطريق وبين الحقول كانت هناك جثث .

لم يكن ثمة أمل بالنسبة لليونانيين وكان الأوفر حظاً هم كل الذين ماتوا في بداية المسير)) .

شهادات مراقبين آخرين

كان موظفون آخرون من الـ ((نيرايست ريليف))، الذين التزمنا عدم ذكر أسمائهم قدموا من المناطق الداخلية في الخمسة عشر يوماً الأخيرة وتتوافق شهاداتهم هذه مع شهادة الأنسة غود .

هذا ويقول أحد الأمريكان الذي كان في سيواس منذ تشرين الأول عام ١٩٢١ وحتى أيار عام ١٩٢٢، إن المهجرين بدؤوا بالمرور من هناك في الخريف متوجهين ، كما يفترض ، نحو خربوط قادمين ليس فقط من منطقة صامصون ولكن من كل مدن وقرى شمال آسيا الصغرى .

كانوا يمرون من هناك طوال فصل الشتاء وكانوا قذرين بشكل لا يوصف وبحالة بائسة . كان ممنوعاً على الأمريكان بصورة مطلقة عمل أي شيء بالنسبة لليونانيين ، أخيراً قبل الوالي ، حيدر بك ، أن يدع الأمريكان كي يقوموا بالعناية بالنساء ، والأطفال والأولاد دون سن الخامسة عشرة ، ولكن ليس الأولاد الأكبر سناً والرجال ، الذين تم إرسالهم إلى أرضروم كي يعملوا في الطرقات .

كانت تلك ذريعة ، كان الثلج سميكاً . ولم يكن لدى اليونانيين مأوى وقد مات معظم هؤلاء من البرد .

إلى ذلك كان هناك (معسكر تجمع) خارج مدينة سيواس حيث أكواخ دون أسقف أو أبواب أو نوافذ - أطلال حقيقية - هي المأوى الوحيد . ولا يسمح لموظفي الـ ((نيرايست ريليف)) بالاقتراب من المعسكر .

فيما يتم نقل المرضى من هؤلاء إلى المدينة حيث يلقي بهم في الكنيسة الأرمنية التي يدعوها أحد موظفي الـ ((نيرايست)) الأمريكيان بـ (ثقب كلكوتا الأسود). إذ يعتقد أن الثقب الأسود الحقيقي لا يمكن أن يكون تعيساً إلى هذا الحد. لأنه يتم في هذه الكنيسة المظلمة والرطبة ، والتي ثبتت نوافذها بألواح خشب، حمل وتفرغ المرضى المصابين بمختلف أنواع الأمراض المخيفة. كما لا يسمح للأمريكان بعمل أدنى شيء لهؤلاء البشر، الذين يموتون جميعهم .

ومن غير الممكن أن يتم إنقاذ حتى واحد منهم ، إذ تبقى جثثهم ملقاة في المكان ذاته .

ظهور مصاعب

ومع ذلك فإن ((المشفى)) موجود تحت إشراف مفتش المهجرين في أنقرة الدكتور جودت بك ، والذي هو مع مساعده شريف الدين بك ، نموذج لأية أبالسة ، يمكن أن يصبح عليه المثقفون الأتراك .

كان الدكتور جودت دائماً لطيفاً ومرحاً مع الأمريكيات، اللواتي كن يرجونه أن يدعهن ليدفعن نقوداً لأشخاص ليقوموا بإبعاد الجثث من المكان الذي بقي فيه الأحياء .

هذا وقد رفض الدكتور جودت إعطاءهن إذناً بفتح دور أيتام أو مدارس داخلية ، للفتيات الصغيرات وأمهاهن.

أخيراً ، قامت الـ ((نيرايست)) بأخذ ثمانية منازل ، غير أن شتى أنواع الصعوبات كانت تتخلل عملية دخول المهجرين ، الذين ينتظرون دخولهم هذه المنازل .

وجب أن يكون بحوزتهم وثائق كانت تستدعي منهم الجري ثلاثة أيام من مكتب لآخر كي يحصلوا عليها .

وباعتبار أن النسوة كن بمجهودات ، فإن الكثيرات منهن كن قد توفين في محاولتهن الأخيرة للدخول إلى هذا الملجأ ،الذي كان جاهزاً لاستقبالهن كانت هذه الطريقة الماكرة والوحشية غير الضرورية ،هي الطريقة التي ماكان يجب أن يعامل بها أي شخص ولا حتى لكلب أو حصان يعاني .

لقد أخذ الدكتور جودت ومساعدته بالقوة من دار أيتام الـ ((نيرايست)) بعض الفتيات الجميلات كي يقمن بخدمتهن على العشاء واحتفظوا بهن في منازلهم حتى الصباح .وقد تم إبعاد كل اللواتي رفضن الامتثال للأمر في اليوم التالي من سيواس - قدر فظيع .

لقد وصلت الفظائع إلى ذروتها في أيار حيث تم إعطاء الأمر للأمريكان بترك كل الأولاد الذين تزيد أعمارهم عن أربعة عشر عاماً حيث قام الأتراك بأخذهم من دور الأيتام .

بقي القلة من اليونانيين

قال لي موظف آخر من الـ((نيرايست ريليف)) ، ذو خبرة كبيرة في آسيا الصغرى ،أنه سمع للمرة الأولى بأعمال التهجير في حزيران عام ١٩٢١ وأنها وصلت إلى ذروتها بين ١٥ نيسان و ١٥ أيار عام ١٩٢٢ .غير أنها ستقل الآن بصورة إجبارية لأنه بقي القلة من اليونانيين في كافة المناطق .

فيما لم يسمح للأمريكان بعمل أي شيء بالنسبة لليونانيين وقيل لهم أن يهتموا فقط بالأرمنيات اليتيمات .

لكن عندما أصبحت مجموعات المهجرين عديدة وبقي الكثيرون من هؤلاء في المدن التي كان للـ((نيرايست ريليف)) فيها مستودعات تحوي على كل ما هو ضروري ، كان من غير الممكن على الأمريكيان الخضوع لهذه الأوامر حيث بدأت عندئذ المشاحنات بين الـ((نيرايست ريليف)) وحكومة أنقرة . فيما تم قتل كل وجهاء أماسيا وميرزيفون اليونانيين أو حكم عليهم بالموت وتم شنقهم . أضف إلى أنه كان لمحكمة أماسيا المستقلة ، صنعة الجنرال نور الدين باشا، قائدالجيش المركزي للجيش الوطني التركي صلاحيات عسكرية وسياسية على حد سواء .

حيث كان هدفها الرئيسي إعطاء غطاء شرعي لأعمال قتل اليونانيين ، كما كانت ترهب أيضاً كل الأتراك الذين كانوا يتجرؤون على رفع صوتهم ضد عصابة أنقرة .

وعندما تم تطهير أماسيا من اليونانيين ثم نقل المحكمة إلى سيواس، التي حكمت على أطفال يونانيين تبلغ أعمارهم بالكاد السابعة عشرة بالموت لفرارهم من الجيش التركي .

كان الأتراك يدخلون دور أيتام الـ((نيرايست ريليف)) ويجددون على نحو جائر أعمار الأطفال أخذين العديد من هؤلاء الذين لم تكن أعمارهم تتجاوز الخامسة عشرة ، إلى الجيش .

وعندما كان البعض من هؤلاء يحاول الفرار من المعسكرات كان الأتراك يتهمونهم بالخيانة وكانوا يعدموهم رمياً بالرصاص .

وعندما عاد موظفو الـ((نيرايست ريليف)) إلى مناطق آسيا الصغرى الداخلية في الأيام الخمسة عشرة الأخيرة من أيار ، شاهدوا في الطريق كل ما كانت شاهدته الآنسة غود .

بحوزتي وصف تفصيلي لمجموعات اللاجئين ، الذين كانوا يتجهون من

سيواس نحو صامصون عبر طوقات والطريقة التي كان يفتش بها الخيالة الأتراك الغابات بحثاً عن الفارين ويجمعون آخر يوناني صامصون والقرى المحيطة بها .

في غضون ذلك يقوم المندوب السامي الأمريكي الأميرال بريستول ، برفض فكرة نشر هذه التصريحات ، ويعتقد أن مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية تقتضي أن يبقوا هادئين وأن يدعموا حكومة أنقرة .

كما يرى أنه بهذه الطريقة سيكون بالإمكان الحصول على الامتيازات وكل المزايا التجارية وأن الأمريكان ،الذين يسردون كل ما شاهدوه ((بمارسون لعبة الدعاية البريطانية)) .

غير أن الأمريكان الذين عاشوا هنا لمدة طويلة يعرفون الأتراك، لهم وجهة نظر مختلفة عن الأميرال . وحتى إذا كان مرتقباً الحصول على مزايا تجارية، فإن سياسة التغاضي والصمت عن جرائم مماثلة ستكون خاطئة .

إن اقتصاد تركيا ليس في أيدي تركية ولم يكن كذلك أبداً كما أن نداءات المخلوقات البشرية هي فوق كل اعتبار فردي .

إن اعتقاد الأمريكان ، الذين يقيمون منذ زمن في هذه المنطقة، هو أن فكرة انتشار أخبار المذابح من ((قبل الدعاية البريطانية)) هي وليدة خيال المندوب السامي الأمريكي ، كما أنها تعود لي .

بقي أن نقول أنه في هذا الجزء من العالم يجب على الأمريكان والبريطانيين الوقوف صفاً واحداً والتعاون من أجل انتصار المثل الأنكلو - ساكسونية . الكل هنا معجبون بالأتراك كشعب . حيث يملكون مزايا جذابة خاصة كما أن قروي الأناضول هو شخص جيد ومحترم .

غير أن الأشخاص الذين هم على رأس حكومة أنقرة ،هم أولئك ،الذين قاموا بدفع تركيا للحرب العالمية، وإبادة الأرمن . يقومون بتكرار هذه الجريمة

الآن مع اليونانيين ، وهم خطرون ومتشددون وإن عجزهم عن حكم البلاد بطريقة حضارية ، والذي يبدو من سياسة الإبادة التي يطبقونها ، يجب أن يصبح معروفاً سواء لأسباب سياسية أو لأسباب إنسانية . حيث سيكون شعبهم أول من سيفرضهم وسيتمكر لأعمالهم عندما تنهار السلطة المؤقتة لهؤلاء الإرهابيين .

مقتطفات من تقرير موجه لوزير الخارجية تشارلز.ي.هيوز، من الرائد ف.د.يويل ، المدير السابق لقسم الـ((نيرايست ريليف)) في خربوط (قبل ٦ أيار عام ١٩٢٢) .

يشير إلى أن حالة السكان المهجرين في وسط البلاد تسوء باستمرار في السنتين الأخيرتين حيث الأرمن واليونانيون المهجرون موجودون اليوم بحالة أسوأ من العبودية .

يبدو أن المصير ،الذي تعده سلطات الولاية لليونانيين الذين تم تهجيرهم والذين تواصل تهجيرهم عبر طريق سيواس - خربوط - ديار بكر من البحر الأسود وحتى منطقة قونية ، هو الإبادة .

هذا وتشير إحصائيات وردت من مصادر أمريكية - لأشخاص جاؤوا على اتصال مع المهجرين فيما كانوا يقومون بأعمال الرعاية لهؤلاء الأخيرين - إلى أن عدد هؤلاء الذين وصلوا إلى سيواس يقدر على الأقل بـ ٣٠ ألفاً . من هؤلاء ٨ آلاف ماتوا في الطريق نحو خربوط وألفان بقوا في ملاطيا (آذار) .وبعد مصاعب عديدة ، وضعتها السلطات التركية لمنع النيرايست ريليف من تقديم مساعدة لهؤلاء المهجرين ، تمكنا من إنقاذ آلاف الأرواح بإعطائهم الطعام ، والملبس والرعاية الصحية .على الرغم من موت ألفين من هؤلاء اللاجئين الشتاء المنصرم .وبقاء تقريباً ثلاثة آلاف الآن في خربوط

ومزره والقرى المجاورة . أما باقي العشرين ألفاً فقد تم دفعهم نحو ديار بكر وحسب اعتقادي لم تكن صدفة بسيطة اختيار أيام عواصف ثلجية مخيفة ليتم إرسال هؤلاء الأشخاص،الذين كان ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال عبر جبال لا يمكن اجتيازها تقريباً،دون طعام وأغطية،في مناطق لم يكن فيها أي ملجأ .

وقد تم في كل الحالات سلب هؤلاء الناس كما كانت قد انتزعت منهم كل أشياءهم الثمينة قبل أن يسيروا أكثر من بضعة أيام مسير، فيما كان قد تم اقتياد الفتيات الأكثر جمالاً إلى منازل الأتراك .

هذا وقد مات ٣ آلاف في الطريق من بين ١٥ ألفاً الذين تم إرسالهم إلى ديار بكر . كما تم إرسال قرابة الألف (كلهم من الرجال) من قبل الحكومة للعمل في شق الطرق بين خربوط وديار بكر . دونما أي أجر وكان الطعام الوحيد الذي كانوا يأخذوه هو ٢٠٠ غ خبز وحساء مائي مرة في اليوم . كانوا دون مأوى وكانوا ملزمين على النوم في العراء في طقس بارد ومخيف دون فراش أو أغطية.وعندما كانت تشتد عليهم وطأة المرض ولايستطيعون العمل كانوا يقومون بقطع وجبة الطعام عنهم ويدعوهم يموتون دون رعاية صحية .

فيما لا يعرف شيء حول مصير ٩ آلاف يوناني ،الذين من المعروف أنه تم دفعهم نحو بتليس ،فيما باءت بالفشل كل محاولات الأمريكان في الوصول إلى هناك أو في إرسال كل ما هو ضروري .

إن كل ما نعرفه ،هو أن بتليس مدمرة بالكامل وهي ليست في وضع يمكنها من إطعام سوى بضعة آلاف من الأشخاص . لأنها توجد في منطقة جبال عالية ، تقطعها معابر لا يمكن الآن للمركبات اجتيازها ، يمكن القول بالتأكيد أن القلة من المهجرين الذين تم إرسالهم إلى بتليس وصلوا إلى

هناك.وقد تم منع الـ((نيرايست)) في ولاية معمورة العزيز من استخدام اليونانيين بأجر أو بدون أجر، كما منعوا من أخذ أطفال يونانيين أيتام أو فقراء وفي حالات عديدة ، عندما كان الأتراك يقومون بإجبار اليونانيين بالقوة للعمل من أجل هؤلاء دون أجر ، كانت الـ ((نيرايست)) تضطر لإعطاء الخبز هؤلاء حتى لا يموتوا من الجوع .

لم يكن مسموحاً لنا قبول يونانيين في مشفانا أو منح العلاج الطبي دون إذن خطي من مدير الصحة وكان المرضى مضطرين للتواجد شخصياً لطلب هذا الإذن . وفي حالات عديدة كان المرضى يموتون قبل أن يتمكنوا من أخذ الإذن ولم يتمكن معظمهم من تحقيق ذلك مطلقاً .وقد تمت الإشارة إلى حالات في خربوط تم فيها إعطاء نقود لضباط حتى يقوموا بإعطاء رخص مماثلة .وكان كل الذين يتعافون ويخرجون من المشفى يرسلون من قبل الحكومة إلى الجبال قبل أن تتحسن صحتهم تماماً .

في الحقيقة كانت السلطات قد اعترفت لي وللأمريكان الآخرين بأن اليونانيين أعداء للحكومة وكان يجب إبادتهم ،وأن، كل الذين يساعدوهم كانوا بمثابة أعداء للحكومة .

هذا وكان أحد الأمريكان ،الذي لا يمكن ذكر اسمه لأسباب واضحة، قد قام بإحصاء ١,٥٠٠ من اليونانيين الموتى في الطريق بين سيواس ،وملاطيا في كانون الأول الفائت . كما قام شخص آخر بإحصاء ١٢٨ من اليونانيين الموتى في الطريق من ملاطيا نحو خربوط واضطر في حالات عديدة ،لسلوك طريق ضيقة خارج الطريق الرئيسية كي لا يدوس على الجثث .

لقد شاهدت أنا شخصياً،المئات من جثث اليونانيين غير المدفونة يتم تمزيقها من قبل الكلاب والطيور. فيما لا يبذل الأتراك جهداً لدفن جثث الموتى وليس لدى الأحياء القدرة على فعل ذلك حتى لو سُمح لهم بذلك .

إن وجود الأمريكان في خربوط يمارس نفوذاً معنوياً كبيراً هناك ،وأنا على ثقة مطلقة من أن مغادرتهم يمكن أن تعطي إشارة البدء للاضطرابات وربما لأعمال القتل .

الحالة عصبية حتى مع وجود الأمريكان هناك وقد قال لي أحد الضباط الأتراك البارزين شخصياً بأنه إذا واصلنا تعليم الأرمن وجعلهم في المكان الذي يصبحون فيه ثانية قوة في الولاية ،فإنه سيحدث لهم الشيء ذاته الذي حدث عام ١٩١٥ .

وعلى الرغم من دوافع الأمريكان الإنسانية البحتة في خربوط ، فإن الضباط الأتراك يتعاطون معهم بأكبر قدر من الخشونة والوقاحة حيث تعمل الحكومة كل ما بوسعها حتى يصبح بقاءهم هناك أمراً لا يطاق .

لا أعتقد أن السكان الأتراك موافقون بمجموعهم على موقف الحكومة ومن جهة أخرى هناك دلائل محددة على النقيض من ذلك

باختصار أريد أن أشير إلى أنني حاولت أن أقصر بشدة على الأحداث كما يمكن فهمها وأن أعتد في إحصائياتي على أكثر المعلومات دقة ،والتي يمكن جمعها ضمن أكثر الظروف غير السوية السائدة في المنطقة .

أعتقد أنني ،كمواطن أمريكي يجب أن أحتج بشدة ضد معاملة المواطنين الأمريكان وأكثر بكثير على رعايا الإمبراطورية العثمانية من الأرمن واليونانيين الذين لم تقدم لهم مساعدة من قبل الحكومة الوطنية التركية .

إزمير

تشير الأنباء الواردة في (الديلي تلغراف) في ١٦ أيلول عام ١٩٢٢ إلى اندلاع النيران وحدث أعمال قتل في مدينة إزمير . حيث يقوم الأتراك بإشعال النيران وبأعمال قتل جماعية . فيما امتلأت الطرقات بالموتى فضلاً عن وجود ٣٠٠ ألف دون مسكن .

إزمير يوم الجمعة .

لقد صار ثلاث أخماس مدينة إزمير رماداً .

فأكثر من ٣٠٠ ألف شخص هم دون مسكن اليوم وعندما تم إخماد النيران كانت قد آتت على كامل الحي الأرمني ، واليوناني ، والأوروبي . هذا ويقدر حجم الخسائر المادية بـ ٤٠ مليون جنيه استرليني . منها ٢-٣ مليون تخص ممتلكات أمريكية .

ليس بالإمكان تقدير خسائر الأرواح . فيما تقوم سفن الدول الحليفة بتقديم خدماتها طوعية لإخلاء اللاجئين ، الذين جراح العديد منهم خطيرة كما أن طرقات المدينة مليئة بالموتى .

هكذا ، وعلى الرغم من تأكيدات كمال باشا ، فقد قامت تركيا ((بتصفية حساباتها القديمة)) . هذا وبعد القيام بتقصي الحقيقة تبين أن كل سكان إزمير الأمريكيان هم بحالة جيدة . وقد قام أعضاء الهيئة التدريسية لمعهد باراديسو بإخلاءه قبل أن تأخذ النيران أبعاداً خطيرة . كما قام أعضاء الهيئة التدريسية وتلاميذ المعهد بالصعود على متن السفينة الأمريكية ((غوينونا)) وهم موجودون الآن في اثينا .

أما رجال الأعمال والقائمون على أعمال الرعاية الصحية والاجتماعية ، الذين لازالوا موجودين في إزمير فقد بقوا في السفينة الحربية ((ليتسفيلد)) من البحرية الأمريكية . هذا وقد غادر الطراد ((اينشال)) إلى سالونيك محملاً

بـ٦٠٠ لاجيء ، كانوا بصور رئيسية من اليونانيين والأرمن كانت جراح العديد منهم خطيرة .

كان هذا العدد يمثل كل الذين كان بإمكان السفينة أن تسعهم. وعدا أعضاء الهيئة التدريسية والتلاميذ الآنفى الذكر فقد قامت السفينة غوينونا بنقل أكثر من ألف أرمني ويوناني وأجنبي . كما تم تدمير كل القنصليات الأجنبية مع هذه المباني الجميلة للمؤسسات المختلفة والبنوك والمنازل ، على طول الحي الاوروبي المطل على الشاطئ .

وعدا الحي التركي القذر ، لم تعد إزمير موجودة . وبين المنازل المدمرة هناك مركز قيادة كمال باشا .

لقد تم حل مشكلة الأقليات بصورة دائمة. ويتم نقل اللاجئين إلى دول أخرى بأقصى سرعة ممكنة .

لا يوجد شك بخصوص مصدر النيران . ووفقاً للشهادات الحلفة لأعضاء الهيئة التدريسية للمعهد الأمريكي ، فإن أولئك ، الذين قاموا بإضرام النيران ، كانوا جنوداً أتراكاً نظاميين .

يبدو أنها كانت طريقة للإنتقام للخسائر التي لا تقدر ، والتي سببتها القوات اليونانية أثناء انسحابها . هذا وقد تكبد الجميع من غير الأتراك الخسائر بالتساوي . كما أن ظروف إطعام اللاجئين هي مخيفة . فالمخزون الموجود لا يكفي حتى لإطعام عُشر هؤلاء ، الذين جعلتهم السنة النيران بحالة تدعو للرناء . فيما تقوم المنظمات الأمريكية بعمل كل ما بوسعها لمواجهة هذه الحالة ، غير أنه تعوزهم أشياء كثيرة على نحو مخيف .

كما يحدث الشيء ذاته مع معسكرات اللاجئين في سالونيك ، وأثينا ، وبيريا كما كانوا يعلموننا هنا .

إن من الضروري أن يتم مباشرة إرسال الأطعمة والأدوية ليتم تجنب الأوبئة والموت جوعاً .

تشير الأنباء الواردة في الـ((ديلي تلغراف)) في ١٨ أيلول عام ١٩٢٢ . إلى ظهور إصابات طاعون، فيما المدينة بدون طعام .
إزمير يوم الأحد .

لقد اضيف رعب الطاعون إلى مآسي إزمير. فقد ظهر المرض البارحة ويسبب عدم القدرة على اتخاذ اجراءات الوقاية الصحية بين آلاف اللاجئين ، فإن عدداً كبيراً من الضحايا يأتي ليضاف إلى آلاف الموتى من الجوع وأعمال القتل . لقد توقفت الاتصالات بين السفن الموجودة في الميناء والشاطئ . ومن المؤكد أن التيفوئيد سيظهر هو الآخر بسرعة كبيرة .

هذا وتفتقد المدينة اليوم إلى الطعام ، حيث إن المخزون الواضح هو فقط ذلك الموجود بحوزة مختلف منظمات الرعاية التي تم الاستيلاء عليها ليتم تخصيصها للسكان الأتراك . كما تم إخطار السفن التي كانت تبحر بمحاذاة ساحل إزمير بالبقاء بعيداً عن المدينة ، بالرغم من الحاجة الماسة لهذه السفن لنقل مجموعات المهجرين . حيث كان نزول هذه الأخيرة على هذه السواحل سيعني انتشار وباء الطاعون في دول أخرى مجاورة .

تشير الأنباء الواردة في الـ((ديلي تلغراف)) في ٢٠ أيلول عام ١٩٢٢ إلى حدوث أعمال تركية وحشية وحوادث نهب في مدينة إزمير .
من مراسلنا السيد ((روي تريلو ر)) .

مالطا ، مساء الاثنين .

وصلت دفعة أخرى للتو بها أكثر من ٧٠٠ لاجئ بريطاني على متن
((بافاريان)).

وبفضل لطف السيد ((روي تريلور)) ابن السير ((ويليام تريلور)) ومدير ((الإيستيرن)) ((كاربيتس ليمتد)) إزمير، حصلت على وصف تفصيلي للأحداث التي تلت مغادرة ((ماين)) . كان السيد ((تريلور)) قد زارني في منزلي الكائن في سيلما وسرد لي التالي حيث يقول :

((غادرت إزمير في الرابع عشر من الشهر ، الساعة الثالثة بعد الظهر. حتى اليوم ، وبعد أيام من التفكير المتواصل واستعادة قواي ، لا أستطيع أن أعبر كم كانت الحالة مخيفة ، ولا أستطيع أن أتجاوز دهشتي المطلقة التي تكبدتها عندما رأيت أن أعمالاً بربرية كهذه يمكن أن تحدث في عصرنا. فقد ظهرت الدفعة الأولى من الخيالة الأتراك غير النظاميين في إزمير ، في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم السبت، فيما كان الجنود اليونانيون،الذين ينسحبون من بعض المناطق لا يبعدون أكثر من ١٠٠ ياردة . كما كان الأتراك يبدون في حالة انضباط وكانوا يتجولون في المدينة أيام الأحد والإثنين والثلاثاء . في غضون ذلك كان القائد التركي قد أعطى وعداً بالحفاظ على الأرواح والممتلكات غير أنه تم بسرعة إدراك ما مفاده ، أن الدوريات التركية لم تكن مهتمة كثيراً بما كان يجري في المدينة ،من جرائم تحدث بوضوح في طرق المدينة الرئيسية الثلاث .

وفيما كانت جموع لا تحصى من اللاجئين تحتشد طوال تلك الأيام على رصيف الميناء ، محملة برزم صغيرة تحوي كل موجوداتهم . كانت مراكب النقل الصغيرة،التي تنقل العائلات التي تملكها ، قد تلقت هجوم اللاجئين وقد غرقت إحداها .

أخيراً غادرت السفن الصغيرة المحملة بالكامل وعلى مدى أربعة أيام، كان إطعام اللاجئين المكسدين كسمك الرنغة المعلبة ، يتم من قبل البحرية .

حاكم متوحش

((كان قد تم إسناد حكم المدينة إلى نور الدين باشا المعروف، بسلوكه الوحشي تجاه أسرى كوت ، وقد تم البدء يوم الإثنين المصادف في الحادي عشر من أيلول بتعقب الأرمن الذين اقتيدوا في مجموعات مكونة من ١٠٠ شخص حيث تم قتلهم في قصر الحاكم .

هذا وقد شاهدت يوم الثلاثاء وأنا أبحث عن الأرمن من منزل إلى آخر . أحد هؤلاء قد لجأ إلى حديقة منزل القنصل البريطاني وقد اضطر القنصل للخضوع لطلب الأتراك الوقح وقام بتسليمه إليهم . وفيما كنت جالساً مع بعض الضباط الأمريكيان على رصيف الميناء كانت مجموعة من مشاة بحريتنا موجودة على بعد بضع ياردات، فجأة ظهر ثلاثة من الأتراك ، الذين كانوا يمشون اثنين من الأرمن. وقد قفز أحدهما إلى الماء وسبح بالقرب من الحافة العليا لأحد المراكب الأمريكية .

بدأ الأتراك ودون تردد ، في إطلاق رصاص بنادقهم وقد مرت الطلقات بالقرب من مشاة البحرية الذين لم يحركوا ساكناً وما أن قتلوا أسيرهم حتى تابع الأتراك سيرهم وكأن شيئاً لم يحدث. هذا وقد تم مساء يوم الثلاثاء قتل آلاف الأرمن ، وبما إن جثث هؤلاء بقيت دون دفن ، فإن الرائحة كانت كريهة إلى أقصى حد ولم يكن بالإمكان الاقتراب من مناطق كثيرة في المدينة بسببها . كما كان السيد ((دومبسون))، أحد رجال الدين البريطانيين الذي تعرض في تلك الفترة لمخاطر كبيرة لقيامه بدفن الأموات وتخفيف المعاناة عن الأحياء ، شاهداً مباشراً على أكثر الفظائع وحشية .

نحن مستعدون هو وأنا والعديد من الآخرين للمثول أمام أية لجنة والإدلاء بكل ما شاهدناه .

هذا وقد بدأ اندلاع النيران الأول ، في الساعة الثانية من ظهر يوم الأربعاء جدير بالذكر أن هذا حدث في الحي الأرمني ، الأمر الذي يشير إلى أنه لا يمكن أن يكون الأرمن هم من قاموا بحرق مدينة إزمير .

وقد شبت النيران التي استمرت في أربع مناطق أخرى الساعة الخامسة مساءً حيث وصلت ألسنة النيران بمساعدة الرياح ، التي كانت تهب من الجنوب بسرعة إلى الحي الأوروبي .

إن تقديراً معتدلاً للخسائر يمكن أن يقدر بـ ٢٠ مليون جنيه استرليني ويشار هنا إلى حدوث حالات اغتصاب عديدة .

فالسيد ((سايكس)) أحد سكان ((برونوفا)) البارزين كان شاهداً على قتل ٢٥ خادمة. كما كانت مجموعة أخرى مكونة من ٢٠ - ٢٥ خادمة قد التجأن إلى أحد منازل الانكليز . حيث قام الأتراك بجرهن للخارج ، وقاموا بأغتصابهن ومن ثم قتلهن .

الدكتور ((ميرفي)) ، الذي كان أحد سكان ((برونوفا)) المسنين موجوداً مع زوجته وابنتيه في منزله عندما قام أحد الضباط الأتراك والجنود بالهجوم إلى داخل المنزل وبدؤوا بتحطيم الأثاث . وقد تم تحطيم الكثير من آواني الزينة على رأس هذا الشخص السيئ الحظ، كما جرحت زوجته ونجت ابنتاه من الاغتصاب على نحو وحشي. وقد مات الدكتور صبيحة اليوم التالي .

أما زوجته وابنتاه فهن موجودات الآن في مالطا وقد لقيت إحدى السيدات وابنتيهما المعاملة ذاتها . وفيما كان يحدث كل هذا ، كان كمال باشا قد أقام في كورذيليو في منزل المندوب السامي اليوناني وقد ظهر في المدينة فقط للعشاء في أكبر فندق في المدينة ، الذي تحول اليوم إلى مركز أركان الحرب العامة التركية .

كان قد تجمع ما لا يقل عن ٥٠ ألف لاجئ يوناني وأرميني على الشاطئ بين المدينة التي تحترق والبحر، ومن جسر ((أرمينيان)) الذي كان مثبتاً بحكام على مسافة ٤٠٠ يارد ، إلى درجة اضطر القبطان أن يبعده بسبب الدخان والرماد ، كان بوسعي مشاهدة هذه المخلوقات البائسة وهي تتحرك عبر الحرارة التي لا تطاق .

على طرفي الميناء كان يتواجد جنود أتراك مزودين بالرشاشات. كما كانت تحرس أيضاً المعابر المؤدية إلى المدينة التي تحترق . كانت الرزم التي يحملونها تشتعل هي أيضاً، كان الرجال والنساء والأطفال المختلين يذهبون ويحيثون في الميناء كانوا أمواتاً أكثر منهم أحياء . كان هذا المشهد الأخير الذي رأيته لإزمير . هناك شهادات مباشرة على أن الأتراك قاموا بإغلاق المنازل قبل حرقها كما قاموا أيضاً بسكب الكيروسين على مناطق كثيرة من اخي الأرميني)) .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة ((لندن تايمز)) ، الصادرة في ١٨ أيلول عام ١٩٢٢ . إلى حدوث مذابح وعمليات إبادة منظمة . تقرير من مراسلنا الخاص .

أثينا ، ١٥ أيلول فوتيا

يبدو الآن أغلب الظن إن السبب الذي أبقى الأتراك في حالة سكون في اليومين الأولين . الذين أحتلا فيه مدينة إزمير ، كان اتجاه الريح الذي كان سيدفع النيران جهة الحي التركي ، غير أنه تم في اليوم الثالث إضرام النيران عن عمد .

هذا وقد تم التأكد اليوم على شهادة الأنسة ((ميلس)) ((مديرة المعهد الأمريكي في إزمير)) ، التي أشرنا إليها البارحة ، من قبل أمريكيان آخرين

الذين صرحوا أنهم شاهدوا بأعينهم جنوداً أتراكاً يدخلون منازل ، كانت قد هُبت مسبقاً وتم التخلي عنها ، ممسكين بأسمال مبللة بالبرزين حيث كانت تشب فيها النيران بعد وقت قليل .

أعمال هُـب

لقد انتشرت أعمال النهب على نطاق واسع جداً. فقد تم سرقة السجاجيد والثياب ، والحلي كما تم على وجه الدقة سرقة كل محتويات المنازل . وقد سمح بأعمال النهب بصورة رسمية لأن مبنى أمريكياً نجح بفضل التركي الذي كان يحرسه، وتم إبقاء المبنى بعيداً عن اللصوص مشيراً ببساطة إلى أوامر رؤسائه، الذين كانوا قد قرروا اعتبار هذا المبنى استثناءً .

هذا وتختلف التقديرات بخصوص حجم المذابح فأعلى رقم تمت الإشارة إليه هو ٤٠٠ ألف، الأمر الذي كان سيعني قتل نصف سكان المدينة، التي كانت تضخم كثيراً في الآونة الأخيرة بسبب تجمع اللاجئين في هذه المدينة . على كل حال فإن الشهادات متفقة على أن إزمير قد تحولت إلى مقبرة حيث كانت طرق كثيرة مليئة بأشلاء الجثث إلى درجة لم يكن ممكناً العبور بالقرب منها بسبب الروائح الكريهة .

أعمال الإبادة

كانت أعمال الإبادة منظمة . ووفقاً للشهادات الموجودة فإن الجنود الأتراك النظاميين وغير النظاميين كانوا يعتقلون في الطرقات كل الذين كانت تبدو عليهم علامات الشراء وما أن يقوموا بتعريضهم حتى يقتلوهم في مجموعات . وقد لقي الكثير من الأرمن واليونانيون الذين التجاؤوا للكنائس الموت بين السنة النيران عندما قام الأتراك بإضرام النيران فيها .

أعمال الخطف

وكالعادة ، كان يتم فصل الفتيات الأكثر جمالاً عن عائلاتهن ليرسلن إلى المناطق الداخلية .

وإذا حاول آباء وأمهات الفتيات أو أخوتهن التصدي كانوا يقتلونهن ولفترة ما كان الأتراك قد فقدوا كل انضباط .

البؤس والموت جوعاً

لم يكن العديد من اللاجئين ، الذين تحدثت إليهم صبيحة اليوم ، قد تناولوا طعاماً منذ الأحد وكانت حالتهم تدعو للرثاء .

كان العديد منهم قد وصلوا إلى السفينة وكان البحارة الأمريكيان الذين تم الاعتراف بلطفهم وتصرفهم الحسن من قبل الجميع ، يقومون بإصعادهم إلى ظهر السفينة عراً ومنهكي القوى ، وقد تم إعطاؤهم كل الأماكن المتوفرة. كان شقاؤهم قد زاد أكثر كما تم عبر جو الارتباك العام تفريق شمل العائلات وكان آلاف الآباء والأزواج يجهلون مصير أولادهم وزوجاتهم وكان يجب أن يمر وقت طويل قبل أن يعرفوا أخبارهم وأن يكون بالإمكان جمع شملهم.

هذا وإن الاهتمام باللاجئين وتسوية أمورهم هي مشكلة خطيرة بالنسبة للحكومة . حيث يوجد نقص مسبق في كل الحاجات الضرورية وإذا لم تصل مساعدة فإن الحالات ستكون حرجة .

تشير الأنباء الواردة في الـ ((ديلي نيوز)) ، الصادرة في ٢٠ أيلول عام

١٩٢٢

إلى مسؤولية الأتراك عن أحداث إزمير .

كما تشير تقارير البريطانيين حول وقائع الحريق إلى أنه كان بالإمكان تدارك الدمار .

من مراسلنا الحربي الجنرال سير . ف . موريس .
إستانبول ، يوم الاثنين .

يبدو من تقارير الموظفين البريطانيين الحكوميين، الذين بقوا في إزمير بعد احتلالها من قبل الأتراك أن فرقة خيالة تركية قد دخلت المدينة في التاسع من أيلول وأنه حتى الثاني عشر من أيلول كانت قد وصلت إلى هناك فرقتا مشاة .

هذا وكانت فرقة الخيالة قد غادرت في الثاني عشر من أيلول وقيل أنها ذهبت تجاه الدردنيل . وتبعها جزء من المشاة غير أنه كان لا يزال لدى الأتراك قوات أكثر مما يلزم لحفظ النظام وتدارك إنتشار النيران .
لقد بدأت النيران في الحي الأرمني في فترة الظهر في الثالث عشر من أيلول، غير إن السلطات التركية لم تقم ببذل أية محاولة جادة للسيطرة عليها . وقد شاهدت في صبيحة اليوم التالي جنوداً أتراك يقومون بسكب البترول وإضرار النيران في المنازل .

هذا وكان إطلاق العيارات النارية وأعمال النهب قد شاعت في المدينة وكانت المدينة قد وجدت بأكملها في الخامس عشر من أيلول في حالة هيجان كبير ، فيما كان الجيش النظامي قد اندفع مع القوات غير النظامية والسكان الأتراك للقيام بأعمال نهب وقتل شاملة .

بين العديد من شهود العيان لا أستطيع أن أجد ولا حتى شخصاً شاهد محاولة منظمة من قبل الأتراك للقيام بإنقاذ النساء والأطفال الذين لم تقدم لهم المساعدة .

ليس معروفاً النقطة التي اندلعت فيها النيران ولكن حسب رأي من قاموا بإعلامي لا يوجد أدنى شك أنه كان بوسع السلطات التركية أن تمنع إنتشار

النيران في الأحياء الأوروبية وإن الجنود الأتراك الذين ينشطون هناك عن عمد كانوا السبب الرئيسي لحجم الدمار المخيف .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة الـ ((ديلي تلغراف)) الصادرة في ١٨ أيلول عام ١٩٢٢ إلى إلقاء قنابل حارقة ووجود ٨٠٠ من القتلى في الكنيسة . وقد تم إخطار وكالة رويتر بتلقي بعثة اليونان الدبلوماسية في لندن الرسالة التالية من أثينا :

((يسرد اللاجئين ، الذين يصلون هنا تباعاً ، برعب ونحيب، نهاية إزمير المفجعة . فقد بقي الحي التركي وحده على حاله بالإضافة إلى بعض المنازل في حي بونداس .

(في طرف المدينة الشمالي الذي كان يقطنه اليونانيون والأوروبيون) . وتوصف مشاهد القتل بين السنة النيران كمشاهد فظيعة. هذا وقد قام الجيش النظامي بإضرار النيران في مناطق المدينة العديدة ، التي كانت تغذيها القنابل الحارقة التي كانوا يلقيون بها دون توقف داخل النيران المشتعلة .

كما اضطّر جموع الرجال، والنساء والأطفال ، التي اختبأت في الكنائس أو المنازل . إلى الخروج بعيداً عن المنازل المشتعلة وصاروا يُجرون في الطرقات كالمجانين وكان عليهم مواجهة العصابات ، التي اندفعت للقيام بأعمال القتل أونيران الأسلحة الرشاشة .

كما يسرد شهود عيان من أنه تم بطريقة فظيعة قتل مجموعة من الأشخاص كانت قد التجأت إلى كاتدرائية الكاثوليك ، بالرغم من تواجد ضابطين فرنسيين هناك كما كان القتلة في بعض المرات يوقفون عملهم كي يجمعوا النقود والأشياء الثمينة، التي كان ضحاياهم يلقيون بها إليهم غير إنهم كانوا يستمرون مباشرة بعد ذلك .

هذا وقد انتحر العديد من النساء والفتيات - وحتى الرجال كي لا يبقوا على قيد الحياة بعد العار الذي لحق بهم .

بين الضحايا كان هناك العديد من اليهود وعدد كاف من الأوروبيين . كما قام العديد من الذين تمكنوا من الوصول إلى رصيف الميناء من القفز إلى الماء كي يتجنبوا الفظائع التي تجري على اليابسة مما أدى إلى غرقهم . يشير اللاجئون إلى إن السفن الحربية الفرنسية والإيطالية رفضت أخذ كل الذين لم يكن بحوزتهم وثائق تشير إلى جنسيتهم - الفرنسية أو الإيطالية- فيما كانت السفن الإنكليزية تقبل اللاجئين مع أنها كانت تعطي بالطبع الأولوية لرعايا بلدها .

هذ ويشير اللاجئون إلى رغبة البوارج الأمريكية والسفن الأخرى ، في تقديم كل مساعدة ممكنة ، فيما قامت لجنة الرعاية الصحية والاجتماعية بإرسال سيارات لجمع كل الذين كانوا قد تاهوا في المناطق الداخلية . وهكذا، فإن اعتراف اللاجئين بجميل الأمريكان هو بلا حدود . كما تقوم السفن اليابانية أيضاً بنقل اللاجئين .

من غير الممكن وعلى أساس أي من هذه الروايات أن يصبح بالإمكان إعطاء التقدير الدقيق لعدد الضحايا ، ولكن هناك مخاوف من أن يتجاوز هذا العدد حتماً الـ ١٠٠ ألف .

هذا ويقال إن سكان إزمير الأتراك بالإضافة إلى الخدم ، العاملين لدى المندوب السامي كانوا قد قاموا بدور فاعل في المذابح)) .

تشير البرقيات الأخيرة الواردة في الـ ((ديلي كرونيكال)) الصادرة في ١٨ أيلول عام ١٩٢٢ .

إلى أن الأنباء الواردة من أثينا وأماكن أخرى عبر وكالة رويتر ووكالات أنباء أخرى ، تعطي تفاصيل أكثر من ذلك للمشاهد ، التي تنفذ في إزمير المحكومة بالفناء :

فيما يقول اللاجئين أنه لم ينج أحد من القوات الكمالية سوى الأتراك واليهود . حيث كانت أعمال القتل وحرق المدينة عملاً يومياً ينفذ من قبل مجموعات ، كان على رأسها ضباط أترك . كما كان الجنود والمواطنون يقومون بنهب المنازل والمحال التجارية وكانوا بعد ذلك يضرمون النيران فيها في كل مكان كان هناك جثث محروقة ومقطعة وكان الجو ملوثاً من رائحة الأشلاء ، التي كانت تخرج من بين أطلال المنازل .

لا وجود للأرمن في أي مكان

ثم اقتياد النساء والفتيات إلى أطراف المدينة وقتلهم ، لم يظهر ولا أرمني في إزمير منذ يوم الخميس .

بلا شك بعض هؤلاء محتبئون ولكن هناك خوف من قتلهم حتى الأطفال الرضع . كان رصيف البناء الذي تجمع فيه اللاجئين المرعوبون والخائفون يظهر أكثر المشاهد الإنسانية حزناً ، التي يمكن للشخص أن يتخيلها . كانت همسات وصرخات الجرحى من الألم وأولئك ، الذين يحتضرون تسمع من كل اتجاه . كان الجميع يعانون من الجوع والعطش .

١٢٠ ألف من الموتى

لم تكن السفن والزوارق الموجودة ولا البواخر المعدة لنقل اللاجئين كافية وقد غرق الكثيرون الذين حاولوا الوصول إلى البواخر سباحة ، فيما تم قتل الآخرين بإطلاق الرصاص عليهم من رصيف الميناء . وقد فقد الكثير من اللاجئين ، وعلى وجه الخصوص النساء عقولهم .

كما إن من غير الممكن تقدير عدد الموتى، ولكن وفقاً لأكثر التقديرات
نفظاً للاجئين أنفسهم فإنها تصل إلى ١٢٠ ألف .
هذا وقد تم تنفيذ حكم الإعدام بعدد كبير من اليونانيين والأرمن بعد
استجواب مختصر بتهمة تقديمهم المساعدة للقوات اليونانية أو ارتكابهم
لجرائم وهمية .

حرق إزمير

الشهادة المحلفة التالية للمبجل تشارلز دومبسون ، كاهن إزمير الشجاع ، هي قيمة وهامة حيث يقول :

((.....لقد تركت لدي انطباعاً خاصاً بمجموعة مكونة من النساء والأطفال الرضع وفتاة صغيرة ، شبه عارية ، كانت مصابة بطلق ناري في صدرها وكانت الدماء المتجمدة على فخذيهما وأعضائها التناسلية ، الشيء الذي كان يتحدث ببلاغة عما كان قد جرى لها قبل أن تموت .

وقد تم دفن جثثهم من قبل رجال دين أرثوذكسكنت تسمع في كل مكان صوت العيارات النارية وكنت تشاهد أعمال النهب والاغتصاب . لقد قالوا أن الأرمن رفضوا تسليم أسلحتهم وقاموا بإلقاء القنابل.يمكن أن يكون هذا حقيقة ، ولكن أيضاً كان حقيقة أن الأرمن كانوا يُقتلون باستمرار في منازلهم ، وأن نساءهم كن يغتصبن وأن بضائعهم كانت تسلب كانوا يوقفون في شوارع المدينة الخلفية الجميع حتى رعايا الدول العظمى ويسرقون نقودهم وأشياءهم الثمينة.وكان العديد من الأرمن،قد التجؤوا إلى إحدى الكنائس وكانوا يرفضون تسليم أنفسهم ولكنهم فعلوا ذلك أخيراً عندما أعطي لهم وعد بأن من غير الوارد أن تتعرض النسوة والأطفال للأذى وقد تم اعتقال الرجال واقتادهم بعيداً .

في إحدى الأيام سمعنا في الجزء الخلفي من منزلنا عدداً وافراً من الهتافات ، التي تبينت منها كلمة تركية ((باديشاه)) أعتقد أنها تعني ((السلطان)). نظرت نحو الخارج وشاهدت قرابة مئتا يوناني أو أرمني راكعين أو جالسين على الطريق . كان جنود أتراك يقومون على حراستهم .

علمت بعد ذلك من مصدر موثوق أنهم قتلوهم. قال لي من قام بإعلامي بأنهم ذبحوا بالسلاح الأبيض حتى يتجنب الأتراك إطلاق العيارات

النارية يمكن أن نشير إلى الكثير من الحوادث المتفرقة التي تدل على توق الأتراك الشديد للقمع ووحشية القوات الكمالية .

أشير فقط إلى واحدة :

كان أحد الأطفال قد جلب لي رسالة من رجال دين أحد الكنائس الأرثوذكسية، كانوا يطلبون مني فيها أن اذهب وأن أمضي الليلة معهم لأقوم بحمايتهم ،لأنه كان قد تم إعلامهم أنه كان يجري الإعداد لهجوم على الكنيسة وكانوا يدركون أن الجنود الأتراك كانوا قد قاموا الليلة الماضية بالهجوم على إحدى الكنائس وذبح الرجال واغتصاب النساء اللواتي كن بداخلها .

كما أن حالة الكولونيل ميري، أحد متقاعدي دائرة الصحة الإنكليزية - الهندية تشير إلى الوحشية غير المحدودة لرجال الجيش الكمالي النظامي كان الكماليون قد انقضوا على منزله في بورنوا حيث قاموا باغتصاب خادmatesه.وعندما حاول الدفاع عنهن قاموا بضربه على نحو بشع. وقد نجحت بناته من المصير الذي حل بالخادmates بتوسلهن للضابط الذي كان على رأس المجموعة ، والذي لعدم تمكنه من السيطرة على رجاله ، أشار عليهن بالاختباء .

قام الكماليون بترع ثياب الكولونيل ميري واغتصابه وقاموا في النهاية برفعه نحو الأعلى وإطلاق الرصاص عليه. كما قاموا بضرب زوجته السيدة المسنة .

وبما أنه بقي مجروحاً على الأرض لمدة طويلة ، فقد نجا الكولونيل ميري من قبل السيد هاري لامب شخصياً ، وتم اصطحابه إلى المشفى الإنكليزي.

وقد اضطرت زوجته وبناته على التخلي عنه عند اندلاع الحريق . حيث مات منتصف الليل وتم تفريغ المشفى في الثالثة مساءً تحت حماية الدوريات التي كان قد أرسلها إلى اليايسة الأميرال الإنكليزي .

لم يظهر الأتراك أي شفقة تجاه الأرمن ٠٠٠٠ وكان الناس يجرون مذعورين في الشوارع الخلفية حاملين أطفالهم وأغطية فراشهم . وكان البعض من هؤلاء جرحى كان وجه أحد الرجال مجروحاً بالكامل وكان الدم يسيل من فمه . كانت الطلقات النارية تسقط باستمرار مصحوبة بصرخات وجري الناس المذعورين . كان الأتراك يسلبون بوضوح في كل مكان .

وكان أحد الرجال قد أصيب بطلق ناري في قدميه وكان أحد قدميه مكسوراً . وكان الناس الذين يجرون لا يعيرون أهمية لصراحته . كان الجو السائد فظيماً وبدأت أخاف من أنه ربما كان الوقت متأخراً على مغادرتنا وقد اندلعت النيران عصر ذلك اليوم .

وقد تأكدت مندهشاً سواء في إيطاليا أو هنا في فرنسا كم كانت العديد من الدوائر غير مستعدة لتقبل مسؤولية الأتراك عن حرق مدينة إزمير .

يبدو لي أن حرق المدينة من قبل عناصر الجيش التركي المتعصب كان الذروة الطبيعية لرفع القيود التي كانت قد فرضت بسبب الضرورات العسكرية وبسبب الخوف الذي لا يمكن لجمه من الأجانب .

لم أقابل أي شخص كان في الموقع ويعرف جيداً الظروف إلا ورفض باستخفاف الادعاء بأن الأرمن قاموا بإضرار النيران في المدينة .

وبقضائي شهراً في المحجر الصحي في مالطا بصفة لاجئ ، قمت بعرض خبرتي مع خبرات زملائي ، وعندما علمنا من أنه تُعرض وجهة النظر القائلة أن أولئك الذين قاموا بإضرار النيران لم يكونوا أتراكاً ، طلبنا من أسقف مالطا ، الذي كان زارنا بأن نطلب من الشعب الإنكليزي إلا يحكم على

هذا الأمر إلى أن تعرف الحقيقة. وقد طلب الأسقف منا أن نقدم له تصريحاً رسمياً وقد قابلناه في منزل نائب الحاكم . وكان بصحبي هربرت غويتول المتقدم في الكهنة وروبرت هاندكينسون مع ابنه والسيد. ج. ايبستين وقساوسة إزمير وبورنونا وبوتزا الإنكليز.

هذا ويوجد تقرير عن لقائنا في رسالة صاحب النيافة اللورد أسقف جبل طارق في جريدة أسقفية جبل طارق (العدد ٢، من المجلد ٦، بتاريخ ٦ تشرين الثاني عام ١٩٢٢) .

أذكر بان إجماع الرأي بالنسبة للأشخاص السبعة ، والذي تم التعبير عنه على نحو طبيعي ، هو أمر يستحق الاحترام كثيراً.

فلا أحد من هؤلاء كان متأثراً من أي دافع آخر ، سوى الدفاع عن الحقيقة وكان لدى الجميع فرص استثنائية لسماع الشهادة الشخصية لأفراد عديدين هذه الشهادات البعيدة عن كل هستيريا ، أو تشويش لأخطاء شخصية والميل البشري للمبالغة، هي على درجة من الوضوح إلى الحد الذي تشكل اتهاماً كاسحاً ضد الأتراك على أنهم أهملوا فرض النظام إلى درجة أدت إلى قيام العناصر المتشددة أثناء أزمة الخوف من الأجانب ، والتي أحجها السماح بالتهب على مدى ثلاثة أيام وحرقت المدينة مستهدفين بذلك طرد كل العناصر من غير الأتراك ومن غير اليهود . من الأهمية بمكان القول أن الحريق قد اندلع في مناطق عديدة بفواصل زمنية صغيرة ، مشيراً بذلك إلى أن الأمر يتعلق بعملية حرق منظمة وأنه كان يمكن أن يتم بتحركات منظمة فقط .

أيضاً الأمر الهام هو أن الحريق قد اندلع مباشرة بعد تغيير اتجاه الرياح ، والذي كان يهب في الأيام الثلاث السابقة تجاه الحي التركي . فآية نيران كان سيتم إضرارها قبل تغير هذا الاتجاه كان سيدمر الحي التركي .

إن شهود غير منحازين ، والذين تواجدوا في إزمير أثناء فترة الحريق يتحدثون عن أن عدم وجود روايات كافية و مقبولة لدى الأتراك تميل إلى إدانتهم في هذا الشأن. وقد التقيت ممرضة ، كانت قد غادرت إزمير حديثاً بعد الحريق بعشرة أيام حيث قصّت لي كيف أنها كانت تعمل على إخراج طلقات الرصاص من أجساد الأطفال الجرحى وكانت هي ذاتها شاهدة على أعمال اغتصاب اليونانيات .

أذكر هذا لأشير إلى أن معاملة الأرمن واليونانيين من قبل الأتراك لم يكن فجأة أمراً مبالغاً فيه ، ولكنها سياسة مستمرة .

وقد تحدث لي المبجل روبرت أيس و الذي هو الآن راعي أبرشية كارثايني في إسبانيا ، عن مصير رجل الدين اليوناني في بوترا. وكان قد أستقى معلوماته من شقيق القنصل الروماني.

ووفقاً للأخير ، فإن الأتراك كانوا قد قاموا بإفقاد رجل الدين اليوناني بصره كما قاموا بصلبه على باب منزل السيد كوردون في بوترا. كما كان الجنود الأتراك قد قاموا بدق نعال فرس على راحتي يديه و قدميه كان ميتاً عندما شاهده شقيق القنصل حيث قام بتقبيل يديه وتركه هناك.

في روايتي هذه حاولت ألا أتأثر بعدائي نحو مرتكبي هذه الفظائع . كما أغفلت الكثير من الحوادث الصغيرة التي تؤكد اعتقادي الشخصي عن بربرية القوات الكمالية ، ولكن سيكون من الأنانية أن أشير إلى ذلك .

فقد قام أسقف جبل طارق في رسالته إلى مجلة التايمز في الثامن من تشرين الثاني بإعلام مواطنيه بلغة ضبط النفس والاعتدال حول ((آسيوية)) الأتراك)).

بعد أحداث إزمير

تشير الأنباء الواردة في صحيفتي الـ ((ديلي تلغراف)) و ((مانشستر غارديان)) بتاريخ ١٤ تشرين الأول عام ١٩٢٢ . إلى هروب اليونانيين من آسيا وإلى الوحشية التركية .

من المراسل اويتس سويقت ، باتفاق خاص مع شيكاغو تريبيون .
أثينا ، يوم الجمعة .

يسرد السيد ألفريد . ي . برايندي من اللجنة الأمريكية المكلفة بشؤون دمار مدينة إزمير ، والذي وصل إلى هنا حيث كان قد أمضى أسبوعين في جزر منطقة إزمير منقذاً اللاجئين اليونانيين والأرمن من شواطئ آسيا الصغرى ، يسرد لنا قصص حية عن أعمال سلب وقتل اليونانيين الذين غادروا آسيا الصغرى .

يشير السيد برايندي إلى تأكده من قيام الأتراك بمحاولات منع تقديم المساعدة للسكان المهجرين المدعورين و إنقاذهم وفيما كان آلاف اللاجئين قد احشدوا دون مأوى في الشواطئ كان الأتراك يقومون بإطلاق النيران على السفن التي ترفع الأعلام الأمريكية و البريطانية التي جاءت للمساعدة في عملية إنقاذهم .

ويروي السيد برايندي قائلاً:

((على الرغم من تهجير غالبية الرجال البالغين اليونانيين والأرمن إلى أنقرة - الأمر الذي يعتبر بمثابة استعباد - وتهجير غالبية النساء والأطفال ، فإن الأتراك مستمرون في حملة القتل والرعب حيث كانت تتم تصفية آخر الجاليات الأرمنية و اليونانية التي نجت الوحدة تلو الأخرى . استخدمت كقاعدة لي جزيرة ميتيليني* فيما كان أسطول مكون من ١٧ سفينة يحمل

* ميديللي (باللغة التركية) ولسفوس (باليونانية) .

العلم البريطاني والأمريكي يقوم بأخذ اللاجئين من قرى آسيا الصغرى المحاذية للشاطئ .

هذا وقد تم إعلامي في ٢ تشرين الثاني بقيام الأتراك بتجميع ١,٠٠٠ لاجئ من النساء والأطفال في خليج أيغاليو*، حيث ذهبت هناك على متن مدمرة أمريكية . وقد رسونا خارج الميناء و أتهجنا صوب الشاطئ بزورق كان على ساريتة العلم الأمريكي مرصعاً بالنجوم .

قام الأتراك على أثرها بإطلاق النار على زورقنا من مدفع رشاش مما أدى إلى تحطيم السارية التي كانت ترفع العلم .وعندما نزلنا إلى الشاطئ أنكر الأتراك وجود لاجئين هناك .وقد وجدنا لاحقاً ضباط أعلى رتبة ، تصرفوا معنا بلطف وقالوا إن بوسعنا تحميل اللاجئين على متن سفينتنا .

على أية حال لم يقدموا اعتذاراً لقيامهم بفتح النيران ضد العلم الأمريكي واكتفوا بالقول :

إن رجالنا أساءوا فهم الأوامر التي كانت قد أعطيت لهم .

قبل صعود اللاجئين إلى زوارق سفينتنا ، كانوا يمرون بين صفين من الجنود الأتراك في مبنى جمارك المدينة .

ويفترض أن الجنود كانوا يبحثون عن الأسلحة والعتاد الحربي ، ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يسرقون على نحو منظم كل النقود والأشياء الثمينة التي كانت بحوزة هؤلاء المسنين والنساء .في مئات الحالات كانت النسوة اللواتي يصعدن على ظهر السفن المعدة لنقل اللاجئين ، يشيرون إلى قيام الأتراك بضربهن وإساءة معاملتهن ، غير أنني شخصياً لم أشاهد أي إساءة معاملة للنساء)) .

*أيغاليك (باللغة التركية) (وأيغاليو باليونانية) .

مشاهد مؤسفة

((أيضاً تتميز معاملة الرجال الذين هم في سن الخدمة الإلزامية بالوحشية . حيث يقومون بفصلهم عن زوجاتهم وعائلاتهم ليتم اقتيادهم إلى مناطق البلاد الداخلية . وعندما حاول رجل في الثلاثين من العمر عبور الصفوف والذهاب قرب زوجته، قام أحد الجنود الأتراك بضربه بأخمص بندقية بقوة في صدره إلى الحد الذي أطاح به ثلاثة أمتار بعيداً ، في البحر .

هذا وقد حاول يوناني يبلغ الخامسة و العشرين من العمر أن يلوذ بالفرار مرتدياً طربوشاً متتحلاً بذلك صفة تركي وذهب إلى سفن اللاجئين من أجل عمل ما . وعندما اجتاز رصيف الميناء اعتقد أنه كان بأمان تحت حماية علم أجنبي. رأيته يمزق الطربوش ، ويصق عليه وسمعته يصرخ شائماً الأتراك . قام عندها بعض الجنود الأتراك بالصعود مباشرة إلى السفينة حيث جروه إلى اليابسة وقتلوه .

كما كانت المشافي في الجزر اليونانية مكتظة بأفراد كانوا قد ضربوا بالعصي أو جرحوا من قبل الأتراك .

شاهدت في مشفى جزيرة خيوس طفلاً كان لا يزال حياً بالرغم من أن أحد الأتراك الذي كان قد أصابه بطلق ناري في وجهه كان قد قتل والده واغتصب أمه .

في المشفى ذاته كانت عائلة مكونة من ستة أطفال أرمن يتامى . وعندما علم والدهم قيام الأتراك بدخول المنطقة ، قام بجمع نقوده وخياطتها داخل ثياب الأطفال .

قام الجنود الأتراك بقتل الأب ، ووجدوا النقود داخل ثياب الأطفال ، ولأنهم لم يجدوا شيئاً في ثياب الطفل ذي الأربع سنوات ، قاموا بضربه بأعقاب بنادقهم .

والآن عند كل ضجة مفاجئة ، كضربة على الباب ، فإن الطفل ذي الأربع سنوات يبدأ بالارتجاف خوفاً .

عندما علمنا بوجود لاجئين على شاطئ فوتزي في آسيا الصغرى ، اتجهنا إلى هناك على متن السفينة البخارية بافيا . وعندما حاولنا الرسو على رصيف الميناء ، قام الجنود الأتراك بفتح نيران الأسلحة الرشاشة ضدنا من الجهتين بالرغم من أن السفينة كانت ترفع العلم البريطاني على ساريتها ، كما كانت نيران الأسلحة الرشاشة تمنعنا من فعل ذلك . وقد تمكنا في المرة السابعة من أن نرسو في الميناء . حيث قال لنا الأتراك :

لا يوجد لاجئون هنا فضلاً عن أنكم غير مرغوبين هنا .

كان واضحاً أنهم كانوا قد أبعدوا اللاجئين للتو .

هذا وقد قام جنود مزودين ببنادق لها حراب بمنعنا من دخول المدينة للقيام بالبحث . وعندما سألت الضباط الأتراك لماذا قاموا بفتح النيران ضد العلم الأمريكي و الإنكليزي أجابونا :

ليس لكم أي عمل هنا ، و أضافوا فيما بعد التفسير من أن رجالهم لم يكن يعرفون إلى أية دول كانت تخص هذه الأعلام .

تركت لهم بعض أعلام الحريز الأمريكية الصغيرة التي كانت لدي ، لاساعدهم في القيام بتنقيف رجالهم)) .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة الـ ((ديلي تلغراف)) بتاريخ ١٦ تشرين

الأول عام ١٩٢٢

من المراسل اويتس سويفت . بالاتفاق الخاص مع شيكاغو تريبيون . أثينا ، مساء السبت .

إلى وصول السيد ((ويليام كلوتز)) من منظمة الرعاية الصحية الأمريكية ،
بعد قيامه بجولة في جزر بحر إيجه و سالونيك ، حيث يروي لنا قصصاً حية
للحالة المأساوية للاجئين القادمين من تراقيا .

فكلوتز يشير هنا إلى أن ظروف معيشة اللاجئين تسوء باستمرار .
((لقد بدأ مسبقاً وصول لاجئي تراقيا إلى سالونيك. حيث يقوم الفلاحون
الأكثر فقراً بالوصول إلى هنا سيراً على الأقدام ،فيما هم يلهثون مع حميرهم
المحملة بشكل زائد بالأشياء القليلة التي استطاعوا إنقاذها من منازلهم .
هذا وقد قام سكان تراقيا الأكثر ثراءً ببيع أملاكهم والوصول هنا على متن
سيارات مليئة بالصناديق والحقائب .

خمسة وسبعون ألف لاجئ من آسيا هم أصلاً في سالونيك ولا يوجد مكان
لاستقبالهم وينامون بشكل اضطراري في الطرقات والحدائق والكنائس .
لا تبدو للعيان الأبعاد المفجعة للمأساة ، لأن موجات الهجرة بدأت للتو من
تراقيا . لقد تم إسكان أوائل اللاجئين في أربع معسكرات ضخمة في أطراف
المدينة ، كانت قد بنيت للجيش البريطاني أثناء فترة الإعداد لحملة كاليولي .
كما يعاني ٧٠ بالمئة من هولاء البشر من الملاريا بسبب المستنقعات الموجودة
حول المدينة ولا يمكن التصدي للمرض بسبب عدم توفر دواء الكينين. كما
ينتظر بين لحظة وأخرى بدء موسم الأمطار وإذ ذاك فإن الالتهابات الرئوية
سُحِدت ضرراً كبيراً حتى لو يتم التمكن من منع انتشار الكوليرا والتيفويد .
تبدو في المعسكرات مشاهد رعب حية تضم العشرات من الأشخاص رجال
مسنين ونساء ، وفتيات صغيرات تم اغتصابهن من قبل الأتراك ، وقد فقدت
النسوة اللواتي شاهدن أزواجهن وهم يُعتقلون ويتم اقتيادهم إلى أنقرة عقولهن
من الخوف ويتجولن في المعسكرات المليئة بالكامل والتي تفوح منها الروائح
الكريهة، يصرخن و يشتمن ويغنين ويكيّن دون أن يعيرهن آلاف الأشخاص

اللامبالين والليائسين الذين يحيطون بهم أي اهتمام . هذا وقد فصل أشخاص مسنين غير قادرين على الاهتمام بأنفسهم عن عائلاتهم .

هم مطروحون على أرض المعسكرات موتى وتبقى جثثهم هناك دون أن يلاحظها أحد إلى أن يصطدم بها أحد مسؤولي الرعاية الصحية .

كما يبحث مئات اليتامى بحزن بين الجموع أملين أن يجدوا والديهم مثلهم مثل مئات الأمهات دون توقف ، بحثاً عن أطفالهن من مجموعة إلى مجموعة .

مئات الأطفال ، بعضهم لا يتجاوز الثلاث أو الأربع أشهر و آخريين ولدوا أثناء الهروب ، تم التخلي عنهم وأخذوا من قبل لاجئين آخريين يهتمون بهم الآن . هذا وقد شاهدت رجلاً في السبعين من العمر ، كان قد فصل عن عائلته أثناء الهرب ، جالساً على الأرض ويمسك زجاجة حليب في فم طفل رضيع عمره بضعة أسابيع ، كانوا قد وضعوه بين ذراعيه ساعة الصعود إلى السفينة في إزمير .

وقد شاهدت في الكنيسة المكتظة باللاجئين الذين يتعالى صراخهم ، فتاة أرمنية تبلغ الخامسة عشرة من العمر تهتم بطفل مولود حديثاً ، والذي كما قالوا لنا كانوا قد وضعوه جانبها ساعة نومها . وفيما كنت أفتح الطريق بين الجموع كانت النساء شبه المجنونات ، يحاصرني باستمرار ويكيبن ويتوسلن إلي أن أذهب لدى كمال باشا وأن أرجوه ألا يقتل أزواجهن الأسرى الذين كما يعتقدن، تم اقتيادهم إلى أنقرة كي يُقتلوا من باب الانتقام .

يقص جميع اللاجئين قصصاً تقشعرها الأبدان حول الوحشية التركية .

وقد أكد لي أحد الرجال أنه لدى دخول الأتراك إلى قرية موسخونيسيا في آسيا الصغرى ، قاموا بقتل خمسة عشر رجلاً ، ثم جمع جثثهم في الساحة ، ورشها بالبترين ليصار إلى حرقهم بعد ذلك)) .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة الـ((ديلي تلغراف)) ، بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ .

إلى أن تفرغ تراقيا قد بدأ بذعر مخيف للسكان اليونانيين . حيث قام رجال دعاية كمال بنشر أخبار تستهدف إرهاب السكان العزل والتي كان الجندرة الأتراك بموجبها سيصلون إلى تراقيا خلال يومين . بعد منتصف ليلة قام على أثرها جميع اليونانيين بتجميع حاجياتهم في عربات تجرها الجواميس وسلكوا الطريق نحو الساحل . هكذا ، فإن جميع الموانئ مكتظة إلى حد الاختناق باللاجئين الموجودين بحالة ارتباك تدعو لليأس ويعيشون في ظروف بائسة ، فيما لا توجد سفن كافية لنقلهم ويخافون من أن يؤدي وصول الأتراك إلى إلقائهم بالبحر .

المنطقة كلها في مشهد مفعج لشعب ذي معنويات محطمة ، فقد كل شيء وإن ادعاء الكثيرين من أنهم كانوا سرحبون بالموت للتخفيف من أحزانهم ، يبدو حقيقياً .

إن رحلة يوم ونصف اليوم على متن السيارة ، من إستانبول وحتى هنا ، أكد النبأ بأن السكان اليونانيين العزل يعتبرون تفرغ المنطقة كدليل على أن كل شيء قد ضاع . هذا وقد مرت بقرى كبيرة لم يبقَ فيها ولا حتى يوناني واحد .

وأثناء سيري في الطرق الموحلة ، التي لا يوجد أسوأ منها في كل العالم ، شاهدت بقايا السكان العزل بمعنويات محطمة ، والذي كان مشهدهم أكثر مأساوية من الجيش ، الذي كان ينسحب .

هذا وقد قام الرجال الذين كانوا يحرسون بإنتباه الأشياء الثمينة ، برميها من العربات ليتمكنوا من إنقاذ الأطعمة التي كانوا قد أخذوها بدلاً من

إبطاء سرعة الجواميس . كما سقط الأطفال المنهكي القوى من السير أرضاً مرضى دون أن يتمكنوا من التقدم ولا حتى خطوة واحدة .

وقد تمكنت امرأة كانت تحمل طفلين رضيعين من إيجاد مكان في سيارة إسعاف كما كانت العديد من الفتيات الصغيرات السن يحملن أشياء كانت تناسب الرجال أكثر . وفيما كانوا يسرون بدا واضحاً أنهم كانوا جميعاً ينتظرون بفارغ الصبر وصولهم إلى البحر ، إلى درجة كانوا مستعدين فيها للتخلي عن كل شيء . كما كانت العربات تتحطم وكان أصحابها يتخلون عن كل حاجياتهم عدا القليل من الطعام الذي تمكنوا من حمله .

وكان كل هذا يحدث دون تذمر ، وقد منعهم الخوف، الذي كان واضحاً إلى درجة كبيرة في أعينهم ، الجميع من الكلام .

في سيليفري ، حيث الميناء الصغير ، الذي كان يخدم عشرين قرية، الحالة مخيفة . حيث كانت تتواجد ثلاث سفن بخارية غير مليئة بالكامل في عرض البحر بالإضافة إلى زوارق مليئة بكامل سعتها ليتم بها نقل اللاجئين وصرر الثياب .

كان أربعة آلاف شخص جالسين على الشاطئ بالقرب من كل ما يملكون وما لم يكن قد فقدوه في الطريق بانتظار مجيء دورهم ليقوموا بالخطوة الأولى نحو الحرية _ كما كانوا يعتقدون _ وأن ينجوا من القتل .

فيما كان البعض ينتظرون خارج المدينة كي يراقبوا الأتراك وليقوموا بإعلام اللاجئين حين وصولهم ، والذين كما أكدوا لي ، كانوا سيلقون بأنفسهم جميعاً في البحر ، مفضلين الموت خنقاً على أن يقتلوا من قبل الأتراك .

حاولت أن أبعد مخاوفهم ، قائلاً ليونانيين يعرفون الإنكليزية أن يذهبوا ويقولوا للناس أنه ما كان سيسمح للأتراك الدخول إلى سيليفري قبل مضي أسبوع ، ولكن دون جدوى .

لم يصدقوني ... كانت الجموع قد بقيت طوال الليل على الشاطئ مكشوفة وعرضة للرياح العاتية وعند بزوغ الفجر كان عددهم قد زاد على نحو خطير كانت السفن البخارية قد امتلأت مسبقاً ويبدو أنها كانت قد تركت تواجه مصيرها القاسي .

الاندفاع نحو سكة القطار

سرت نحو تشورلو حيث كانت مجموعة من الأشخاص مجتمعة في محطة القطار ، محولين ركوب القطار إلى أدريانوبول ، فيما كانت بعض العربات المعدة لنقل الحبوب مليئة بصرر الثياب ، والتي كانت تصل إلى ارتفاع كبير، وكان النساء والأطفال قد تكدسوا فوقها ، ولكن مقابل كل شخص ينقله القطار ، كان خمسين شخصاً قد بقوا في المؤخرة .

وكانت كل محلات تشورلو اليونانية ، التي كانت مقر الفرقة اليونانية الثالثة، قد أغلقت أبوابها لأن مالكيها كانوا سيغادرون يوم الأحد .

غير أن ظهور ضابط بريطاني ، البارحة، أوحى ببعض الثقة وفتح البعض محلاتهم ثانيةً بشكل مؤقت ، ولكن سوف لن يبقى ولا يوناني واحد في المدينة. بعد ذلك سلكت من تشورلو ، أحد طرق تراقيا التقليدية السيئة ، إلى أن وصلت إلى رايزيستو. حيث وجدت الميناء مليئاً بالسفن على نحو يدعو لليأس ، والتي كانت مستعدة لأخذ القوات اليونانية المنسحبة .

كان المدنيون الذين غادروا قلة نسبياً. وكان عدد المتواجدين على الشاطئ يزداد من ساعة إلى ساعة ربما يتواجد هناك الآن خمسة آلاف .

من المشكوك فيه في هذه اللحظة ما إذا كان بالإمكان نقلهم في مدة أقل من خمسة عشرة يوماً .

وإذا ساءت الأحوال الجوية ، فإن احتمالات نجاةهم من الطقس المخيف ستكون ضئيلة . كما أن الشفقة التي يشعر بها الفرد تجاه هؤلاء الأشخاص البؤساء ، هي أكبر إذا رأى المرء كل الذي فعلوه بالنسبة لتراقيا . لا يجد المرء في القرى التركية سوى تدهور الأحوال ولا يتم بذل أي محاولة كي تعطي الأرض ثمارها .

من جهة أخرى ، كان اليونانيون قد عملوا في الكروم والحدائق . وكانت مساحة كبيرة مزروعة بالقمح ، مع إن محصول هذا العام الذي تم جمعه قد ذهب هباءً . وفيما لم يقيم الأتراك البتة بفتح الطرقات ، فإن اليونانيين كانوا جاهزين لذلك، وقد شاهدت أميلاً كاملة من قطع الحديد جاهزة للاستخدام في صنع خط سكة الحديد .

سيضيع كل هذا بالنسبة لتراقيا وسترجع حضارتها أجيالاً عديدة إلى الوراء بخسارة العنصر السكاني الفريد من الناحية العملية والتجارية .

لقد ضحى هؤلاء الأشخاص الذين يغادرون بكل ثروتهم ، التي كانوا قد ادخروها وبقيت ممتلكاتهم خلفهم لتقع في أيدي الأتراك .

وقد أعلمني مدير أحد البنوك أنه لم يكن لدى هؤلاء الأشخاص أموالاً نقدية وكان لديهم القليل من النقود . وباجتيازي عل متن السيارة أكثر من مئة ميل عبر تراقيا لم أشاهد ولا قرية أو حقلاً محروقاً .

على الأقل مما شاهدت تبدو روايات الكماليين عن أعمال الحرق من قبل اليونانيين لا أساس لها بالكامل .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة الـ((ديلي تلغراف)) ، بتاريخ ٢٣ تشرين الأول عام ١٩٢٢ إلى حالة يؤس اللاجئين .

رحلة مخزنة من المراسل غ . ت . ماسيبي أدريانوبول ، الخميس ((متأخر))

فيما كنت أقود السيارة على نحو متعرج من بحر مرمرية إلى أدرينوبول لأكثر من ١٠٠ ميل ، صادفت اليوم اليونانيين القادمين من تراقيا ، حيث شاهدت أمامي حدوث أكبر مآسي الإنسانية في التاريخ المعاصر ، والتي هي نزوح شعب ، والذي على الرغم من أن الظروف السائدة كانت قد زادت تمسكه بأرضه فإننا نراه الآن يتخلى عن كل ما كان حققه بعمله ونشاطه ، ويطلب إذا كان ذلك ممكناً، مخرجاً جديداً لممارسة نشاطه حيث لن يكون مرة أخرى ضحية خيانة كبرى .

فالمشهد الذي واجهته في لوله بورغاز يستحق الوصف فكل الطريق المار نحو الشمال مليء بوسائل النقل ومسافرين على الأقدام ، يزدادون باستمرار مع وصول أشخاص جدد قادمين من دروب الشرق والغرب الضيقة . كما تصل هنا قرى كاملة مكونة من مجموعات بها عدد قليل من الرجال يحملون أسلحة لحماية القافلة من اللصوص والمعتدين .

إن البؤس والألم الذي ارتسم على وجوه الجميع والذي لا يمكن وصفه هو أمر واضح لأنهم يتركون منازلهم وممتلكاتهم .

غير أن الخوف من اقتراب الأتراك يتجاوز كل إحساس آخر والجموع التي تتقدم بسرعة نحو الأمام بالرغم من تعبها فهي تنظر باستمرار نحو الخلف لعدوها الشرس . كان صوت سيارتي كافٍ ليصعبهم بالذعر .

جدير بالذكر إن آثار المخيمات التي أنشئت بشكل ارتجالي هي قليلة جداً حتى لوله بورغاز ، الأمر الذي يعني أن اللاجئين يعتبرون توقفهم خطراً قبل أن يتعدوا أميالاً كافية عن إستانبول .

هذا وقد شاهدت بعد ذلك مواكب المهجرين تتفرق وتنام العائلات إلى جانب العربات والجواميس ، التي كانت مرهقة لتقاتل الأعشاب ، وأحد اليونانيين المنهكي القوى يقوم بالحراسة .

وإلى الشمال من بابا أسكي ، كانت الطرق الموحلة تنتهي وكان بوسع عربات الجواميس السير بسرعة أكبر على الطريق المعبدة بالإسفلت الخشن .
غير أن الحيوانات التي كانت تتحرك ببطء كانت تستطيع السير أسرع من النساء المحملات بالأطفال والأحمال الثقيلة ، على الرغم من أنهم كانوا يحاولون بذل قصارى جهدهم لكي يجروا أقدامهم .

لم تكن هناك ولا قرية يونانية، على مد البصر قد بقي فيها حتى قاطن واحد.
حيث كان جميعهم قد غادروا ليجدوا حياة جديدة وأرض أكثر سعادة .
لم يكن هناك في القليل من القرى التركية الصغيرة أي أثر للحرائق التي تمت الإشارة إليها باستمرار من قبل رجال الدعاية الكمالين ، ولكن قدمت لي تذمرات من معتدين قاموا بخطف الأبقار والأغنام .
الحقيقة هي أنه لم يكن ثمة حيوانات في القرى ، ولكن من غير الممكن القول من هم الذين قاموا بسرقتها .

هذا وقد تزايدت الصعوبات بعد بابا أسكي لأن بعض الجسور كانت قد تهدمت ، ولكن حجم المارين كان قد فتح أثناء عبوره طرقاً ضيقة ، كانت تشبه كثيراً الطرق الموحلة التي لفحها الشمس والتي كانت تستخدمها وسائط النقل أثناء حملة النبي على فلسطين .

على مسافة ٣٠ كيلو متراً من أدرينوبول كان مشهد الطرقات يبدو مدهشاً لخط من اللاجئين دون أي انقطاع بتاتاً - يسرون على متن عربات تجرها الجواميس أحياناً في صفيين مزدوجين - والذين قام جميعهم عدا الأطفال والشيوخ بهذه الرحلة سيراً على الأقدام .

في بعض الأماكن التي بها ازدحام كبير - أماكن حيث الأرض غير مستوية وتعيق التفاف الحيوانات وتبطئ مسيرة المخلوقات البشرية القلقة - كان

تمس مباشرة أمريكا أو كان لها طابع إنساني عام. وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم مطلقاً بإعلان الحرب على تركيا ولم تكن تتفاوض على عقد معاهدة سلام مع هذا البلد، لذا فإن اشتراك أمريكا لم يكن بهدف التوقيع على المعاهدة التي يجري التفاوض بشأنها .

وكانت أعمال المؤتمر قد توقفت في الرابع من شباط عام ١٩٢٣ بسبب رفض المندوبين الأتراك بعض الشروط التي كان قد اقترح أن تتضمنها المعاهدة التي يجري التفاوض بشأنها . وقد بدأت جولة ثانية من أعمال مؤتمر لوزان في ٢٣ نيسان عام ١٩٢٣ واستمرت حتى ٢٤ أيلول من العام ذاته تم فيها التوقيع على معاهدة سلام بين الدول الحليفة وتركيا. وفي هذا القسم الثاني من أعمال المؤتمر كان السيد كرو ممثلاً للولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وكان السلام الذي بدا واضحاً إبرامه بين الدول الحليفة الرئيسية وتركيا قد جعل واضحاً ضرورة إجراء تنظيم عاجل للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا بهدف حماية المصالح الأمريكية .

وكانت الحاجة لمثل هذا التنظيم قد أصبحت أكثر إلحاحاً عندما تمت الموافقة أثناء المفاوضات مع الدول الحليفة على إلغاء الاتفاقيات ، التي تمنح الأجانب المقيمين في تركيا معاملة خاصة . وقد قام عصمت باشا ، رئيس الوفد التركي إلى مؤتمر لوزان في ٥ أيار عام ١٩٢٣ ، بالكتابة إلى السفير كرو مقترحاً عليه التفاوض على معاهدة صداقة وتجارة .

بعد ذلك قامت الخارجية الأمريكية بتفويض السيد كرو البدء بمحادثات غير رسمية مع المندوبين الأتراك للتأكد من مدى إمكانية وجود أساس مناسب للتفاوض . وقد تلت المحادثات مفاوضات رسمية وتم إعطاء السيد كرو تفويضاً كاملاً كما جرت مفاوضات للتوقيع على معاهدة تسليم المتهمين الذين لم يتم الحكم عليهم بشكل نهائي .

آمل أنه خلف هذه الحقيقة لا يختبئ أي دافع سياسي لأن دماء الكثير من الأبرياء ستقع على عاتق المسؤولين في هذا الأمر .

لقد شاهدت العديد من العربات المكتظة بنساء مريضات ، كن يجلسن فوق صرر الثياب وقد تمت الإشارة إلى أن ثمانية من هؤلاء قد قتلن أصلاً بسبب اصطدام رؤوسهن بعوائق مختلفة .

هذا وقد وصلت اليوم إلى أدريانوبول كتيبة فرنسية كما غادر لواء يوناني . بالطبع فإن العلاقات بين هذين الشعبين ليست ودية ، ومن المحزن أنه في الوقت الذي كان يجب عمل شيء لتجنب حادث ما ، فقد تم إرسال الجنود الفرنسيين إلى هذا المكان الذي سيمر منه معظم اللاجئين .

ويسأل الفرنسيون لماذا كل هذا الرعب ؟ ويشيرون إلى وجوب توفقه . إن رأيي هو أن لاشيء كان بوسعه أن يوقفه وعلى هذا يوافق أحد المسؤولين الذي يسأل اللاجئين ، ويتلقى دائماً الإجابات ذاتها .

-إلى أين أنتم ذاهبون ؟

-لا نعرف .

-كيف ستعيشون ؟

-لا نعرف .

-لماذا تخافون ؟

ويجيئون بحر أيديهم أمام حناجرهم ويتحدثون عن تهديدات كمال . وفيما كان ضباط الدول الحليفة يتابعون البارحة طواير اللاجئين وهم يمرون في شوارع أدريانوبول ، حاول الجندرمة اليونانيين إيقاف صف من الجموع البشرية ليتم تجنب الازدحام الشديد .

غير أن الجميع قام بتفريق الجندرمة باللكمات ، قائلين :

من غير الوارد أن ندع كمال يقبض علينا .

هؤلاء اللاجئين الذين أعياهم التعب ، وجرحت أقدامهم ، كانوا يتحملون بصعوبة عبء الحياة ، لم يجوعوا بعد . فلو كانت بطونهم خاوية، لكان طفح كيل آلامهم ، ولكنهم نجوا من الجوع لأنه كان لديهم طعام حيث كان الجيش اليوناني يعطي قطعتين من خبز الجنود لكل عائلة ، ثم من أدريانوبول. لكن المؤونة التي تحملها العربات سوف لن تكفي لمدة طويلة لهؤلاء الأشخاص الذين يسرون نحو المجهول . حيث لا يمكن لتراقيا الغربية أن تحتفظ بهم وأن تطعمهم لمدة أسبوع عندما تنفذ مؤونتهم ، مما يتوجب أن تأخذ إحدى منظمات الرعاية على عاتقها إطعامهم . كما أن آلاف الأغنام والأبقار التي جلبها معهم اللاجئين لا تستطيع أن تربي في هذه البلاد .

وفيما يقترب موسم الأمطار فإن حالة الأرمن واليونانيين الذين غادروا تراقيا والتي هي سيئة اليوم ، ستصبح أسوأ خلال أسبوع . وتم التعبير عن الخوف من أن الآلاف من هؤلاء الذين سيقون على قيد الحياة متجاوزين صعوبات التهجير ، سيموتون من الجوع شتاءً .

هذا وقد غادر جميع اليونانيين والأرمن أدريانوبول والمحلات الوحيدة التي بقيت مفتوحة في المدينة ، هي تلك التي تخص الأتراك واليهود .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة الـ((ديلي تلغراف)) ، بتاريخ ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ . إلى أن الخروج من تراقيا قد أعطى شعوراً بالطمأنينة — فيما يلي مشاهد من أدريانوبول من المراسل غ . ت . ماسي .

أدريانوبول ، السبت ((متأخر)) .

لقد تباطأ على نحو مخيف الهروب عبر نهر أيفرو، لكن هناك دائماً السلسلة ذاتها التي لا تنتهي للاجئين الذين يجتازون المدينة . كما تتواجد كتلة بشرية

في القسم الشرقي من المدينة بانتظار أن تجسد فرصة للعبور ، ولكن خوفهم يتراجع إما بسبب رؤية النهر ، الذي يعتبره اليونانيون بمثابة حاجز فعال ضد الأتراك أو بسبب التعب ، حيث تصبح سرعة الخروج هنا أقل ربما بسبب الإلحاح التام لهؤلاء الذين يشكلون الطواوير المحتشدة صوب أدريانوبول .

هذا وقد غابت اليوم ، المشاهد المؤلمة ، التي كانت تجري أيام الهروب المخيفة السابقة . وربما سادت المغادرة الطوعية بدلاً من الخوف المهيمن .

مما لا شك فيه أن التذكير المستمر لضباط الدول الحليفة بأن لا مبرر للذعر وأنهم يجب أن يهدؤوا كان له نتائجه .

هذا وبملاحظة المعسكرات الواقعة شرق وغرب المدينة ، من غير الممكن ألا يلاحظ الشخص تغير تصرف اللاجئين .

فقبل اجتيازهم طرقات المدينة كان اللاجئين يبدون وهم ينظرون نحو الخلف مذعورين من فكرة إمكانية ظهور أعدائهم الخطرين وأن يضعوهم في هيب ، النار والحديد .

لكنهم ما أن اجتازوا جسري نهر أيفرو ، حتى بدا الارتياح واضحاً على وجوه الجميع ، وارتاحت هذه المخلوقات البشرية بعض الوقت في المخيمات القذرة ، كي يستعيدوا قواهم قليلاً ويتابعوا سيرهم على نحو راسخ .

حيث يتم السير بنظام جدير بالملاحظة ، إذا أخذ المرء بعين الاعتبار الذعر الذي يسود .

لا يوجد سبب للافتراض أن تفريغ تراقيا الشرقية سوف لن يكتمل بسهولة قبل قيام القوات الحليفة بتسليم السلطة إلى الجندرمة التركية .

بالطبع كانت هناك وفيات وستوجد أكثر عندما تضرب المجاعة اللاجئين الذين يصل عددهم إلى ربع مليون . إلى ذلك هناك احتمال لإنتشار الأوبئة

وستكلف المخيمات غير الصحية والمياه القذرة حياة الآلاف أرواحهم قبل حلول فصل الشتاء . وهذا أمر لا يمكن تفاديه .

لم يكن بوسع أحد أن يتوقع عبور جمع كبير إلى هذا الحد عبر تراقيا وأن يقوم بإتخاذ إجراءات التصدي لنتائجها .

هذا وستقوم القوات الفرنسية غداً بحراسة الحى التركي في أدريانوبول ، والذي كان يتم حتى الآن من قبل الجندرمة اليونانية .

وهذا إجراء رصين ويمكن أن يستبق الحوادث،التي يمكن أن تسبب متاعب . وقد تم إرسال لواء خيالة مغربي إلى شمال المدينة في منطقة ، حيث أحدثت الإشاعات حول ظهور مبكر للعصابات ذعراً .

وتسري روايات، بأن القوات الكمالية قامت بالتزول على شواطئ البحر الأسود حيث اتحدت مع العصابات وتقوم القوات بالهجوم على القرويين الذين لم يغادروا منازلهم .

عموماً هذه الإشاعات غير مؤكدة ،غير أنه تم التطرق على نحو رسمي إلى حالات سلب من قبل عصابات لصوص .التي ربما هي مسؤولة عن هذه الأحداث ، التي أشرت إليها في برقيتي قبل يومين ، ولكن الأتراك يصرون على أن المسؤولين عن ذلك هم يونانيون .

من المشكوك فيه أن يكون رجال العصابات مستعدين للظهور وأن يكونوا في موقع القادرين على إحداث خسائر كبيرة ،دون أن يتعرضوا هم أنفسهم لمخاطر كبيرة .فليس بوسع القوات الحليفة أن تتصدى لاعتداءاتهم ،لأن من غير الممكن أن يقوموا بتوزيع قواتهم في كافة أنحاء البلاد ليقوموا بالتصدي لهم .هذا وقد ذهبت اليوم إلى مخفر الحدود البلغارية اورتوكيوز ، في منطقة العصابات .القابع بين تلال قرية ، والذي يقال أنه قاعدة انطلاقهم ، غير أن جنود حراسة الحدود اليونانيين قالوا لي أن الهدوء كان سائداً هنا .وقد

أظهرت الوحدة البلغارية دهشتها عندما أشرنا إلى العصابات ، وكأنهم لم يسمعو البتة بهذا الأسم .

وقالوا لي أنه لم تكن هناك عصابات لصوص في اورتوكيوز وأن ليس بوسع أي واحدة منها أن تمر بالقرب منهم . وقد انتبهتُ إلى وجود خنادق عميقة بالقرب من مخفرهم . حيث لا يتركون شيئاً للصدفة . فهي منطقة يمكن للصوص أن يتحركوا فيها ليلاً دون أن يدركهم أحد ، وأن يقوموا بعملهم المخالف وأن يلحقوا مع غنائمهم إلى التلال قبل بزوغ الفجر . يبدو أنه لهذا السبب ، فيما تزرع الحقول حتى الحدود ، توجد مساحة واسعة غير مأهولة من جهتي الحدود .

تشير الأنباء الواردة في صحيفة الـ ((ديلي تلغراف)) ، بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ .

بخصوص الخروج من تراقيا . إلى أن الهروب يتم بانتظام — وأن المنطقة مقفرة من المراسل غ . ت . ماسي .

إستانبول ، يوم الاثنين ((الساعة ٧،٢٠ بعد الظهر)) .

عندما عدنا هنا على متن السيارة من أدرينابول ، ولدى مرورنا من الطرق الموحلة المقفرة والتي كان قد تدفق منها القسم الأكبر من لاجئي تراقيا الشرقية ، تمكنت من تشكيل صورة حقيقة لتطور عملية خروج اللاجئين .

وكما أشرت في برقيتي من أدرينابول يوم السبت ، فإن طابور الألم والأحزان كان ضئيلاً على نحو كافٍ ، لأن جسور نهر أيفرو قادت قرابة المئتي ألف من هؤلاء إلى تراقيا الغربية، والذين أثبتت أحصيتهم وجواميسهم قدرتها على نقل بضائعهم إلى هناك إلى حيث لا تصل السكين التركية .

غير أن هؤلاء الذين اجتازوا مرحلة الخطر الأولى كانوا الأكثر قوة و الأكثر إعداداً لهذا الخروج المفجع . ولازال العديد من الباقين الذين يجب أن

يفادروا هذا البلد الذي كان بالنسبة لهم أرض الميعاد إلى بلد آخر حيث سينجون فيها من القتل و الاضطهاد غير أن ألم الجوع البطيء ، هو لهم بالمرصاد إلا إذا سدت المساعدة الخارجية بسرعة المخزون المحلي الضئيل الذي هو بحوزتهم .

إلى أسفل الطريق الممتد نحو بابا أسكي كانت سيارتي تسير ببطء عبر حشد لا يمكن وصفه من اللاجئين البؤساء .وعلى مدى ٢٠ ميلاً كان السير يتعثر من جراء حطام العربات ، التي كان الرجال يعملون فيها على نحو محموم على تصليح العجلات وصنع محاور عجالات جديدة باذلين قصارى جهدهم بالرغم من تعبهم ، كي يجعلوا العربات المصنوعة على نحو خشن قادرة على الاستمرار في سيرها .

في نفس الوقت ، كانت النسوة يجلسن بين صرر ثياب وأشياء تثير الشفقة ، يحاولن أن يهدئن من روع أطفالهن ويتوسلن العابرين أن يساعدهن في هروبن.غير أن هؤلاء لم يكونوا موجودين في حالة بائسة بقدر هؤلاء البؤساء الهاربين ، الذين ، كانوا فقدوا عرباتهم ، وكانوا يسرون بمشقة حاملين كل موجوداتهم التي استطاعوا إنقاذها من عرباتهم ، التي تلفت . هذا وقد شاهدت العديد من هؤلاء الرجال والنساء يلقون القسم الأكبر من موجوداتهم كي لا يبطئوا سيرهم نحو هدفهم .

وكي يصلوا هنا قبل ظهور الأتراك في الأفق ، حرموا أنفسهم من النوم أياماً عديدة وتجاهلوا أقدامهم المخروحة و المليئة بالفقاقيع وظهورهم ، التي انخت من ثقل صرر الثياب ، مستمرين في مسيرهم الحزن الصامت .وقد استمر طابور الحزن هذا لأكثر من ٢٠ ميلاً .غير أن هؤلاء الأشخاص كانوا يسيرون برجولة ولم أشاهد ولا حتى رجل قوي واحد يحاول تجاوز جاره

الأقل قوة . كما كان النظام والانضباط الطوعي لهؤلاء الأشخاص الفارين
مثيراً للإعجاب بحق .

كانوا مذعورين ، غير أنهم ما كانوا يندفعون تجاه الذين يعيشون المعاناة ذاتها
وفي مناطق عديدة كانت تبدو قبور كل الذين ماتوا في الطريق ، وقد وضع
أعلاها صليب خشن .

عندما كانوا يمرون من هناك ، كان الجمع ورجال الدين يرفعون أياديهم نحو
السماء بالدعاء أن يكون شاهداً على أحزانهم .
وقد توقف طوفان الفارين فجأة في بابا أسكي وكانت المنطقة مقفرة وخالية
في الخمسين ميل التالية .

كانت البلاد خالية ومقفرة ولم يكن هناك سوى بعض قطعان الأغنام
ورعائهم ، الذين كانوا يحرصون إحدى الطوابير ، التي كانت تسير نحو الغرب
وكانت قد تركتها خلفها .

مغادرة اليونانيين

في لوله بورغاز حيث كان البلغار قد انتصروا على الأتراك ، لم يكن هناك
ولا يوناني واحد عدا القوات الفرنسية ، التي كانت تسيطر على المدينة .
وفي سيري نحو الشرق وبعد ذلك نحو جنوب شرق على طول إحدى أسوأ
طرق العالم ، التقيت آخر لواء يوناني يغادر تراقيا .

وقد سألتني الكولونيل ، الذي كنت قابلته مسبقاً في تشورلو ، ما إذا كان
الفرنسيون موجودين في لوله بورغار .

عندما قلت له أنهم موجودون ، قام مباشرة بتغيير وجهة طابوره ، باقتياده
الدواب ورجاله عبر مناطق لا يمكن اجتيازها إلا بصعوبة ، حتى لا يدرك
جنوده كم كانت كرامته العسكرية تعاني من الأوامر التي تلقاها بالتخلي
عن مواقع ، كان قد تم الإعداد للدفاع عنها .

إلى ذلك فإن مدينة تشورلو ، التي كانت مليئة يوم الثلاثاء باللاجئين. بالرغم من ضئالة المساعدة ، التي قدمتها سلطات سكك الحديد ، كان قد تم تفرغها من كل أولئك ، الذين كانوا يخافون من سقوطهم ضحايا الأتراك القادمين .

في الطريق نحو سيليفري لم ألتق أي شخص حتى أطراف المدينة ، حيث مررت بجانب مجموعة كبيرة من اللاجئين ، الذين كانوا يسيرون نحو الغرب مفضلين التعرض لتعب مسيرة ١٥٠ ميل بدلاً من المخاطرة بانتظار توقف الرياح القوية وهيجان البحر .

بالنسبة هؤلاء كان الوقت يعني الحياة .

كان هؤلاء آخر يونانيين تراقيا الشرقية ، الذين قابلتهم .

لقد تخلوا عن الأرض التي كانوا جعلوها خصبة ومن المحتمل أن مغادرتهم تعني أن هذه الأرض ستصبح ثانية غير صالحة للزراعة كما كانت عندما كان الأتراك الكسالى ، الخاملين يحتلون هذه البلاد

مقتطف من تقرير عن مشافي النساء الأمريكية

كان قد تم في شباط ١٩١٩ ، تزويد تسع طبيبات على نحو مناسب من قبل مشافي النساء الأمريكية بكل ما هو ضروري للقيام بالعمل مع النيرايست ريليف في تركيا وأرمينيا .

هذا وقد بدأت إثنان من هؤلاء ، اللواتي كنا قد قمنا بدفع رواتبهن ، بالعمل الطبي الأمريكي في يريفان تحت ظل جبل آارات . وفي عام ١٩٢٠ كان قد تم وضع كامل الخدمة الطبية الأمريكية لمناطق إيزميت ، وديريتزي وبارديزاغ في آسيا الصغرى ، التي كانت منظمنا قد أخذت على عاتقها القيام بها مع النيرايست ريليف . هذه المنطقة التي أصبحت بسرعة ساحة صراع بين اليونانيين والأتراك .

وعندما قام كمال باحتلال إيزميت عام ١٩٢١ ، كان لدينا هناك مشفى بسعة ٨٠ سريراً كان يقدم العلاج الطبي للمرضى والجرحى بصرف النظر عن قوميتهم . وقد استمر هذا المشفى في العمل على مدى عام تحت الاحتلال التركي . وقد ازداد مع مرور الوقت ، عمل مشافي النساء الأمريكية بالتعاون مع النيرايست ريليف ، حيث أخذنا عام ١٩٢١ على عاتقنا الرعاية الصحية لأيتام منطقة يريفان . وفي أعوام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ كانت مشافي النساء الأمريكية تمول وتدير كامل العمل الطبي في منطقة القوقاز . حيث كان لدينا مشاف عامة للأطفال وأكشاك عزل لحالات حمى التيفوئيد الملاريا ، والأمراض الأخرى السارية ، بالإضافة الى مخيمات لحالات مرض السل ومشافي خاصة لأمراض العيون ، والتي تتضمن أيضاً مشفى بسعة ٢٦٠٠ سرير لمرضى التراخوما في الكساندروبول ((مدينة الأيتام)) .

كما كانت هناك دروس لتعليم الممرضات التي كانت تتابعها ١٨٠ فتاة من سكان المنطقة .

وكانت الحكومة السوفيتية قد قامت في إطار برنامج التعاون العام بتخصيص المباني ، وكانت النيرايست ريليف قد قامت بتأمين كل الأشياء الضرورية فيما كانت مشافي النساء الأمريكية قد قامت بإعداد وتجهيز الكادر الأمريكي والمحلي ، الذي كان يقوم بالعمل .

في اليونان وجزر بحر إيجه

كانت كل خططنا في الشرق الأدنى قد تبدلت فجأة في أيلول عام ١٩٢٢ بعد حرق مدينة إزمير والخروج المفجع لكل الأرمن واليونانيين من الأناضول فقد تم إرسال أكثر من مليون شخص من هؤلاء البؤساء ، نساء وأطفال بصورة خاصة ، إلى اليونان .

وتم تنفيذ القسم الأكبر من العمل الطبي ، الذي جرى من قبل الأمريكان لعلاج هؤلاء اللاجئين ، من قبل مشافي النساء الأمريكية .

وقد قمنا اعتباراً من أيلول عام ١٩٢٢ ، بتخصيص ٣٢ مشفى على الأرض اليونانية ((ومن ضمن هذه المشافي كانت مشافي للأيتام الأرمن ، التي كانت النيرايست ريليف قد جلبتهم إلى اليونان)) .

وعدا عن هذه المشافي فإننا نقوم بتقديم خدمات أخرى ، مثل العيادات العينية ، وتقديم العلاج الطبي لمخيمات اللاجئين وصيدلية مركزية ضخمة في أثينا تقوم كل أقسامنا بالتزود منها بالمواد الطبية .

هذا وقد افتتحنا في كانون الثاني عام ١٩٢٣ مركز الحجر الصحي في جزيرة ماكرونيوسوس . حيث استقبلنا وعالجنا إثنا عشر ألف شخص ، كان العديد منهم مرض بالتيفوئيد والمالاريا .

فيما كانت السفن تقوم بتحميل الشحنة البشرية إلى هذا المركز ، الذي كان مزوداً بخيام ، ومشاف وأشياء أخرى ضرورية لعلاج الآلاف الذين كانوا يعانون من الأمراض السارية .

باستثناء الوقود والماء والنقل ، الذي كانت الحكومة اليونانية تقوم بتأمينه ، فإن العبء الاقتصادي لهذا المركز حتى الأول من آذار كان يقع بأكمله على كاهل مشافي النساء الأمريكية وقد بدأ الصليب الأحمر الأمريكي بعد ذلك التاريخ بإكمال مخصصاتنا من الطعام بإعطاء ألف حريرة لكل فرد يومياً .
نعرض هنا حرفياً الفقرة التالية من التقرير الموجه إلى وزارة الخارجية الأمريكية من لجنة الإشراف على عمل منظمات الرعاية الصحية في اليونان :

((في الصخور السوداء الكائنة في أطراف جزيرة - الحجر الصحي توجد سلسلة متتالية من القبور السطحية، التي دفن فيها ضحايا التيفوئيد والأمراض الأخرى وعلى طول اليونان وعرضها يوجد آلاف اللاجئين البونديين، والذين يعيشون بصحة جيدة اليوم بفضل الجهد الشجاع والمفعم بنكران الذات لهذه المنظمة)) .

هذا وكانت مشافي النساء الأمريكية تدير وتمول كل عمل المشافي الطبي لـ ٢٠ ألف من الأيتام ، الذين تم نقلهم من الأناضول إلى اليونان من قبل النيرايست ريليف حتى الأول من آب عام ١٩٢٣ . وقد تم تقريباً تقديم كل المباني الضرورية من قبل الحكومة اليونانية . كما يتضمن تقرير النيرايست ريليف إلى الكونغرس الأمريكي عام ١٩٢٢ التصريح التالي :

((هكذا فإن العمل الطبي للنيرايست ريليف في اليونان هو تحت إشراف المشافي الأمريكية ، التي تقوم بتقديم الكادر اللازم وتساعد في العمل الطبي الذي يتم تحت إشراف الدكتورة ميمبل إيليوت خلال فترة الكشف السنوي كما تقوم مشافي النساء الأمريكية بإدارة وتمويل العمل الطبي في القوقاز)) .

مشافي النساء الأمريكية

نشاطات جارية عام ١٩٢٤

بسبب انتقال اللاجئين إلى اليونان قمنا بإحداث بعض التغيرات في بعض جوانب عملنا . فقد فتحنا للتو أربع مراكز مستشفيات مع عيادات متحركة لقرى منطقة مقدونيا وتراقيا .

وقد قمنا بتسليم المشافي التي نديرها في ميتيليني وخيوس وإيراكيلو وريثيمو إلى السلطات المحلية . وعدنا عن المواد اللازمة للمشافي التي قمنا بتسليمها للسلطات وافقنا على الاستمرار في تزويد مشافي إيراكيلو وريثيمو لصالح اللاجئين .

التصريح التالي هو التقرير الرسمي للسيد برنارد - ب - سالمون ، المندوب الخاص لوزارة الشؤون الاجتماعية اليونانية .
الأرقام المعطاة دقيقة ، يمكن أخذها ، لكن يجب أن نضع في اعتبارنا أن الجرد الأخير والنهائي للحالة سوف يستغرق أشهراً عديدة وصرف آلاف الدولارات فلا هذه ولا تلك متوفرة من أجل هذا الهدف .

معلومات بخصوص وضع اللاجئين في اليونان

كل المعلومات المتعلقة بعدد اللاجئين تخص الفترة الممتدة حتى الأول من كانون الثاني عام ١٩٢٤ .

إن دراسة المعلومات التالية هي ضرورية لفهم الوضع الراهن في اليونان ووضع اللاجئين .

١- عدد اللاجئين الإجمالي .

وفقاً للمعلومات ، التي قامت الحكومة اليونانية بجمعها ، فإن العدد الإجمالي للاجئين في اليونان في الأول من آذار عام ١٩٢٣ كان ١,١٨٠,٠٠٠ لاجئاً ويشمل هذا العدد بعض اللاجئين الذين وصلوا أعوام ١٩٢٠ و ١٩٢١ ، غير أنهم كانوا لا يزالون يتلقون مساعدة من الحكومة اليونانية . ولا يتضمن هذا العدد آلاف رجال الأعمال والمهنيين من إستانبول ، وإزمير ، إلخ ، والذين عندهم إمكاناتهم الخاصة ولا يعملون فقط أنفسهم وعائلاتهم ، ولكنهم قاموا على نحو مسبق بإقامة منشآت في أثينا ، وبيريا ومختلف مناطق اليونان . ويشير الجدول التالي إلى المناطق التي قدم منها اللاجئون :

٧٣٠,٠٠٠	آسيا الصغرى
١٨٠,٠٠٠	ترافيا الشرقية
٥٠,٠٠٠	إستانبول
١٠٠,٠٠٠	منطقة البحر الأسود
٥٠,٠٠٠ (١٩٢٠)	روسيا
٣٠,٠٠٠ (١٩٢١)	نيكوميديا (إزميت)
١٠,٠٠٠ (١٩٢١)	كيليكيا
١,١٥٠,٠٠٠	المجموع

ملاحظة : كما ذكر أعلاه ، يمكن أن يكون عدد اللاجئين القادمين من إستانبول أكثر بكثير من هذا الذي يشار إليه حيث تشير معلومات المصادر التركية إلى أنه ، تم منذ أيلول عام ١٩٢٢ وحتى آذار عام ١٩٢٣ تأشير ٣٧٨,٠٠٠ جواز سفر يوناني .

والفرق بين هذا العدد والـ ٥٠,٠٠٠ ألف الذي يشار إليه في جدولنا يعود على نحو جزئي إلى العدد الكبير لرجال الأعمال اليونانيين والحرفيين الذين غادروا مع عائلاتهم إستانبول والقرى الموجودة حولها وذهبوا إما إلى

أقربائهم في اليونان أو كان بحوزتهم أموال كافية ، دفعوها وأقاموا في فنادق في اليونان أو أنهم قاموا بشراء منازل خاصة .

حيث لا يمكن اعتبار هؤلاء الأشخاص ((لاجئين)) بالمعنى الذي يستخدم فيه هذا المصطلح ، وعلى الرغم أنهم يملكون في الوقت الراهن وسائل العيش ، فإنهم يجب بالنهاية أن يندمجوا في حياة اليونان الاعتيادية .

ولا يمكن تقدير الرقم الدقيق لهذا الصنف من ((اللاجئين)) ، ولكن من المحتمل أنهم يقاربون الـ ٢٠٠ ألف .

ويستكون باقي الفرق بين العدد الذي تعطيه المصادر اليونانية والتركية من لاجئين من تراقيا والبحر الأسود الخ .

في هذا التقرير يقدر عدد اللاجئين من إستانبول بـ ٥٠ ألف وهو العدد الذي قامت بالتصريح عنه الحكومة اليونانية .

٢- قوميات اللاجئين .

على وجه التقريب وقدر الإمكان فإن عدد اللاجئين الذي يقدر اليوم يعود إلى القوميات التالية :

يوناني	١,٠٤٠,٠٠٠
أرميني	١٠٠,٠٠٠
آشوري	١,٠٠٠
شركي	٩,٠٠٠
المجموع	١,١٥٠,٠٠٠

٣- عدد اللاجئين من أقسام الإمبراطورية التركية الذين لم يأتوا من مناطق احتلها الجيش اليوناني .

في الجدول رقم ٢ يشار إلى أن اللاجئين اليونانيين هو ١,٠٤٠,٠٠٠ ألف . وقد ولد معظم هؤلاء الأشخاص في الإمبراطورية العثمانية .

والأرقام التالية تخص لاجئين قدموا من مناطق في تركيا لم تحتلها أبداً القوات اليونانية ولا يوجد أدنى سبب للشك بأن هؤلاء الأشخاص بتقديمهم المساعدة للجيش اليوناني فإنهم قاموا بنشاطات تستوجب تهجيرهم .

من إستانبول	٥٠,٠٠٠
من البوند	١٠٠,٠٠٠
من آسيا الصغرى ((المناطق الداخلية))	٥٠,٠٠٠
من كيليكيا	١٠,٠٠٠
المجموع	٢١٠,٠٠٠

٤- لاجئون لا زالوا بانتظار نقلهم إلى اليونان .
وفقاً لمعلومات ٢٦ أيار عام ١٩٢٣ كان هناك في موانئ مختلفة لاجئون مذكورون أدناه والذين كانوا ينتظرون نقلهم إلى اليونان .
((هؤلاء اللاجئون موجودون الآن في اليونان)) .

من إستانبول	٢٣,٠٠٠
من موانئ البحر الأسود	٢٠,٠٠٠
من مرسين	٤,٠٠٠
من سوريا	١٧,٠٠٠
مجموع الذين ينتظرون نقلهم .	٦٤,٠٠٠

١٥٠,٠٠٠ مجموع اليونانيين والأرمن الذين ينتظرون في مناطق آسيا الصغرى الداخلية على أهبة الاستعداد للمغادرة إلى الموانئ ما أن يتم نقل هؤلاء الـ ٦٤,٠٠٠ لاجئ .

المجموع ٢١٤,٠٠٠

٥- الوضع الاقتصادي الراهن للاجئين المتواجدين في اليونان .

يبدو الوضع الاقتصادي للاجئين في اليونان من الجداول التالية :

أ- لاجئون معتمدون على أنفسهم

من إستانبول	٥٠,٠٠٠
من آسيا الصغرى	١٠٠,٠٠٠
من تراقيا الشرقية	١٣٠,٠٠٠
مجموع المعتمدين على أنفسهم	٢٨٠,٠٠٠

ب- لاجئون معتمدون على أنفسهم بشكل جزئي

من آسيا الصغرى	١٠٠,٠٠٠
من البحر الأسود	١٠٠,٠٠٠
من تراقيا الشرقية	٥٠,٠٠٠
مجموع المعتمدين على أنفسهم بشكل جزئي .	٢٥٠,٠٠٠
إجمالي عدد اللاجئين .	٦٣٠,٠٠٠

(١) منذ أيار عام ١٩٢٣ ، مات قرابة ٢٥ ألف من هؤلاء أو هاجروا أو اندمجوا في دورة الحياة الاقتصادية لهذا البلد وهكذا سيصل عدد اللاجئين الذين لم يندمجوا ، والذين سيكونون موضع رعاية اللجنة الدولية التي يرأسها السيد هنري مورغنتاو ، قرابة الـ ٦٠ ألف إلى أن يصبحوا معتمدين على أنفسهم .

٦- هذا وتصبح مشكلة اللاجئين صعبة بلا حدود من حقيقة مفادها أن كل الرجال القادرين جسدياً تم احتجازهم من قبل الأتراك في آسيا الصغرى، فيما تم تهجير النساء والأطفال. وتبدو النسب على نحو تقريبي من الجدول التالي :

ذكور:	
دون سن الثانية عشرة	١٤ %
بين الثانية عشرة والإحدى والعشرين سنة	٨ %
فوق سن الحادية والعشرين (مجموع الذكور ٤٠ %)	١٨ %
إناث :	
دون سن الثانية عشرة	١٤ %
بين الثانية عشرة والإحدى والعشرين سنة	١٣ %
فوق سن الحادية والعشرين (مجموع الإناث ٦٠ %)	٣٣ %
مجموع الذكور والإناث	١٠٠ %

٧- لاجئون قدموا إلى اليونان منذ عام ١٩١٢ وحتى عام ١٩٢٠ .
يشير الجدول التالي إلى أن عدد اللاجئين ، الذين قدموا إلى اليونان أثناء حروب البلقان ، وفي الحرب الكبرى والفترة التي تلت هدنة مودروس هو :

من آسيا الصغرى	١٩٠,٠٠٠
من إستانبول	٤٠,٠٠٠
من تراقيا	٢٠٠,٠٠٠
من صربيا ، بلغاريا الخ	١٠,٠٠٠
من مقدونيا	١٥,٠٠٠
من روسيا	٥٠,٠٠٠
من الجزر الإثني عشر	٣٠,٠٠٠
المجموع	٥٣٥,٠٠٠

هذا وعلى الرغم من حقيقة مفادها أن قسماً كبيراً من لاجئي تراقيا الشرقية وآسيا الصغرى كانوا قد عادوا إلى منازلهم بعد هدنة مودروس ، فإن معظم هؤلاء الذين جاؤوا من مناطق أخرى بقوا في اليونان ، ويجب أخذ الجدول المذكور أعلاه بعين الاعتبار في تقدير واجب وقدرة اليونان على التصدي لمشكلة اللاجئين .

وقد استترف اللاجئون الذين قدموا إلى اليونان أثناء الحرب الكبرى جزءاً كبيراً من موارد الحكومة اليونانية الاقتصادية . وكان هروب هؤلاء اللاجئين إلى اليونان يعود بدرجة كبيرة إلى دخول اليونان الحرب الكبرى إلى جانب الحلفاء .

٨- دور الصليب الأحمر الأمريكي في اليونان .

يشير الصليب الأحمر الأمريكي إلى قيامه بإنفاق مصاريف تبلغ ثلاثة ملايين دولار في غضون ثمانية أشهر في الفترة التي يشير فيها التقرير المتعلق بالصليب الأحمر الأمريكي إلى قيامه بإطعام ٨٠٠ ألف لاجئ ، في البداية ، والتي تم إنقاصها تدريجياً إلى ٥٠٠ ألف وكان المعدل الوسطي لكل الفترة هو ٦٠٠ ألف .

((ملاحظة : وفقاً لمعلومات الحكومة اليونانية فإن عدد اللاجئين ، الذين كان الصليب الأحمر الأمريكي يقوم بإطعامهم في الشهرين أو الثلاث أشهر هو ٦٠٠ ألف ، فيما يصل اليوم إلى ٤٧٨ ألف)) .

وعدا فترة الثمانية أشهر التي قام الصليب الأحمر الأمريكي بتغطيتها بعمله في اليونان ، فإنه يعتزم ترك أغذية في اليونان تكفي ستة أسابيع أخرى وهكذا يجب اعتبار إجمالي فترة نشاطها تسعة أشهر ونصف الشهر .

هذا وباعتبار المصروف الإجمالي لـ ٦٠٠ ألف لاجئ على مدى تسعة أشهر ونصف الشهر هو ٣ ملايين دولار ، فإن المعدل الوسطي لمصروف كل لاجئ هو ٥٠ سنتاً في الشهر .

وإذا طرحنا من هذه الكمية نفقات الإدارة ، ونقل الكادر والمواد اللازمة إلى اليونان ، ونفقات ما يلزم إلخ . يصبح واضحاً أن الصليب الأحمر الأمريكي سوف لن يتمكن من إطعام هؤلاء اللاجئين دون التعاون النشط والفعال للحكومة اليونانية والشعب اليوناني .

٩- طريقة توزيع الأغذية من قبل الصليب الأحمر الأمريكي .

لقد قام الصليب الأحمر بتقسيم اليونان الى ١٢ منطقة . ففي كل جزيرة أو مدينة أو قرية حيث يوجد لاجئون تم إيجاد لجنة مشكلة من ممثلي السلطات المحلية ، ورجال الاعمال واللاجئين . وهذه اللجنة هي مسؤولة أمام الصليب الأحمر والحكومة اليونانية . وسيتم تسليم كل المخزون الى أحد أعضاء اللجنة . حيث تم تعيين موظف في كل لجنة ، من قبل الصليب الأحمر ، يتقاضى مرتباً لكن يتم الدفع له من قبل الحكومة اليونانية . ويحصل كل لاجئ من قبل الصليب الأحمر على طعام قدره ١,٠٠٠ حريرة في اليوم . أما الاطفال الرضع والامهات والمرضعات فيحصلن على علبتي حليب كل أسبوع .

١٠- التعاون بين الحكومة اليونانية والصليب الأحمر .

من غير الممكن تقدير مساهمة الحكومة اليونانية بالدولار ، لأنه ليس هناك معلومات متعلقة بذلك .

على كل حال من الواضح إن نفقاتها يجب أن تكون كبيرة . كما إن مساهمة الحكومة اليونانية صيغت بالتفصيل على النحو التالي :

١- إعفاء جميع السفن التي تنقل مؤونة الصليب الأحمر من كافة رسوم الموانئ والضرائب .

٢- الإعفاء من كافة الرسوم الجمركية

((ملاحظة :يأتي هذا على النقيض من موقف الحكومة التركية في إستانبول التي تتقاضى كامل الضريبة عن المؤونة المرسلة من قبل النيرايست ريليف)) .

٣- يتم نقل كل المؤن من السفن إلى مستودعات الصليب الأحمر ومن المستودعات الى مناطق الاستهلاك على نفقة الحكومة .

٤- يتم طحن القمح على نفقة الحكومة .

٥- يتم خبز الخبز على نفقة الحكومة .

٦- يمنح كافة مسؤولي الصليب الأحمر النقل المجاني في كل سفن ،وقطارات وباصات اليونان .

٧- يتم إرسال برقيات وإرساليات الصليب الأحمر الأمريكي من قبل الحكومة اليونانية وعلى نفقتها .

٨- يتم تقديم كافة المكاتب ، والمستودعات ، ومبان المشافي إلخ مجاناً من قبل الحكومة اليونانية ويتم الشيء ذاته بالنسبة لمنازل العاملين في حقل الرعاية الصحية .هذا وكانت الحكومة اليونانية قد قامت في أغلب الحالات بتجهيز وفرش المكاتب ومنازل مسؤولي الصليب الأحمر .

٩- تتحمل الحكومة اليونانية مصاريف الإنارة والتدفئة .

١٠- تقوم الحكومة بتقديم سيارات لانتقالات مسؤولي الصليب الأحمر .

١١- كان لدى العديد من مسؤولي الصليب الأحمر من ذوي المراتب العليا مساعدين ،كانت مرتباقيهم تدفع من قبل الحكومة وكان يتم انتداب موظف خاص في كل لجنة محلية ، يتم إختياره من قبل الصليب الأحمر ، ولكن كان الدفع له يتم من قبل الحكومة .

١٢- كانت الحكومة تقوم بتزويد الفحم، والخشب والماء اللازم لطهي أطعمة اللاجئين .

١١- عمل الحكومة اليونانية المستقل عن الصليب الأحمر .
عدا كل هذه المصاريف ، التي كانت قد أخذتها على عاتقها والتي تمت الإشارة إليها في مكان آخر في هذا التقرير ، فإن الحكومة اليونانية قامت بتخصيص المبالغ التالية :

١- مساعدة مالية عاجلة ، بالإضافة الى القيام بتدابير صحية، وأطعمة وملابس بقيمة (١٣٠) مليون دراهمة .

٢- نقل اللاجئين الى اليونان وتنقلاتهم داخل اليونان بقيمة (١٥٠) مليون دراهمة .

٣- تأجير مبان من كل الأنواع من أجل إيواء اللاجئين بقيمة (٢٥٠) مليون دراهمة .

إجمالي النفقات للأنواع المذكورة أعلاه هو (٥٣٠) مليون دراهمة .

١٢- عمل الحكومة اليونانية بالتعاون مع النيرايست ريليف .
كانت النيرايست قد قامت بنقل قرابة الـ ١٥,٠٠٠ ألف من الأيتام اليونانيين والأرمن من آسيا الصغرى وإستانبول إلى اليونان وقد تعاونت معها الحكومة اليونانية من أجل تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية وفق الطرق التالية :

١- قامت مجاناً بتقديم مبان لإيواء الأيتام .
٢- تنازلت عن كل رسوم الموانئ ، والمنارات الخ ، من السفن التي قامت بنقل مؤن النيرايست ريليف .

كما تنازلت عن الرسوم الجمركية ، وقامت بتكريس التنقل المجاني بالسفن والقطارات والسيارات لكافة مسؤولي وموظفي النيرايست ريليف وأخذت على عاتقها إرسال برقياتهم ورسائلهم مجاناً .

٣- تتم كل تنقلات أيتام النيرايست ريليف داخل اليونان على نفقة الحكومة اليونانية ، ومن أجل هذا الهدف قامت بوضع سفينتين بخاريتين تحت تصرف المنظمة .

١٣- عمل المنظمات الأخرى في اليونان* :

من الصعب التطرق إلى العلاقة فيما بين مختلف المنظمات ، التي ساهمت في عمل الرعاية الصحية والاجتماعية للاجئين اليونان لأنه لا توجد معلومات كاملة .

على كل حال نضيف هنا موجزاً سريعاً حول المعلومات التي بحوزتنا .

*وفق المعلومات الرسمية الصادرة من اليونان قامت منظمات الرعاية الأجنبية بمغادرة اليونان بعد مغادرة الصليب الأحمر الأمريكي في صيف عام ١٩٢٣. وقد شكلت لجنة الرعاية البريطانية استثناءً ، حيث لا زالت مستمرة وفق معلومات الأول من كانون الثاني في عام ١٩٢٤ في إعطاء وجبة طعام يومية لأربعين ألف امرأة وطفل مغتربة هكذا سُبغ حاجات الموجودين . فضلاً عن قيام الدول الإسكندنافية بجزء من هذا العمل بدرجة أقل .

أخوية الشبان المسيحيين

لقد تم عمل أخوية الشبان المسيحيين المستقل بصورة رئيسية في بداية الدمار عندما قام الكادر المحلي للأخوية في إزمير ، وأثينا وسالونيك بلعب دور هام في عمل الرعاية الصحية الاجتماعية إلى أن تولت هذا العمل منظمات الرعاية النظامية . وقد لعب كادر أخوية الشبان المسيحيين دوراً فعالاً في هذا العمل . وتظهر أخوية الشبان المسيحيين اليوم ، اهتماماً بمختلف التلاميذ القادمين من آسيا الصغرى ، وتساعدهم على الاستمرار في دراستهم .

أخوية الشابات المسيحيات

بدأت هذه الأخوية العمل في اليونان في آذار عام ١٩٢٣ وتملك اليوم :

- ١-مدرسة داخلية تضم قرابة ٦٠ فتاة .
- ٢-مكتب تشغيل .
- ٣-قسم تعليم يتم فيه تدريس الإنكليزية ، واليونانية ، والاختزال والضرب على الآلة الكاتبة .
- ٤-عيادة صغيرة .

مكتب الهجرة الدولي

بدأت هذه المنظمة عملها في اليونان في كانون الثاني عام ١٩٢٣ وتهدف إلى مساعدة الفتيات والنساء على السفر من اليونان إلى دول أخرى .

لجنة الرعاية الأمريكية لمعهد إزمير

بدأت هذه اللجنة نشاطها مباشرة بعد حرق مدينة إزمير .

- ١- قامت بتزويد ١٠٠ لاجئ بالطعام في بيريا .

٢- قامت برعاية دور حضانة في أثينا وبيريا حتى تولي الصليب الأحمر القيام بذلك .

٣- قامت بمنح قروض تتراوح بين ٢٠٠-٢٠٠٠ دراهمة لـ ١٥٠ لاجئاً بهدف مساعدة اللاجئين حتى يصبحوا معتمدين على أنفسهم .

٤- قامت بمنح قروض لـ ١٥٠ لاجئاً كي يبنوا منازل في ذورغوتي وكوكينيا

٥- قامت بتنظيم مكتب تشغيل عمل للفتيات والنساء ، تم تسليمها لاحقاً لأخوية الشابات المسيحيات وساعدت أخوية الشابات المسيحيات في إنشاء مدرسة داخلية للفتيات .

٦- قامت بتأمين نوادٍ للأطفال والفتيات في كوكينيا و ذورغوتي وإنشاء مدارس لـ ٦٠٠ تلميذ حيث يقوم على تدريسهم ١١ مدرساً من اللاجئين.

٧- قامت بتوزيع ملابس ، وبطانيات وأعطت مساعدة مالية نقداً .

٨- قامت بفتح مشغل يعمل فيه ٧٠ فتاة ، تعطي لهم وجبة طعام كل مساء.

مشافي النساء الأمريكية

قامت هذه المنظمة بإنشاء مركز حجر صحي في ماكرونيسو كان يقوم على خدمة ٢٥ ألف لاجيء في غضون أربعة أشهر .

وقد قام الصليب الأحمر الأمريكي بتقديم المؤن المطلوبة ، فيما قامت الحكومة اليونانية بتقديم الماء ، والخشب والفحم كما قامت بتخصيص سفينتين بخاريتين لحاجات المركز .

وعدا عن هذا ، فقد ساهمت مشافي النساء الأمريكية بالوسائل التالية :

١- قامت بإنشاء مشافٍ في كل دور الأيتام العائدة للنيرايست ريليف ، تبلغ سعتها الإجمالية ١,٥٠٠ سرير .

٢- قامت بإنشاء مشافٍ في بيريا وكوكينيا ، و ذورغوتي و فاليرو وسوتيريا بالإضافة إلى ليسفو ، و خيوس و كريت و دار توليد في ((سالونيك)) وفي جزيرة ثاسو ((المرضى السل)).

٣- قامت بتجهيز مواد مشافي لـ ١٥٠ سرير موجودة في أثينا و بيريا .
وقد قدمت الحكومة اليونانية لهذه المنظمة التسهيلات ذاتها التي قدمها الصليب الأحمر الأمريكي والنيريسست ريليف .

الصليب الأحمر الدولي

قام الصليب الأحمر الدولي بإقامة ورعاية خمس مشافٍ للاجئين في أثينا و بيريا بكلفة قدرها ١٦٠ ألف دراخمة في الشهر .

كما قامت بتلقي وتقديم الهبات ، التي قدّمت من قبل آخرين ، وعدا عن الصليب الأحمر الأمريكي والبريطاني. قام الصليب الأحمر أيضاً بالإشراف على توزيع الأغذية على ١,٥٠٠ لاجيء كان الصليب الأحمر السويدي قد أرسلها وعلى ١,٤٠٠ لاجيء كانت قد أرسلتها اللجنة الهولندية .
كما أهتمت بعملية إيجاد العسكريين والمدنيين ، الذين كانت تركيا تحتجزهم كأسرى ، وقامت بإرسال نقود ، ورسائل لهؤلاء الخ .

عصبة الأمم

اهتمت لجنة عصبة الأمم بالتدابير الصحية : وقامت بالإشراف على التلقيح وفرضه . وخصصت بعض المئون والأموال وقامت برعاية مخيمات للاجئين في تراقيا .

القسم البريطاني لمؤسسة (انقذوا الأطفال)

تملك هذه المنظمة مخيمات للاجئين في أثينا، بيريا، أينا، إيذرا، فولوس، لاريسا، تريكالاباترا حيث كان يتم منذ أيلول وحتى أيار إطعام ٢٠ ألف بالغ و١٥ ألف طفل ومنذ الأول من أيار ١٥ ألف بالغ و٧ آلاف طفل. كانت مصاريف هذه المنظمة تبلغ قرابة الـ ٧٠ ألف دراهمة يومياً.

وقد قامت المنظمة بإنشاء خمسة مشاغل للنساء والأطفال والإشراف عليها وقامت بتخصيص كميات كبيرة من الملابس والبطانيات وثلاثة آلاف صندوق حليب مكثف.

هذا وإن لدى مؤسسة ((انقذوا الأطفال)) التسهيلات ذاتها الممنوحة من قبل الحكومة اليونانية للمنظمات الأمريكية.

لجنة الرعاية البريطانية

قامت لجنة الرعاية البريطانية بإنفاق أكثر من مليون دراهمة منذ أيلول عام ١٩٢٢ وقد بلغت النفقات الشهرية حتى هذه اللحظة ٢١٠ آلاف دراهمة. تقوم بالاهتمام بـ ٣,١٠٠ لاجئ في مخيم سترينكي بالقرب من فاليرو وبـ ٨٠٠ لاجئ في مخيم سينغرو.

هذا وقد قامت اللجنة بتخصيص كميات كبيرة من الملابس، والملابس الداخلية، والأحذية، والحليب المكثف والأدوية (كانت الأخيرة بقيمة ٥٠ ألف جنيه إسترليني)، تم إرسالها على متن قطار خاص من أربعة عشر عربة إلى اليونان مباشرة.

قامت الحكومة اليونانية بشراء العربات ومحرك هذا القطار من اللجنة، التي استخدمت المداخل الناجمة عن عملية البيع من أجل عمل الرعاية الصحية والاجتماعية.

أُضِفَ إلى أن لجان بريطانية مختلفة تعمل في فولوس ، وسالونيك ، وباترا وكيركيرا ، وزاكينثوس ، غير أنه لا توجد تفصيلات عن عملها .

الصليب الأحمر البريطاني

بدأ الصليب الأحمر البريطاني عمله في آذار ومن المنتظر أن يتوقف في ٣١ تموز عام ١٩٢٣ .

هذا وقد قام الصليب الأحمر البريطاني بتقديم خدماته الطبية للاجئين الذين كانت تقوم على رعايتهم لجنة الرعاية البريطانية حيث قامت ببناء مشفى بسعة ١٢٠ سرير في ذراما .

كما تدير أيضاً مستودع أدوية كبير في بيريا لتوزيع الأدوية على اللاجئين وقامت بتزويد وزارة الرعاية الاجتماعية اليونانية بـ ١,٠٠٠ كغ من دواء الكينين .

وقد قامت الحكومة اليونانية بتخصيص مبان لمستودعات هذه المنظمة بالإضافة إلى ٤٠ ألف دراهمة لبناء مشفى في ذراما .

اللجنة السويدية

بدأ عمل هذه اللجنة في تشرين الأول عام ١٩٢٢ وتمت برمجة الأمور على أن تتوقف في ١٥ حزيران عام ١٩٢٣ .

هذا وقد اهتمت اللجنة بـ ١,٥٠٠ لاجئ في أثينا وبيريا ، حيث قامت بتزويد اللاجئين بالأغذية ، والمؤون والرعاية الطبية والاجتماعية عموماً .

اللجنة السويسرية

تقوم هذه اللجنة بالاهتمام بـ ٢٠٠ يتيم في الكلية الحربية وقد قامت بتخصيص بطانيات ، وأحذية، وأدوية، وأطعمة وثياب، تم جمعها في سويسرا .

اللجنة البلجيكية

قامت الحكومة البلجيكية بإرسال ٢,٠٠٠ خيمة وعدد كبير من أغذية الأسرة إلى اللجنة لتقوم بتوزيعها .
بالإضافة إلى أموال كافية للاجئين كان قد تم إرسالها من قبل اللجنة المركزية في بروكسل .

اللجنة الهولندية

بدأت اللجنة الهولندية عملها في تشرين الأول عام ١٩٢٢ واستمرت فيه حتى شباط عام ١٩٢٣ ، حيث أعطت اللاجئين حليب مكثف وأغذية أسرة كما تقوم بإدارة دار أيتام في بوليفونو .

اللجنة الباباوية

بدأت هذه اللجنة عملها في أيلول عام ١٩٢٢ وتقوم برعاية مخيم يحوي ألف لاجئ في كاستيلا .

لجنة متبرعي عموم اليونان

تم إنشاء هذه اللجنة لتقوم بجمع الأموال وتخصيص الأموال التي يقدمها اليونانيون في اليونان والدول الأجنبية . وقد قامت بجمع المبالغ التالية :

جنيه استرليني

٤,١٩٨,١٦

دولار	٣,٣٠٠
لير إيطالي	٤٤,٦٨٤
دينار	١٠,٠٠٠
فرنك فرنسي	١٨٧,٠٠٠
مارك	٣٤,٠٠٠
فرنك بلجيكي	٢,٧٦٩

هذا وقد قامت الحكومة اليونانية بمنح اللجنة ٨ ملايين دراخمة .

وقد قامت اللجنة بتخصيص الأموال التي جمعتها لشراء مواد بناء وأطعمة ، وملابس ، وأدوية ، وأغطية أسرة ، وخيام وأسرة ، وحليب مكثف الخ. وقد حل محل هذه اللجنة : صندوق مساعدة اللاجئين .

قام ((صندوق المساعدة)) بجمع المبالغ التالية من يونانيي الداخل والخارج :

دراخمة من يونانيي اليونان :	١,٦٤٣,٢٣٤
دراخمة من يونانيي الدول الأجنبية :	١١٠,٩٦١
جنيه استرليني	٥,٦٩٦,١٤٢
دولار	٣,٥٩٦,٢٦
ليرة تركية	١٠,٠٩٥
فرنك فرنسي	٢٧,٩٣٣
فرنك بلجيكي	٢٧,٠٠٠
فرنك سويسري	٣,١١٨
بيزو ((اسباني))	١٥٧

كما تم منح مساعدة مالية من قبل الحكومة اليونانية مقدارها ١٩,٤٠٠,٠٠٠ دراخمة . وقد تم إنفاق الأموال التي تلقتها المنظمة لشراء الأطعمة ، والمؤن ،

والثياب ، والتدابير الصحية ، لتخليص اللاجئين من القمل ومن أجل إنشاء أكواخ صفيح ومنازل دائمة في بانغراتي .
ويستحق هذا العمل الأخير الثناء بصورة خاصة لأن المنازل ، التي تم إشادتها أو هي قيد الإنشاء تتوافق بصورة تامة مع ضرورات الحالة .

منظمات أخرى

هناك العديد من المنظمات الأخرى ، التي تعمل في كافة مناطق اليونان ، أما النشطة من بينها بصورة خاصة فهي الاتحاد الوطني . ولا توجد معلومات تفصيلية عن عمل هذه المنظمات ، ولكن من المؤكد أنها قامت بإنفاق الكثير من ملايين الدراخمت .

جدول النشاطات الجارية

اليونان

مشفى في سالونيك مع شعب وعيادات خارجية .
مشفى في بيريا مع شعب وعيادات خارجية .
مشفى في كوكينيا مع شعب وعيادات خارجية .
مشفى في ذورغوتي .
مشفى في دوموزدامي .
مشفى في ليباسماتا .
مشفى في بوذاراديس مع شعبة عينية .
مشفى في ايراكليو ورثيمنو ((تم تسليمها حديثاً للسلطات المحلية مع كافة الضروريات لأشهر عديدة)) .

كما تم في مقدونيا وتراقيا الغربية : إنشاء مراكز لأربع مشافٍ مع عيادات متحركة ((بسيارة)) لتقديم الخدمات الصحية في القرى المجاورة والمخيمات .

ما هو متعلق بمجلس اللجان الأمريكية التابعة لمؤسسات البعثات

التبشيرية الخارجية التعليمية كما كانت عام ١٩١٤

((تم إعداد هذا الجدول لوزارة الخارجية من قبل مجلس اللجان الأمريكية للبعثات التبشيرية الخارجية)) .

إستا نبول :

١- إعدادية فيثينياس : التي تم نقلها من بارديزاغ عام ١٩٢١ .

٢- معهد أمريكي للبنات : تم نقله من أضا بازاره عام ١٩٢٢ وإغلاقه في نفس العام .

٣- معهد كيديك باشا المختلط : معهد لغة أنشئ عام ١٩٢٠ .

٤- معهد لاهوت : أنشئ عام ١٩٢٢ .

إزمير :

١- معهد دولي : أغلقته الحكومة عام ١٩٢٢ .

٢- معهد بنات : تم تدميره في حريق عام ١٩٢٢ .

٣- معهد تركي للبنات : تم إنشائه عام ١٩٢١ . وإغلاقه في عام ١٩٢٢ .
بورصة :

مدرسة بنات داخلية : تم إغلاقها أثناء الحرب وأعيد فتحها أثناء فترة الحكم اليوناني وتم إغلاقها عام ١٩٢٢ لدى عودة الأتراك للسلطة .

بارديزاغ :

إعدادية فيثينياس : تم نقلها إلى إستا نبول عام ١٩٢١ وتعرضت منشآتها السكنية للتدمير .

أضا بازاره :

مدرسة بنات داخلية تم نقلها إلى إيزميت ((نيكوميديا)) عام ١٩٢٠ وإلى إستا نبول عام ١٩٢٢ .

ميرزيفون:

١-معهد الأناضول :تم إغلاقه عام ١٩١٧ وأعيد فتحه عام ١٩١٩ وأغلقتة الحكومة عام ١٩٢١ .

٢-معهد لاهوت : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٣-معهد الأناضول للبنات : تم إغلاقه عام ١٩١٧ وأعيد فتحه عام ١٩١٩ وأغلقتة الحكومة عام ١٩٢١ .

٤-معهد كينغ للطرشان .

٥-معهد تعليم الممرضات : تم إغلاقه عام ١٩١٧ .

سيواس:

١-معهد سيواس ((مختلط)) : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٢-مدرسة البنات الداخلية : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

تالاس :

١-مدرسة الذكور الداخلية : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

٢-مدرسة البنات الداخلية : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

عنتاب :

١-المعهد المركزي التركي ((للذكور)) : تم إغلاقه عدة مرات خلال الفترة

المتدة من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٢٢ .

٢-معهد لاهوت للبنات : تم إغلاقه عدة مرات من عام ١٩١٥ وحتى عام

١٩٢٢ . وقد تم إنشاء قسم تابع له عام ١٩٢١ في حلب .

مرعش :

١-المعهد المركزي التركي ((للبنات)) : تم إغلاقه أثناء فترة الحرب ، وأعيد

فتحه عام ١٩١٩ ، وبموجب المعلومات الأخيرة لازال فيه بضعة طالبات.

٢-معهد لاهوت : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٣-أكاديمية الذكور : تم إغلاقها أثناء فترة الحرب .

طرسوس :

معهد القديس بولص للذكور : تم إغلاقه أثناء فترة الحرب وأعيد فتحه عام

١٩١٩ وأغلق عام ١٩٢٢ .

أضنة :

١-مدرسة بنات داخلية : تم إغلاقها عام ١٩١٥ وأعيد فتحها عام ١٩١٩

٢-معهد تعليم المرضات : ربما لا يزال يعمل .

هاجن :

١-إعدادية الذكور : تم إغلاقه عام ١٩١٤ .

٢-إعدادية البنات : تم إغلاقه عام ١٩١٤ .

أورفة :

١-معهد المكفوفين : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٢-معهد صناعي : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

خربوط :

١-معهد الفرات ((مختلط)) : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٢-معهد لاهوت : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٣-معهد أطفال : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

٤-معهد تعليم المرضات : تم إغلاقه عام ١٩١٥ .

فان :

١-معهد الذكور : تم إغلاقه عام ١٩١٥ . كما تم تدمير مبانيه بالكامل عام ١٩١٦ .

٢-إعدادية الذكور : تم إغلاقها عام ١٩١٥ . كما تم تدمير مبانيه بالكامل عام ١٩١٦ .

٣-إعدادية البنات : تم إغلاقها عام ١٩١٥ . كما تم تدمير مبانيه بالكامل عام ١٩١٦ .

أرضروم :

١-إعدادية الذكور : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

٢-إعدادية البنات : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

بتليس :

١-إعدادية الذكور : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

٢-إعدادية البنات : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

ماردين :

١-معهد لاهوت : تم إغلاقه عام ١٩١٥ وقد تم آنذاك تهجير مدير المدرسة السيد أندراوس .

٢-إعدادية الذكور : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

٣-إعدادية البنات : تم إغلاقها عام ١٩١٥ .

معلومات الدكتور جميس .ل. بارتون

تم تجميع المعلومات التالية لاستخدامها الرسمي من قبل الدكتور جميس .ل. بارتون ، رئيس المجلس الأمريكي للجان البعثات التبشيرية الخارجية . هذا وقد استخدم الدكتور بارتون هذه الإحصائية في مؤتمر السلم المنعقد في كانون الثاني عام ١٩١٩ .

تركيا

((عدا سورية وبلاد ما بين النهرين والحجاز))

التقرير الاقتصادي للبعثات التبشيرية البروتستانتية .

إجمالي الموارد السنوية من مجالس الولايات المتحدة الأمريكية أموال منقولة ٣٠٥ آلاف دولار وأموال غير منقولة ٣,٦٥٣,٢١٩ دولار بالتفصيل :

مباني البعثات التبشيرية	٤٨٥,٠٠٠	دولار
كنائس	٤٣٩,٠٠٠	دولار
مؤسسات تعليمية	٦٣٨,٢٤٣	دولار
كتب	٣,٩٧٦	دولار
مواد طبية	٧٥,٥٠٠	دولار
مواد إنسانية	١١,٠٠٠	دولار
ممتلكات زراعية	٥٩٩,٦٠٠	دولار

الإمبراطورية التركية وقبرص إحصائية البعثات التبشيرية

البروتستانتية

١- كادر أجنبي	أمريكان	بريطانيين	ألمان
- رجال دين تم سيامتهم	٥٠	١١	٢
- رجال دين لم يتم سيامتهم	٧١	٥	٥

٦	٨	٦١	- نساء متزوجات
٦٥	٢٠	١٥٤	- نساء عازبات

هذا ويتضمن الجدول المذكور أعلاه إجمالي الكادر الأجنبي . والذين يوجد بينهم الأطباء التاليون :

ألمان	بريطانيين	أمريكان	
١	٥	١٤	أطباء
—	٢	٤	طبيبات
١٩٧	٥٩	١,٣١٣	٢-الكادر المحلي
٦	—	٨٦	-رجال دين تم سيامتهم
—	١٩	٢١١	- رجال دين لم يتم سيامتهم
—	٣٦	١١٤	- نساء
٣-كنائس			
—	٢٣	١٤,٢٠٤	رجال خدمة اجتماعية
مسيحيون آخرون			
٧٩١	—	—	معمدون (بالغين و أطفال)
—	—	٥٠,٩٠٠	متنصرون يتلقون التعليم
الديني قبل المعمودية			
٤-التعليم :			
إجمالي متعلمي كافة			
المستويات الدراسية			
(لايشمل هؤلاء تلاميذ			
مدارس المتنصرين الذين			
يتلقون التعليم الديني			

قبل المعمودية (.

ألمان	بريطانيين	أمريكان	
٧	١	١١	-رياض أطفال
٣٠٠	٨٦	٤٥٣	- تلاميذ رياض الأطفال
١٨	٧	٣٣٧	- مدارس المرحلة الابتدائية
١,١٦٨	٧٤٠	١٨,٥٧٨	- تلاميذ المرحلة الابتدائية
١	٥	٢٨	مدارس المرحلة الإعدادية
			والثانوية
١٧٤	١,٣٦٤	٣,٦٨٦	طلاب المرحلة الإعدادية
			والثانوية
—	—	١١	معاهد
—	—	١,١١١	طلاب المعاهد

٦ (آ) — ٢ (ب) ارس فنية

ثلاث معهد لاهوت — معهدين صناعيين ودار معلمين واحد .

—معهد لاهوت ومعهد تعليم الممرضات .

١ - عمل طبي أمريكي بريطاني ألماني

١١ ٢ ٢ - مشافي

١٢ ٤ ٢ - مشافي مدن كبيرة

١٤٣,٣١٠ ٣٢,٢٦٥ ٦,٥٧٧ مجموع المرضى الذين

قوا العلاج

- تبرعات

٤٢١ دولار تبرعات محلية

للعمل الكنسي

نص قرض الدول العظمى الثلاث عام ١٩١٨

قام المندوبون الاقتصاديون للولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا العظمى وفرنسا كنتيجة لقرار المجلس الحربي الأعلى في الأول من كانون الأول عام ١٩١٧ بإقرار الاتفاقية مع الحكومة اليونانية ((توقيع مندوب الولايات المتحدة الأمريكية هو قيد الإقرار)) :

البند الأول- وافقت حكومات كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا وبريطانيا العظمى على دفع نقود للحكومة اليونانية بمبالغ متساوية للعام ١٩١٨ ، إلى درجة تكسب الأخيرة من تحقيق الاعتمادات الضرورية في البلاد من أجل :

- ١- تسوية الديون المتأخرة .
 - ٢- نفقات الجيش والبحرية اليونانية ، التي ستتم زيادة مقدارها عام ١٩١٨ وفقاً للتعديلات العسكرية. وتشمل النفقات المذكورة أعلاه ، نفقات سلاح البحرية . التي ستتم في اليونان وتعلق بالمواضيع التالية :
 - ١- دفع تعويضات للجيش .
 - ٢- دفع مساعدات مالية عاجلة للعائلات التي تم تفريقها .
 - ٣- استخدام ديناميكية الاقتصاد المحلية .
 - ٤- شراء مواشٍ وسيارات من البلد .
 - ٥- النقل البحري وعبر سكك الحديد .
- هذا ويجب أن تصل الدفعات المالية المذكورة أعلاه مبلغاً قدره ٧٥ مليون فرنك متضمنة مبلغ ٥٠ مليون التي تم الاتفاق عليها بتسوية ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩١٧ .

البند الثاني- ينبغي منح هذه الدفعات للحكومة اليونانية طبقاً لحاجاتها من وقت لآخر بعد طلبها ذلك وبعد الاتفاق على ذلك من قبل لجنة الحلفاء الاقتصادية ، التي سيتم تشكيلها في أثينا .
وسيشترك في هذه اللجنة مندوبو الولايات المتحدة الأمريكية،فرنسا،بريطانيا العظمى واليونان .

وسيتم الإشراف على استخدام هذه الاعتمادات المذكورة أعلاه من قبل اللجنة التي أسلفنا ذكرها فيما يخص الديون المتأخرة ومن قبل لجنة مماثلة مكونة من لجنة عسكرية للدول الحليفة ، والتي ستجتمع في أثينا لإبداء رأيها باللجنة الاقتصادية قبل منح الاعتمادات التي سيتم التزود بها من أجل تنظيم وإدارة شؤون الجيش والبحرية

البند الثالث- ستشكل هذه المنح بالدولارات ، والفرنكات والجنيهات الأسترلينية ضماناً لمبلغ مساوٍ من أموال البنك الوطني اليوناني وستكون موضوعة تحت التصرف أثناء الحرب عبر كمبيالات للدول الدائنة .
في حال هبوط ميزان الخزينة اليونانيةوالبنك الوطني اليوناني إلى أقل من ١٠٠ مليون فرنك وبعد مرور ستة أشهر على عقد اتفاقية سلام فإن باقي هذا المبلغ سيكون جاهزاً دون قيود الفقرة الأولى .

البند الرابع- سيشكل منح هذه المبالغ المذكورة التزامات مماثلة تجاه حكومة اليونان وسترد كل دفعة من يوم دفعها بفائدة مع فائدة مركبة سيتم اتخاذ قرار بشأنها على نحو مشترك مع كل واحدة من الحكومات المعنية، إلا في حال قيام الحكومة اليونانية استخدام حقها في بدء دفع الأقساط مقدماً ، والتي سيتم سدادها خلال خمسة عشر عاماً بعد عقد اتفاقية سلام .

ولن يكون بوسع الحكومة اليونانية استلاف قرض خارجي حتى سداد
الالتزامات المذكورة أعلاه ، دون التفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية
وفرنسا وبريطانيا العظمى .

البند الخامس-تعهد الحكومة اليونانية،آخذة بعين الاعتبار هذا القرض الذي
يمنح لها ، أن تتخذ مباشرة التدابير الضرورية كي تمنع في المستقبل إرسال
حوالات إلى اليونان من دول أجنبية ، إلا إذا كان المقصود استخدامها
لضرورات شرعية ، سيتم التحقق منها من الوثائق المتعلقة بذلك .

تم إعدادها في باريس عام ١٩١٨ على أربعة نسخ .

تمت قراءتها والمصادقة عليها من قبل : آ. بونارلو

آل. كلوتز

قيد الإقرار من قبل أوسكار - ت . كروسي

يناذيوس

هذا وقت تمت المصادقة على هذه الاتفاقية من قبل حكومة الولايات المتحدة
الأمريكية بعد التحفظ التالي :

سيكون بالإمكان سداد الديون المستحقة على الحكومة الأمريكية في فترة
زمنية يجب ألا تتجاوز الحدود التي تضعها أنظمة الولايات المتحدة
الأمريكية وعلى كل حال يجب أن لا تكون أكثر من ١٥ سنة بعد توقف
العمليات العسكرية

أوسكار . ب. كروسي

١٣ شباط عام ١٩١٨

البعثة اليونانية الملكية

شارع أونكيست فاكيري ، ١٧ باريس .

٢٩ أيار عام ١٩١٩ .

عزيزي الرئيس :

بسبب بعض الإشاعات الخاطئة، التي تم ترويجها عن عمد بخصوص الأحداث التي تلت نزول القوات اليونانية في إزمير ، أعتبر أن من واجبي أن أعطي الموجز التالي للتقارير الرسمية التي تلقيتها من قائد قوات الاحتلال ومن المندوب السامي اليوناني في إزمير :

وفقاً لما قرره المجلس الأعلى للدول العظمى كان نزول القوات اليونانية قد بدأ يوم الخميس الموافق ١٥ أيار . حيث تم إحتلال أقسام المدينة المختلفة دون أية حوادث تذكر ، في أجواء حماس منقطع النظير من قبل السكان اليونانيين .

غير أنه تم استقبال طابور القوات اليونانية لدى وصولها إلى الحي التركي برشقات البنادق الصادرة عن المعسكرات ، ودار الحكومة والمنازل التركية المجاورة . وقد قام الجنود بالرد مباشرة على مصادر النيران وتلا ذلك معركة، استغرقت ساعة من الوقت .

وقد جرح أثناء تلك الأحداث ، التي جرت وسط حشد كبير من السكان ١٦٣ شخصاً ، كانت إصابات ٦٢ شخصاً منهم مميتة . وكان من بين الضحايا ٦٢ شخصاً يونانياً ((جنود ومواطنين)) ، بالإضافة إلى ٧٨ تركيا ، ويهودي واحد فيما كان البقية ينتمون إلى قوميات مختلفة .

مع الأسف كان قد تم الإعداد لهذه المقاومة ، فعشية نزول القوات اليونانية كان قد تم توزيع عدد وافر من المناشير التي كانت تدعو السكان الأتراك

للمقاومة ، فضلاً عن أنه كان قد تم فتح أبواب السجون وإطلاق سراح العديد من مجرمي العقوبات العامة .

كانت هذه الحوادث من فعل أنصار الأتراك الجدد الذين كان قد تم تشجيعهم بفضل دعاية ، والتي دون التحريض عليها - كما هو مؤكد - ما كان الأمن سيضطرب .

وقد وقعت نسخ من هذه المناشير في أيدي السلطات اليونانية وتم تسليمها للقيادات البحرية للدول الحليفة . وقد حدثت أثناء هذه الاضطرابات بعض حوادث السلب .

هذا وقد قامت السلطات اليونانية مباشرة باتخاذ التدابير الضرورية لإحلال النظام وحماية السكان . فيما تم اقتياد المحرضين على الاضطرابات في العشرين من أيار إلى المحكمة العسكرية ، التي حكمت بالموت على اثنين من اليونانيين تم تنفيذ الحكم في اليوم ذاته . كما تم الحكم على سبعة أشخاص آخرين بعقوبات أقل . وتستمر التحقيقات المتعلقة بالمسؤولين عن أعمال السلب . وتم إعادة عدد كاف من الأشياء التي سرقت فترة الاضطرابات إلى أصحابها وقد قام معظم الموظفين الأتراك العامين بترك أعمالهم تجاوباً مع توجيهات الأتراك الجدد ورجال الدعاية الذين أسلفنا ذكرهم ، أملاً في خلق فراغ إداري وحتى ترضخ هكذا القوات اليونانية لعملية الابتزاز التركية .

من جهة أخرى ، تم إحلال النظام ، الذي كان قد اضطرب في هذا الوقت ، على نحو كامل من بعد ظهر اليوم التالي .

وقد عاد معظم المسؤولين الأتراك برئاسة الحاكم ((الوالي)) ، إلى أماكن عملهم وعادت الحياة الإدارية للمدينة إلى و تيرتها الاعتيادية ثانية .

ولكي أوجز : فعلى الرغم من محاولات عناصر العدو ، فقد عادت إزمير إلى الحياة الاعتيادية من اليوم الثاني للاحتلال اليوناني ويستطيع الجميع أن

يمارسوا اليوم أعمالهم بحرية تحت حماية الجيش اليوناني ، وبالتعاون مع السلطات التركية والإشراف الرفيع للمندوب السامي اليوناني .
وقد تمكن الجيش اليوناني بفضل لطف وتعقل القوات اليونانية إزاء كل عناصر السكان من بسط سيطرته على داخل البلاد دون حوادث من أجل إرضاء كل المعنيين .

ووفقاً لآخر المعلومات الرسمية ، التي تعود إلى ٢٧ الشهر الجاري ، فقد وصلت القوات اليونانية إلى أيدينو* جنوباً ، و نيمفيو شرقاً ونهر أيرمو شمالاً .

آمل ، سيدي الرئيس ، أن يقوم التقرير المذكور أعلاه بإقناع الدول العظمى من أن الحكومة اليونانية أثبتت أنها أهل للثقة والتي كان لها شرف إثبات ذلك عندما طلبت منها الدول العظمى القيام باحتلال إزمير والمناطق المجاورة لها .

يشرفني سيدي الرئيس أن أبقى خادكم الذليل .
ي.ك. فينيزيلوس .

إلى صاحب السعادة السيد

جورج كليمانصو ، رئيس الوزراء

رئيس مؤتمر السلم .

باريس .

* أيدينو تعني أيضاً بالتسمية بالتركية .

احتجاج نساء آسيا الصغرى اليونانيات

الاحتجاج التالي هو لاتحاد نقابات النساء اليونانيات في آسيا الصغرى ،
المثلاث من قبل :

١- نقابة يونانيات أيذينيو .

٢- نقابة يونانيات كوراسيدون في أيذينيو .

٣- نقابة يونانيات أوديميس* .

٤- نقابة يونانيات كوراسيدون في أكسار .

٥- اتحاد يونانيات مينيمينيس .

٦- ((أخوات الجنود)) في كاسامبا .

٧- نقابة يونانيات كاسامبا .

٨- اتحاد يونانيات كولا .

٩- اتحاد يونانيات أDRAMITIO .

((باسم الحقيقة نحتج ضد التأكيدات ، التي تدعي أن سكان آسيا الصغرى
اليونانيين كانوا سيستقبلون بسرور من جديد استرجاع الجيش التركي
للأراضي التي احتلت من قبل الجيش اليوناني و أنهم كانوا سيخضعون دون
تدمير لاستبداد الأتراك .

نحن ندعوه نيراً وليس حكومة .

نحتج بالإجماع ضد هذا النير الفظيع .

فعلي مدى خمسة قرون كان الأمل يغذي نفوسنا و عقولنا :

الأمل في أن يحدث هذا الذي حدث قبل ثلاث سنوات .

على مدى خمسة قرون كانت الأمهات يغنين لأطفالهن أغان وهدهدات
كانت تتكلم عن الحرية والموت .

أوديميس تعني أوديميش بالتسمية التركية .

على مدى خمسة قرون مات آلاف الآلاف كشهداء ، وتم قتل آلاف آخرين على نحو مكشوف ودون خجل وباستخفاف أما أعين الدول المتحضرة كما تم قتل الآخرين في الخفاء .

هؤلاء الأذلاء والمساكين ، الذين أمكن اختفاؤهم دون أن ينجم عن ذلك مشكلة ، حيث كانوا يختفون يومياً بصمت .

لقد اقترفت أبشع الجرائم أثناء الحرب الكبرى ، التي لا يتجرأ أحد على التفكير بها كما لم يتم احترام أملاك الرجال وأعراض النساء .

وجاء هذا الزمن ورأينا فوق رؤوسنا العلم اليوناني ، الذي يضم بين طياته كل آمالنا ومثلنا الوطنية ، التي حاربنا من خلالها دفاعاً عن كل ما هو جميل في صفوف الدول الحليفة ، والتي جاءت كوصية على قراراتهم ورغبتهم ، وسمعنا صوت النشيد الوطني والأغنية التي تتحدث عن اليأس والحزن الذي لا يوصف وتوقنا الذي لا يوصف للحرية .

نوجه نداءً لتقاليد النبل والحرية للأمم المتحدة التي تنتمون إليها ، كما نوجه نداءً للعدالة الإنسانية ونحتج باسمها ضد كل محاولة يقوم بها الأتراك لتكريس أغلال العبودية ، التي سبق أن قمنا بتحطيمها .

نحتج ضد القرار الذي ، سيحول بلدنا في القرن العشرين الذي نعيشه ، إلى عملية شراء فظيعة لامتناهية حيث يتم استعباد المخلوقات البشرية وتسليمها إلى حكومة بربرية ، قوانينها هي الحديد والنار .

نحتج ضد هذا الحدث ، الذي سيبقى فريداً دون تكرار في تاريخ البشرية ، أي أننا حاربنا أثناء الحرب الكبرى في صفوف الدول الحليفة ، وحققنا معها النصر النهائي ، هل يجوز أن يلحق بنا العار الذي يليق المهزومين وأن ندع العدو المشترك ، الذي انتصرنا عليه بجني ثمار الريح والمجد ؟

إن سكان آسيا الصغرى اليونانيين يعبرون بالإجماع أنهم غير مستعدين للتنازل عن حقوقهم التي أعطتهم إياها الدول الحليفة التي أكدها الاحتلال العسكري اليوناني على مدى ثلاث سنوات ، وأنهم غير مستعدين للتخلي عن حريتهم التي دفعوا من أجلها ثمناً باهظاً جداً على مدى عدة قرون .

إذا اتخذ هؤلاء الذين بات مصيرنا بين أيديهم إجراءً قاسياً غالباً سينقلب ضدنا فإننا نحن ، يونانيات آسيا الصغرى ، سنقف في بلاد آبائنا، ضد عدونا منذ قرون بدلاً من قبول هذا الإذلال الوطني ، مبرهين أن اليونانيات من كل الأعمار يعرفن كيف يستشهدن ببسالة .

((عن هؤلاء اتحاد نقابات النساء اليونانيات)) .

((وثانوية اليونانيات في إزمير)) .

ونساء أيدينيو يكتبن أيضاً :

((لازال ماثلاً أمام أعيننا مشهد الأطلال المحترقة للمدينة التي كانت مزدهرة يوماً ، وننعي أيضاً فقدان الأشخاص الذين كنا نحبههم ، والذين قتلوا من قبل كمال وعصاباته المتوحشة ، نصرح بأننا سنقوم بكل تضحية ممكنة وسنساهم بكل قوانا من أجل دفع قضية الحرية المقدسة إلى الأمام)) .

تقرير لجنة يونانيا بخصوص الاغتيالات التي جرت

في ٢٧ آب عام ١٩٢٣

قام اجتماع السفراء بمنع نشر التقرير التالي للجنة يونانيا بخصوص الاغتيالات التي جرت في ٢٧ آب عام ١٩٢٣ كما رفضت أيضاً إعطاء نسخة من التقرير للحكومة اليونانية، وتتضمن هذه الوثيقة العناصر التي وجب على أساسها أن يقوم مجلس السفراء باتخاذ قرار لجوء إيطاليا ضد اليونان، وقد بقي هذا التقرير طي الكتمان في أرشيف لندن ، وباريس ، وروما وطوكيو وقد تم اتخاذ إجراءات غير عادية لتجنب نشرها أقوم بنشرها بالكامل الآن : لجنة إشراف الدول الحليفة في منطقة ايبيرو - يونانيا ٣٠ أيلول عام ١٩٢٣ تقرير بعد الانتهاء من أعمال البحث .

كان اجتماع السفراء المنعقد في الثامن من أيلول عام ١٩٢٣ ، قد اتخذ قراراً أرسل بموجبه إلى يونانيا لجنة مشكلة من ممثلي فرنسا ، وبريطانيا العظمى ، وإيطاليا واليابان ، برئاسة مندوب اليابان ، للإشراف على عمل التحقيقات التي تجريها الحكومة اليونانية بهدف الكشف عن الذين قاموا بهجوم السابع والعشرين من آب عام ١٩٢٣ ضد البعثة الإيطالية في لجنة ترسيم الحدود اليونانية الألبانية .

١-اجتماع اللجنة :

كانت لجنة الإشراف في منطقة ايبيرو قد تشكلت من كل من :

١-الكولونيل سيمبوغيا (من اليابان رئيساً) .

٢-الكولونيل بيود من (إيطاليا) .

٣-المقدم لاكمب من (فرنسا) .

٤-الرائد هارينس من (بريطانيا العظمى) .

هذا وقد اجتمعت اللجنة في يونانيا في السابع و العشرين من أيلول وقامت مباشرة بوضع الخطوط العريضة لنشاطها .

٢- القيادات والشهود الذين أدلوا بشهادتهم للجنة .

قام المذكورون أدناه بالإدلاء بشهادتهم أمام اللجنة أثناء قيامها بعملها :
على الأرض اليونانية وبحضور مندوب الحكومة اليونانية السيد ديندرامي .

- المدعي العام لمحكمة الاستئناف ، الذي تم إرساله من أثينا إلى يونانيا من قبل الحكومة اليونانية للإشراف والإسراع بالتحقيقات ، التي تجريها السلطات المحلية .

- عضو اللجنة الملكية لمحكمة جنايات يونانيا .

- محقق محكمة يونانيا .

- الكولونيل قائد الفرقة العسكرية الثامنة في يونانيا .

- المقدم بوتشاريس ، والذي كان المرجع اليوناني الأول الذي أشار إلى وقوع الجريمة .

- وقائد الجندرمة العام المبعوث من أثينا .

- والكولونيل قائد جندرمة يونانيا .

- والضباط اليونانيون ، الذين كانوا يخدمون في الوحدات العسكرية الأقرب إلى منطقة وقوع الجريمة، وعامل هاتف مخفر كاكافيا الحدودي والذي كانت لشهادته أهمية خاصة، والمواطنون الشهود الرئيسيون الذين تم استجوابهم من قبل محقق يونانيا وأولئك الذين لم يكن قد أدلوا بشهادتهم للسلطة التي أسلفنا ذكرها واعتبرت شهادتهم هامة، وضابط الشرطة البريطاني السيد ريد الذي كان قد تم ندبه إلى اليونان والذي تابع التحقيقات الأولية للسلطات اليونانية .

وعلى الأرض الألبانية ، وبحضور مندوب الحكومة الألبانية السيد مهدي فراسيري

-السيد بيراتي ، مندوب الحكومة الألبانية في لجنة ترسيم الحدود اليونانية - الألبانية

-محافظ أرغيروكاسترو .

-السيد تيميو لوليو ، من سكان قرية كاووزي ، والذين كانت شهادتهم في غاية الأهمية .

-وقد استجوبت اللجنة بالإضافة لهؤلاء شخصين مشبوهين لارتكابهما جريمة القتل

-كما تم استجواب اللص ميمو ، في يونانيا ذو الأصل اليوناني والذي كان قد حكم عليه بالموت في اليونان وكان قد التجأ إلى ألبانيا .

-كما تم استجواب اللص استيفان سيريا ، في أرغيروكاسترو والذي كان قد اعتقل من قبل السلطات الألبانية في ١٢ أيلول للاشتباه به وتشكل شهادات الأشخاص والسلطات ، والتي تم الإدلاء بها والتي أسلفنا ذكرها المادة التي اعتمدت عليها التقارير والوثائق ، والتي أضيفت كملاحق للتقرير الراهن .

٣-ملاحظات اللجنة الأولية .

بموجب التعليمات ، التي كانت قد تلقتها من مجلس السفراء ، قامت اللجنة بإرسال نتائج تحقيقاتها في الأيام الخمس الأولى برقياً في الثاني والعشرين من أيلول للمجلس المذكور أعلاه ، وكانت اللجنة قد أوجزت في تقريرها الأول ماكانت قد وجدته بالأقوال التالية :

في المرحلة الراهنة من أعمالها ، سواء بسبب الصعوبات ، أو بسبب الطبيعة المعقدة للمسألة موضوع الحل ، لازالت لجنة الدول الخليفة في يونانيا في

وضع غير القادرة على تشكيل رأي راسخ ، ونهائي بالإجماع بخصوص المسؤوليات حول جريمة السابع والعشرين من آب . فمن العناصر التي تم جمعها ومن ملاحظات اللجنة نصل إلى خلاصة مفادها أنه .

١- تم الأعداد للجريمة وتنفيذها في ظروف تم دارستها بالتفصيل إلى الحد الذي يبدو فيه واضحاً أن الأمر يتعلق إما بجريمة سياسية أو بجريمة المقصود بها الانتقام من شخص الجنرال تيليني ، والتي تم فيها قتل الضحايا الآخرين من قبل القتلة كي يتم ببساطة التخلص من جميع شهود هذا العمل .

٢- إجراء التحقيقات : تشير التحقيقات ، التي شرعت بها السلطات اليونانية بعد ارتكاب الجريمة ، إلى بعض نقاط الإهمال من قبل السلطات ، غير أن الملاحظات ، التي تمت حتى الآن ، ليست كاملة حتى تسمح لأعضاء اللجنة بالحكم ما إذا كان الإهمال هو مسؤولية الحكومة اليونانية أو هو نتيجة نقص تنظيم سلك الشرطة ، والذي لا يمتلك وسائل بحث كافية عن الجريمة .

في الوقت الراهن يميل المندوب الإيطالي ، بصورة خاصة ولأسباب أخلاقية ، نحو الفرضية الأولى ، فيما يميل المندوبان الآخريان نحو الفرضية الثانية .

٣- البحث عن المذنبين : وفي هذا الخصوص تأكدت اللجنة في حالات عديدة من إهمال الجانب اليوناني ، غير أنه يجب أن نؤكد أنه فيما يحيط جو الغموض والخوف بملايسات وقوع الجريمة من جهة ، فإن طبيعة الأرض ، تجعل من جهة أخرى التحقيقات صعبة بشكل استثنائي .

٤- هذا وتستمر اللجنة بعمل تحقيقات نشطة وبدأت بتقدم أفكار فعالة للسلطات اليونانية للاستمرار في التحقيقات بخصوص المذنبين .

-الاستمرار في التحقيقات بعد الثاني والعشرين من أيلول .

فمنذ ٢٢ وحتى ٢٧ أيلول ، التاريخ الذي تم فيه استدعاء اللجنة للعودة إلى باريس لتقديم تقرير حول عملها ، كانت اللجنة مستمرة في إجراء تحقيقاتها في منطقة إبيرو وألبانيا .

هذا و أن اللجنة هي في وضع يمكنها من إيجاز ما اكتشفته بالطريقة التالية :

- مسؤولية اليونانيين قبل وقوع الجريمة .

كانت الصحافة اليونانية قد قامت بشن حملة عنيفة ضد الجنرال تيليني الذي كان الرأي العام يتهمه بالتعاطف على نحو مكشوف مع ألبانيا على حساب اليونان في عملية ترسيم الحدود بين هذين البلدين، ويبدو أن الحكومة اليونانية لم تحاول وضع حد لهذه الحملة أو أن تهدئ من هيجان الرأي العام من قبل الوطنيين المتحمسين .

فالحاكم العام لمنطقة إبيرو وسلطات يونانينا كانوا على علم بالإشاعات التي كانت تسري في المدينة قبل وقوع جريمة السابع والعشرين من آب بخصوص ظهور عصابات لصوص في منطقة الحدود بالقرب من كاكافيا .

كما كان الحاكم العام قد نصح القنصل الإيطالي قبل أيام كافية من وقوع الجريمة بالا يسافر دون مرافقة إلى أيوس ساراندا إلى حيث كان سيأخذ منها السفينة إلى برينديزي .

ضمن هذه الظروف من المدهش أن السلطات ذاتها لم تقم باتخاذ تدابير خاصة لضمان حماية لجنة ترسيم الحدود في المنطقة المشبوهة .

وحتى إذا قبلنا أن الجنرال تيليني لم يطلب مرافقة أو أنه رفض عرضاً يتضمن مرافقة له فإن من الواضح أن الحكمة كانت تقتضي من الجهة سلطات اليونانية أن تلح على الجنرال قبول المرافقة ، وفي حال إصراره على الرفض عليهم أن يطلبوا منه إعفائهم من كل مسؤولية .

-مسؤوليات اليونانيين بخصوص الشروع في التحقيقات من قبل السلطات القضائية .

لقد تأكدت اللجنة عموماً من أنه تم الشروع بالتحقيق القضائي من جانب اليونان بالسرعة الممكنة في إطار الوسائل الاعتيادية للسلطات اليونانية وقد تضمن هذا التحقيق بعض الثغرات الهامة والتي لفتت اللجنة إليها انتباه مجلس السفراء .

-في يوم وقوع الجريمة كانت سيارة البعثة الألبانية تسير في المقدمة على مسافة دقائق من سيارة الجنرال تيليني ومرافقته، وكان على متن السيارة الألبانية خمسة أشخاص لم يتم التحقيق مع أي منهم من قبل سلطات تحقيق يونانيا على الرغم من أن شهاداتهم كان يمكن أن تبدو ذو أهمية محدودة .
-أثناء وقوع الجريمة اضطرت سيارة الجنرال تيليني إلى التوقف بسبب حاجز من جذوع الأشجار كان القتلة قد وضعوها في الطريق ، كان بوسع هذا الحاجز أن يقدم معلومات عن القضية .

كان من الواجب أن تحفظ الجذوع التي تشكل هذا الحاجز ليصار إلى البحث عن بصمات الأصابع عليها والحقيقة هي أن الحكومة اليونانية قامت بإعطاء تعليمات بخصوص هذه المسألة غير أنه يبدو أنها لم تكن واضحة بشكل كاف .

وقد قام في الليلة ذاتها جنود مقيمون في أقرب مخفر إلى مكان وقوع الجريمة بأخذ جذوع الأشجار واستخدموها كحطب على الرغم من توفر الوقود في المخفر كما أن المنطقة المحاورة مزروعة بالأشجار .

مسؤوليات اليونانيين بخصوص تعقب المدنيين

لقد تم ارتكاب الجريمة في السابع والعشرين من آب الساعة التاسعة صباحاً .

وقد قامت السلطات العسكرية اليونانية بعمل كل ما بوسعها، لإخفاء النبأ المتعلق بذلك عن البعثة الألبانية التي كانت تسير أمام سيارة الجنرال تيليني حيث كانت البعثة الألبانية تجهل طوال اليوم ما كان قد حصل وكانت تنتظر مندهشة بسبب تأخر وصول الجنرال إلى نقطة اللقاء ، غير أن السلطات العسكرية اليونانية منعتها من العودة إلى يونانيا، وتم السماح بصعوبة للبعثة الإيطالية في السابعة مساءً بالعودة إلى يونانيا الأمر الذي كانت قد طلبته مراراً .

وفيما منع عطل السيارة عودة البعثة الألبانية إلى يونانيا ، قام المندوبون الألبان بالطلب من الضابط المسؤول عن مخفر كاكافياس إعلامهم عن أسباب عدم وصول الجنرال .

كان الجواب الذي أعطي هو أن الجنرال تيليني متعب وأنه قد عاد إلى يونانيا مع مرافقته، وقد استطاعت البعثة الإيطالية في صبيحة اليوم التالي فقط معرفة الحادث الذي وقع ، وقد أعلمها بذلك بالتفصيل ، في المنطقة التي جرت فيها الجريمة ، الكولونيل قائد الفرقة الثامنة العسكرية .

وإنه لأمر مدهش أن السلطات اليونانية لم تقم بإعلام البعثة الألبانية التي كانت موجودة على مسافة عشرة كيلومترات فقط من النقطة التي حدثت فيها الجريمة بالرغم من طلبات الأخيرة المتكررة .

وقد كان رئيس مخفر كاكافياس موجوداً في الموقع ذاته وكان بحوزته هاتف والذي كان يمكنه من الاتصال مع مقر الكتيبة والتي كان قد تلقى منها الأمر بمنع عودة البعثة الألبانية إلى يونانيا .

يجب أن نشير هنا إلى أن كاكافياس تبعد فقط أربعين كيلومتراً من أرغيرو كاسترو حيث يوجد هاتف يمكن من خلاله الاتصال مع قائد شرطة المدينة.

إذ لو تم إعلام البعثة الألبانية بمجرد اكتشاف الجريمة ، لكان تم بلا شك اتخاذ تدابير مباشرة سواء من جهة الحدود الألبانية أو من جهة الحدود اليونانية. ومن المحتمل أن شبكة تيقظ مماثلة كانت ستقود إلى الكشف عن الجناة ، الذين كانت ستكون لديهم فرصة أقل للنجاة من الملاحقة * . يبدو أن مسؤولية إخفاء الجريمة عن البعثة الألبانية تقع بالكامل على عاتق المقدم بوتشاري .

كما يبدو أن السلطات اليونانية أعطت في الوقت المناسب أوامرها بزيادة شدة التيقظ على المخافر الحدودية وتعقب المذنبين .

فضلاً عن أن السلطات ذاتها لم تتأكد على نحو شخصي كما يبدو من تنفيذ الأوامر التي كانت أعطتها هي ذاتها أو أن مرؤوسيهم كانوا قد اكتفوا بالتقارير الشفهية ولم يكونوا في موقع القادرين على التأكيد للجنة أن التدابير التي كانت قد اتخذت ، خصوصاً من قبل رؤساء وحدات ملاحقة المذنبين كانت هي ما تتطلبه الأوضاع .

ربما كان صحيحاً أن يرى المرء في كل هذا نقصاً ما في تدريب الجيش اليوناني .

* لاحظ المندوب البريطاني أنه ، على الرغم من إخفاء الجريمة بعناية تامة عن البعثة الألبانية ، فإن من المشكوك فيه حصول ذلك لأن المقدم بوتشاري كان يخاف إمكانية قيام سكان القرى الألبانية الواقعة على الحدود ، والذي ربما كان يعرف بوجود بعض المشتركين في الجريمة بينهم ، بإخفاء المذنبين وصرف النظر عن البحث .

هذا ويعتمد المندوب البريطاني في وجهة نظره هذه على خبرة شخصية مماثلة حيث ، كان قد تم استخدام إجراءات الإخفاء ذاتها إزاءه في آسيا الصغرى .

مسؤوليات الألبان

كان السيد تيميو لوليو أحد سكان قرية كاووزي الألبانية الواقعة على بعد ٧- ١٠ كيلومتر شرقي أيوس ساراندا ، قد قام في ٣١ آب بإعلام السلطات الألبانية بأن عصابة مكونة من ١٣ لصاً كانت قد ذهبت إلى قريته وأن زعيمها اليوناني الأصل يانيس بانتسوس ، كان قد أسرله أنه هو ورجاله كانوا مرتكبي الجريمة ، وأنه كان قد تعرف على عضوين من العصابة ، وهما السيدان استيفان سيريا وكولا سينتيزا واللذين كانا أيضاً من أصل يوناني ويحملان الجنسية الألبانية .

وما أن تم إعلامهم بهذه الشهادة ، حتى قامت السلطات الألبانية في أرغيرو كاسترو بإرسال وحدة من ٣٠ رجلاً إلى كاووزي، وقد فر اللصوص باتجاه الحدود اليونانية ، باستثناء استيفان سيريا وتمكنوا من اجتياز الحدود ثانية وعبروا إلى الأراضي اليونانية .

هذا ولم تقم السلطات الألبانية بإعلام السلطات اليونانية بشهادة لوليو ولا بالأحداث التي تلتها، فضلاً عن أنه تم في الثاني عشر من أيلول سجن استيفان سيريا من قبل السلطات الألبانية في أرغيرو كاسترو ، الأمر الذي لم يذكر أيضاً للسلطات اليونانية ، ولا حتى للجنة إشراف الدول الحليفة عندها قامت الأخيرة بزيارة أيوس ساراندا في السابع عشر من أيلول .

استنتاجات اللجنة

إن المشكلة التي تنتظر الحل هي معقدة وتحتاج إلى مدة طويلة وانتباه ولا تستطيع اللجنة أن تأمل بأنها ألقت الضوء على سر جريمة السابع والعشرين من آب في المدة الزمنية القصيرة التي كانت بتصرفها، وعدا عن هذا فإن اللجنة ليست في وضع يمكنها من اتخاذ قرار حاسم وفي منتهى الوضوح بخصوص المسؤوليات الحقيقة عن الجريمة .

في المرحلة الراهنة للبحث تستطيع اللجنة أن تحدد مصادر وجهات نظرها كما تم التعبير عنها في الثاني والعشرين من أيلول ، وبالرغم من كل هذا يبدو أننا نقرب من الحقيقة فمن جهة قامت السلطات اليونانية باعتقال أحد اللصوص ، المدعو كونستانينو ميمو كأحد المجرمين ، فضلاً عن أن ماضي هذا اللص والإشاعات التي تروج عنه ، لا تستبعد أن يكون مذنباً .

من جهة أخرى ، فإن اعتقال اللص استيفان سيريا في ألبانيا يعطي السلطات الألبانية قاعدة هامة لعملية البحث وتسمح في أن يأمل المرء بأنه وجد عنصراً يمكن أن يقود إلى اعتقال زعيم العصابة ، يانيس بانتسوس الذي اعترف بما هو متعلق بالجريمة لأحد الشهود الذي أدلى على نحو رسمي بشهادته بخصوص هذه القضية .

وقبل مغادرتنا يوانينا ، رأت اللجنة أن من واجبها أن تعلن للحكومة الألبانية المعلومات التي تم جمعها في اليونان بخصوص ميمو ، وأن تعلن للحكومة اليونانية المعلومات التي تم جمعها في ألبانيا بخصوص عصابة بانتسوس واعتقال أحد أعضائها استيفان سيريا .

ولكن هذا التحفظ غير كافٍ مع أن أمر كشف الحقيقة الكاملة هو أمر مرغوب به ، ولكي يتم تحقيق نتيجة مماثلة من الضروري أن يتم تحقيق تفاهم تام بين الحكومة الألبانية واليونانية، ويمكن تحقيق هذا التفاهم بالضغط الفعال فقط لمجلس السفراء .

في هذا الإطار تحض لجنة الدول الحليفة بصدق المجلس على القيام بتقلص أفكار للدولتين المذكورتين أعلاه حتى يستمر البحث على نحو مشترك من قبل السلطات القضائية للدولتين ، ولكي يتم تحقيق هذه الاتفاقية ، فإن اللجنة تقترح وضع شخص محايد على الأقل مختص في البحث عن الجريمة بتصرف حكومتي اليونان و ألبانيا .

رئيساً ----- سيمبوغيا
مندوب بريطانيا ----- هارنيس
مندوب فرنسا ----- لاكمب
مندوب إيطاليا ----- بيود

هذا وقد طلب مندوب إيطاليا أن يتضمن نهاية التقرير الراهن التصريح التالي:

(تصريح المندوب الإيطالي)

((فيما يتفق المندوب الإيطالي مع الخطوط العامة للتقرير الراهن ، فإنه يفعل هذا مع التحفظ في أن يرسل إلى مجلس السفراء تقريراً خاصاً بخصوص الظروف التي سمحت له أن يحدد بشكل مباشر مسؤولية اليونان الجسيمة وأن يقدم الأدلة ، التي يمكن أن تقود إلى اعتقال المذنبين)).

المندوب الإيطالي الكولونيل ي . بيود

تقرير برايس الشهير

هذه المقتطفات صادرة عن تقرير (برايس الشهير) ،الذي قدمه الفيكونت برايس إلى وزير خارجية بريطانيا والذي تم إيداعه أمام مجلس العموم كوثيقة رسمية .

هذا التقرير هو من الضخامة بحيث يتكون من ١٤٩ وثيقة ، وخطابات تمهيدية وموجز تاريخي .

ومن هذه الشهادات ، التي تم قبولها كأدلة تستحق التصديق من قبل شخصيات مثل السير جيلبرت ماراين ، والفيكونت كري فالوتون والسيد مورفيلد ستوري،الرئيس السابق لا تحاد رجال القانون الأمريكيان ، أخذتُ وثيقة نموذجية فقط وقسم صغير من الموجز التاريخي .على كل حال يجب دراسة التقرير بالكامل من قبل باحثي مشكلة الشرق الأدنى .

الوثيقة رقم : ١٤٤ . المنفيين على نهر الفرات .

تقرير يعود تاريخه إلى حزيران عام ١٩١٥ مرسل من أرضروم

يتضمن مقابلة السيد هنري باربي مع الطبيب الأرمي . خ .

توراغيان،الذي كان يقوم بالخدمة في الجيش العثماني.تم نشرها في جريدة ((لي

جورنال)) الباريسية بتاريخ ١٣ تموز ١٩١٦ .

فعلى طول الضفاف الملتهبة لنهر الفرات الطويل ، بين بلاد ما بين النهرين المقبضة للنفس وبادية الشام،صحراء سوريا الفظيعة التي نجيم فيها عدد كاف من آلاف المهجرين الذين نجوا من المذبحة الكبرى .

أن حالتهم هناك هي هكذا ، بحيث لا يمكن وصفها بكلمات.

ويشهد على ذلك بالإجماع المسافرون النادرون الذين تمكنوا من زيارة المعسكرات التي يموت فيها هؤلاء الضحايا ببطء ، بين حلب وبغداد .

يتعرضون لآلام فظيعة دون ملجأ يقيهم برد الشتاء القاتل الذي مضى أو حر الصيف المخيف ، الذي يصبح يوماً أكثر شدة ، ويموتون يوماً بأعداد كبيرة مع أن هؤلاء الذين يصيبهم الموت هم الأقل استحقاقاً للرحمة .

كما إنني في موقع القادر على أن أضيف شهادات قاطعة بخصوص الأحداث، التي جرت أثناء فترة حدوث الفظائع التي لا تصدق.

أحد أطباء الجيش التركي الدكتور توراغيان - من أصل أرمني كما يشير إلى ذلك اسمه - تم إرساله من قبل الحكومة التركية في جولة على معسكرات المهجرين .

كان قد رأى أثناء فترة مهمته مشاهد على درجة من الوحشية إلى الحد الذي قرر أن يفر فيه ليشكي للعالم المتحضر همجية وبذاءة مسؤولي الحكومة التركية والمشاركين معها في الذنب .

وقد تمكن الدكتور توراغيان ، بالرغم من العوائق التي لم يكن بالإمكان تقريباً تجاوزها والتي وجب أن يتجاوزها من الوصول إلى القوقاز . وعندما التقينه كانت كلماته الأولى هي :

((لقد توسل إلي أخوتي البؤساء ، الذين تم تهجيرهم إلى بلاد ما بين النهرين أن أوجه نداءً لكل العالم المتحضر وخاصة لأرمن القوقاز وأمريكا من أجل إنقاذهم . حيث يموت هؤلاء الأشخاص كل يوم ، معرضين لأذى كبير من الآلام ، والجوع، والأمراض وقسوة الجندرية الشيطانية ، الذين كانوا يشرفون عليهم أثناء نفيهم)) .

بعد ذلك، أراني الملاحظات، التي كان قد احتفظ بها أثناء جولته على معسكرات اللاجئين لم يكن يروي شيئاً سوى سلسلة طويلة من أعمال القتل والآلام. كانت الفرائز الوحشية للطبيعة البشرية قد أصبحت مخزية بصورة الدم والدموع . حيث كان الجلادون الأتراك يستمتعون بقتلهم الرجال للتسلية ويصطادون النساء كحيوانات مفترسة .

كان الدكتور قد انطلق في ٢٥ تشرين الثاني من عام ١٩١٥ ، من جرابلس على متن منصة خشبية عائمة. حيث كان قد قابل في جرابلس قافلة من أرمن سوريا والذين كان قد تم اقتيادهم من بيروت إلى جرابلس كما شاهد أيضاً ٢٥ عائلة أرمنية قادمة من عنتاب والذين كان الجندرمة الأتراك يقتادوهم ضارين إياهم بالسياط إلى المحكمة . كما وصلت عائلات أرمنية أخرى من قونيا وقيساريا إلى جرابلس بالقطار. وما أن نزلوا حتى وقعوا ضحايا أسوأ أعمال العنف .

كما وصلت جرابلس قافلة أخرى كانت مكونة من أرمن ديار بكر وخربوط وماردين . وقد تعرضوا في الطريق، للهجوم من قبل الشيشان (قبيلة شركسية) الذين قاموا بخطف ٣٠٠ امرأة شابة كي يبيعوهن كعبيدات.

ولكن فلنرجع إلى سرد الدكتور توراغيان : ((كان هناك في معسكر جرابلس لاجئون من أزنة ، كانوا بصورة خاصة نساء وفتيات . وقد جاءت إمرأتان وارتميتا على اقدامي . كنت أعرفهما منذ زمن ، ولكني خفت من التعرف عليهما . كانتا بحالة مزرية .

(قل لأخوتنا أن يستعجلوا الوصول إلى بلاد ما بين النهرين ، قالتا لي ذلك باكيات لسنا سوى جثثاً حية) .

تابعت رحلتي على متن المنصة الخشبية العائمة ووصلت إلى مسكنة . حيث نزلت وقمت بزيارة معسكر اللاجئين الأرمن بصحبة اثنين من الجندرمة الأتراك. كان هؤلاء البؤساء المبعدين يرتدون أسمالاً بالية ، عرضة للظروف الجوية السيئة. كان البعض مستلقين على الأرض ، وكانوا يحاولون تغطية أنفسهم ببعض الأسماط البالية . غير أن الأكثرية لم يكن لديهم ولا حتى هذا الغطاء البالي .

سألت الجندرمة ما هي تلك التلال الترابية، التي كانت موجودة حولنا والتي كان

عدد كبير من الكلاب يجتمعاً فوقها ؟

— إنها قبور الكفار ، أجاهاوا هبدوء .

— عجيب ! هذا العدد الكبير من القبور لقرية صغيرة إلى هذا الحد ؟

— آه كلا إنها قبور هؤلاء الكلاب الذين تم إرساؤهم إلى هنا في بداية شهر آب المنصرم . وقد ماتوا جميعاً من العطش .

— من العطش ؟ الفرات مليء بالماء

— كانوا قد منعونا من أن ندعهم يشربون

سرت حتى طرف المقبرة التي لا تنتهي . حيث التقيت بكهول ، كانوا سيكون بصمت مستلقين على الأرض .

— من أين أنتم ؟ سألتهم .

لم يجيبوا ، كانوا قد فقدوا عقولهم ، ربما كانوا قد نسوا حتى الكلام . أجابني امرأة جاثية على الأرض ، بدلاً من هؤلاء . هكذا علمت أنه كان يتواجد في ذلك المعسكر خمسة آلاف أرمني من مرسين ومدن كيليكيا الأخرى .

في غضون ذلك ، اقترب مني الجندرمة الاثنان اللذان كانا يرافقاني وأراني

فتاة شابة

— أفندي فلنأخذها معنا إلى بغداد .

دون أن ينتظر إجابتي ، ناديا على الفتاة البائسة ، التي اقتربت وهي ترتجف خوفاً . نطق لي بصعوبة شيئاً بالفرنسية ، كانت مدرّسة في إزمير قبل أن تُهجر ، كانت تتضور جوعاً .

حاولت أن أعلم منها تفاصيل مأساة المهجرين ، ولكنها كانت تقول وتكرر كلمة واحدة فقط :

((خبز اخبزا)) تأرجحت بعد ذلك وسقطت فاقدة الوعي .

سمعت في الجوار بعض الأصوات المؤلمة :

((ماتت ! ماتت المدرّسة من الجوع !)) أراد الجندرمة استغلال واقعة كون الفتاة

البائسة قد فقدت وعيها ، ليقوموا بخطفها .

قاموا برفعها وحملها تجاه المنصة الخشبية العائمة . أوقفتهما وقمت بسكب بعض قطرات من الكونياك على شفاه الفتاة المسكينة فاستعادت وعيها .

هذا وقد جاءت إلي إحدى الأمهات وبدأت تتوسل . وطلبت إلي أن أقوم بإنقاذ أبنها الذي كانت قد ارتفعت حرارته على نحو كبير ولأطلب ما شئت من النقود

أعطيت الولد قليلاً من الأسبرين .

فيما كان عدد لا يحصى من حشد البائسين قد أحاط بي.

كانوا عراة وخدودهم الغائرة ونظراتهم الحائرة وتوسلاتهم ، وصرخاتهم البائسة :

((خبز !... أدوية !...)). قد أحاطتني كالأمواج الضخمة .

وقد اندفع الجندرمة على الجميع ، يضربونهم لا على التعيين ، باللكمات ،

والركلات ، وبكل ما استطاعوا .

ابتعدت بائساً ، لأنني لم أستطع تخفيف آلامهم .

إلى أسفل قليلاً شاهدت إمرأتين ، واحدة مسنة والأخرى شابة جميلة جداً ،

يحملان جثة شابة ثالثة، كانتا بلا شك أم أو أخت تلك المتوفاة . ما أن تجاوزتهم

حتى سمعت صرخات الرعب .

كان أحد الأشخاص قد دفع الجثة التي سقطت من أيدي الإمرأتين . بعد ذلك

وبتشجيع من الجندرمة ، حاولوا خطف الفتاة الشابة، التي كانت تقف يائسة.

فسقطت إلى جانب الجثة مغشياً عليها.وقد جثت العجوز محاولة حماية الجسدين

بأيديها.

لم أستطع التدخل . فالأوامر التي لدي كانت صارمة .

كنت أرتجف من الغضب ولجأت إلى منصتي الخشبية العائمة .

هذا وقد استيقظت مساء على صرخات الخوف . كان رجلا الجندرمة ، اللذان

كانا يرافقاني قد بقيا في المعسكر.هناك كانا قد خطفنا بعض الشابات الأرمنيات

حيث أرادا اغتصابهن فيما حاول بعض المهجرين منعهما ، وقد قام الجندرمة

ضربهم بلا شفقة . وقد استغرقت الضجة وقتاً طويلاً ، أخيراً عاد الجندرمة وقام

صاحب المركب بفك المنصة العائمة وأمسكوا بالمجاديف وانطلقنا ...

سافرت على مدى ساعات .وقد استحوذتني أفكارى ، وقلبي المحطم ، كنت قد تركت نفسي في المركب ، الذي كان يسير بهدوء في النهر ، دون أن أدري ما كان يجري حولى
وفجأة أطلق الجندرمة صرخة وبدئا في الضحك فاغرين فاههما كأنما سمعا شيئا مضحكا جداً :

- الفتاة ! فتاة المساء ! ...

نظرت إلى المكان ، الذي أشارا إليه .

كانت جثة تطفو على سطح النهر، كانا قد تعرفا عليها والتي تعرفت عليها أنا أيضاً كانت جثة مدرّسة إزمير، الفتاة البائسة والتي كنت قد تكلمت معها قبل ساعات قليلة فقط . كانت قد سقطت في الظلمة ضحية الوحشين المفترسين، اللذين كانا برفقتي

مقتطفات من الموجز التاريخي

كانت المرحلة الأخيرة قد بدأت في الثامن من نيسان عام ١٩١٥ وبدأ تطبيق الإجراءات التي كانت قد تواصلت في زيتون في مركز أرمني تلو الآخر من مراكز الإمبراطورية العثمانية السكانية .

في أحد الأيام ((وتظهر التواريخ تسلسلاً هاماً)) كان الدّلال يطوف الطرقات معلناً عن وجوب تواجد جميع الذكور من الأرمن لدى دار الحكومة في بعض الحالات كان الإخطار يُعطى من قبل الجنود أو الجند رمة ، الذين كانوا يقتلون كل أرمني ذكر يلقونه في الطريق ، الأمر الذي كان يذكرّ بالإجراءات التي تم اتباعها عام ١٨٩٥ - ١٨٩٦ ، بالإضافة إلى أن التجمع الذي كان يتم لدى دار الحكومة كان بمثابة المرحلة التمهيديّة.

كان الرجال يحضرون بثياب العمل ، تاركين محالهم وورشهم، مفتوحة ومحارثهم في الحقول وقطعان مواشيههم على سفوح الجبال .وعندما كانوا يصلون يَزجّون بهم في السجن دون أي تفسير ، كانوا يحتجزونهم هناك من يوم إلى يومين وبعد ذلك يقتادونهم مربوطين على مجموعات نحو الجنوب أو الجنوب الشرقي .

عندئذ كانوا يقولون لهم ، أنهم ذاهبون نحو الموصل أو نحو بغداد ربما . كان تصوراً مخيفاً لأشخاص، لم يكن لديهم، لا طعام ، ولا ثياب ، ولا أغطية فراش . لم يكن قد ودّعوا البتة ذويهم ولا حتى رتبوا أمور عملهم . فضلاً عن أنه لم يكن لديهم متسع من الوقت للتفكير بمغادرتهم، لأنه كان يتم إيقافهم وقتلهم في أول مكان مهجور في الطريق .

وقد تم تطبيق الإجراء ذاته في حالة الأرمن ((الذين كان يبلغ تعدادهم المئات أو الآلاف في المراكز الكبرى))الذين كان قد تم سجنهم في فصل الشتاء بتهمة التآمر أو إخفاء الأسلحة ، مع أنه تم في بعض الحالات إغفال إبادة الآخرين بطريقة توقف غير مقصودة وجدت أمثلة لها أثناء أعمال الإرهاب في فرنسا عام ١٧٩٣ . وتلك كانت نصيحة القيادات السياسية في أعمال الإبادة ، ولكن كان هناك تنسيق تام مع وزارة الداخلية التي كان يتولاها طلعت باشا ووزارة الحربية التي كان يتولاها أنور باشا ، لأنه تم في نفس الوقت تطويق كتائب العمل الأرمنية ، التي كانت تعمل في المؤخرة من قبل كتائب نظرائهم الأتراك ، حيث تم قتلهم ببرودة . وبالنسبة للنساء كان هناك إمكانية اختيار مصير مختلف عن التهجير .

كان بوسعهن التخلص من التهجير لو أنهن اعتنقن الدين الجديد ولكن بالنسبة للنساء الأرمنيات عام ١٩١٥ كان ذلك يعني شيئاً أكثر بساطة من تغيير العقيدة . حيث كان يمكن إضفاء الصفة الرسمية على تغيير العقيدة بالزواج فقط . وإذا كانت أرملة ((لأن القلة من الرجال الأرمن قد بقوا على قيد الحياة)) كان يجب فصلها عن أولادها وتسليمهم كي يربوا كأتراك حقيقيين في ((أحد دور الأيتام الحكومية)) . إنه مصير غير مؤكد لأن من المعروف أنه لم يكن هناك مؤسسات مماثلة .

ولو لم تجد تلك التي قامت بتغيير عقيدتها أحد الأتراك ليتزوجها أو أنها رفضت اقتراح أحدهم بالزواج منها، فإنها و أطفالها سيهجرون مع الآخرين ، مهما حاولت أن تتفانى في خدمة الدين الجديد . كان التهجير هو المصير الذي

اختارته - أو تم فرضه على . الأغلبية الكبيرة - كان يلقي بالنساء و الأطفال في
الأنهار . كانوا يدعونهم يحاولون الوصول إلى الضفة المقابلة وما أن يبدو واضحاً
أنهم سيتمكنون من ذلك كانوا يطلقون عليهم الرصاص ويقتلوه .
لم يكن لتوق هؤلاء القتلة الشديد وشراهتهم حدود . كان الناجون الأخيرون
يصلون باستمرار عراة بالكامل إلى حلب ، لأنهم كانوا قد مزقوا آخر قطعة ثياب
لهم . كان الشهود الذين رأوا وصولهم يلاحظون أنه لم يكن بينهم ولا حتى شاب
جميل ولم يكن بينهم ولا عجوز حقيقي إلا إذا كانت المشاق قد جعلته
مسنناً . كان الأمل الوحيد بالبقاء على قيد الحياة هو أن يكون للمرء مظهر
اعتيادي على نحو كاف حتى يتجنب تلهف القتلة للقتل وأن يكون قوياً على نحو
كاف حتى يتحمل مشاق الرحلة .

تقرير لجنة كينغ - كراين بخصوص الطريقة المناسبة

لتقسيم الإمبراطورية العثمانية

تم أخذ المقتطفات التالية من تقرير كينغ - كراين حيث كان قد تم تعيين السيدين تشارلز. ر. كراين والدكتور هنري تشرشل كينغ كمندوبين للولايات المتحدة في اللجنة الدولية التي هي قيد الإعداد للصيانة على تركيا. كان ذلك أثناء انعقاد مؤتمر السلم في فرساي ، هذا وكانت الخارجية الأمريكية قد منعت نشر هذا التقرير كان التفكير الذي لدى اللجنة ذاتها حول عملها يبدون التصريح التالي الذي تم توزيعه على الصحافة إلى حيث كانت ستذهب اللجنة .

قام القسم الأمريكي للجنة الدولية للصيانة على تركيا، وبهدف أن تصبح مهمتها مفهومة على نحو واضح ، بتزويد الصحافة بالتصريح التالي الذي يهدف إلى تحديد، هذه المهمة التي أنيطت بها من قبل الرئيس ويلسون بأكبر قدر من الدقة .

فالشعب الأمريكي، الذي لم تكن لديه طموحات سياسية في أوروبا أو الشرق الأدنى والذي يفضل إذا أمكن ذلك البقاء بعيداً عن كل تعقيد في أوروبا أو آسيا أو أمريكا، كما أنه على الرغم من كل هذا يرغب في أن ينجم عن هذه الحرب ما أمكن سلام دائم وأكبر قدر من الفوائد للبشرية يدرك أن ليس بوسع التحلي عن كل مسؤولية تقع على عاتقه لتسويات ما بعد الحرب بين الدول في إطار عصبة الأمم . وبهذه الروح فإن الشعب الأمريكي يقترب من مشكلات الشرق الأدنى . هذا وقد قام مجلس الأربعة لمؤتمر السلم بإعداد خطة لإنشاء لجنة دولية لتفحص الظروف في الإمبراطورية العثمانية بخصوص إمكانية القيام بالصيانة ويتواجد القسم الأمريكي من هذه اللجنة في الشرق الأدنى بهدف وحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات

الصحيحة بخصوص الظروف، والعلاقات ورغبات الشعوب المعنية والمجموعات البشرية حتى يكون بوسع الرئيس الأمريكي والشعب الأمريكي التحرك وبجوزتهم المعرفة التامة للحقائق بخصوص أي قضية سياسية يتم استدعاؤهم لتبنيها في المستقبل بخصوص مشكلة الشرق الأدنى ، سواء في مؤتمر السلم ، أو في عصبة الأمم لاحقاً . ويتضمن التصريح المتعلق بمهمة اللجنة بالكامل مع فقرة ميثاق عصبة الأمم ، التي تتطرق إلى الأجزاء السابقة للإمبراطورية العثمانية ما يلي :

(بعض الجماعات القومية، التي كانت تنتمي سابقاً إلى الإمبراطورية العثمانية كانت قد وصلت إلى درجة من التطور يمكن الاعتراف بوجودها كدول مستقلة شريطة أن يقبلوا إرشادات إدارية ومساعدة من دولة وصية إلى أن يصبحوا قادرين على حكم أنفسهم .

من الواجب أن يكون لرغبات هذه الجماعات القومية أهمية أساسية في اختيار الدولة الوصية) .

هذا وكانت اللجنة قد تلقت أثناء جولتها في سوريا، على مساعدة من الدكتور البرت . خ . ليمبير، والدكتور جورج . ر . مونغمري والنقيب ولسيم يابل بصفة مستشارين، والنقيب دونالد م . بروندي بصفة سكرتير ومسؤول مالي ، والدكتور سامي حداد ، أستاذ كلية الطب الإنجليزية السورية في بيروت بصفة طبيب ومترجم ، والسيد لورانس موركمدير والرقيب أول بول . وتورين بصفة مختزل .

هذا وكان جميع المستشارين قد اشتركوا في مؤتمر السلم المنعقد في باريس بصفة خبراء وكانوا باحثين للمشاكل الخاصة المتعلقة بالشرق الأدنى .

بخصوص الطريقة المناسبة لتقسيم الإمبراطورية العثمانية .

إذا لم يكن ممكناً تبرير عمل أناني وطامح لاستغلال تجزئة الإمبراطورية العثمانية
يستطيع المرء التساؤل :

لماذا سيكون من الضروري في كل الأحوال تقسيم آسيا الصغرى ؟

فبالنسبة لتقسيم كهذا يوجد سببان هامين على الأقل :

أولاً: الإدارة السيئة ومذابح الحكم التركي .

ثانياً : عدم قدرة تركيا التامة التجاوب مع المتطلبات الناجمة عن الموقع
الاستراتيجي الذي تحتله .

١- لا يمكن تجاهل حكم تركيا السيئ على مدى عدة قرون حتى بالنسبة
لمواطنين من أصل تركي .

يستطيع المرء أن يقبل بالكامل أن الأتراك يملكون خصائل شخصية ممتازة
وجذابة تجعلهم عادة ، محبوبين ربما على نحو أكثر من كل شعوب
الإمبراطورية ويحولون تقريباً دون إدراك أكثر الأجانب ، الذين يقيمون
لفترة زمنية طويلة في البلاد، إلى أصدقاء للأتراك. كما يستطيع المرء أن يقبل
أنه كان هناك نوع من التحمل السلي الخامل من قبل الحكومة التركية
للسعوب الأخرى ، والذي سمح لهذه الأخيرة بالعيش على الرغم من تعرضها
باستمرار للمهانة، والسلب والاضطهاد .

أيضاً يمكن أن يصبح مقبولاً من أن الأتراك تمكنوا ولفترات زمنية طويلة من
المحافظة على شكل للحكم لمناطق بعيدة بالكامل الواحدة عن الأخرى وأن
يعطوها طابع الوحدة، باستخدام مبدأ (فرق تسد) ومبدأ عدم التدخل في
الشؤون الداخلية للأقاليم الإدارية، طالما أنهم الأتراك مستمرون في الحصول
على مداخيل من هذه المناطق فضلاً عن استخدامهم قوميات أخرى على
نطاق واسع في جهاز الحكم .

أيضاً سيكون من العدل التنويه بدرجة إلى الضرر الفادح، الذي كانت تسببه دسائس الدول الأوروبية في الشؤون التركية .

٢- لكن على الرغم من إمكانية قبول كل هذا بسهولة ، يجب أن يرى المرء بوضوح أن حكومة الإمبراطورية العثمانية فشلت فشلاً ذريعاً على مدى زمن طويل بالرغم من التشريعات الجيدة ، لأن الخصائص الرئيسية لهذه الحكومة كانت الفساد المستمر، والخطف والرشوة . لذا يستطيع المرء أن يدعواها حكومة الاستغلال البسيط.

هكذا فإن رامسي الذي يحكم بشفقة على الأتراك يشعر أن من واجبه القول :

(طبعاً التركي هو رجل فاسد سواء كان ضابطاً أو مسؤولاً حكومياً فالرشوة هي قانون لا يمكن مخالفته) . ويشير إلى مزيج من الخوف والحقد تجاه مسؤولي الحكومة ، والمتأصلين على نحو عميق حتى لدى طبقة الفلاحين الأتراك .

سوف لن يكون مبالغاً فيه القول أن التاريخ التركي يشير إلى لامبالاة كاملة للحكومة حتى بالنسبة لأكثر الواجبات الأساسية والبسيطة في كافة أنحاء الإمبراطورية .

٣- فليؤخذ بعين الاعتبار أن معاملة الشعوب الأخرى الخاضعة كانت أكثر سوءاً من معاملة الأتراك .

فبالنسبة هؤلاء لم يكن أي شيء في أمان ، لا ممتلكاتهم ولا حياتهم ولا حياة أطفالهم ونسائهم . وقد جاءت لتضاف إلى كل هذا مذابح الأرمن الفظيعة لاسيما منذ عبد الحميد وبعد، وأعمال تهجير اليونانيين المماثلة على نحو ما . وقد ثبت أن هذين الشعبين هما أكثر قدرة ، وأكثر نشاطاً ، وأكثر ذكاءً وأكثر رفاهية من الأتراك أنفسهم مما نجم عن ذلك أنهم أصبحوا

مكروهين ومصدر خوف للأخيرين دون شك ليس دون بعض الاستفزازات من قبلهم في بعض الحالات .

هذا ويعود سبب هذه المذابح إلى السياسة المباشرة والجائرة للحكومة والتي أظهر الشعب استعداداً كبيراً للمشاركة فيها .

هذه المذابح لم تكن جرائم فورية الغضب وقد جرت أثناءها فظائع لا توصف يجب ألا ننسى أن المذابح لم تجر في زاوية ما معزولة .

قليلة هي الأحداث التاريخية التي تم جمعها بعناية تامة وفحصها بالتفصيل وفرزها كما حدث بالنسبة للمذابح في الإمبراطورية العثمانية .

فتقرير السيد برايس حول (معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية في أعوام ١٩١٥ - ١٩١٦) لا يدع مجالاً للشك في الأحداث الرئيسية . ومن العبث

أن يحاول المرء إنكار صحتها أو أن يقلل على نحو هام من شأنها .

في هذا السياق يقول اللورد برايس المؤرخ المحنك ذاته بخصوص التقرير في أنه : لم يحتو أي شيء يمكن أن يكون أمراً مشكوكاً فيه منطقياً . وبتقديره لأهمية الشهادات يؤكد أنها :

١- (صادرة تقريباً بأكملها عن شهود عيان) .

٢- (تعتمد الأحداث الرئيسية فيها على شهادات ، صادرة عن جهات مختلفة ومستقلة) .

٣- (جرت هذه الأحداث والأحداث المشابهة في طبيعتها في مناطق مختلفة تمت الإشارة إليها من قبل شهود مختلفين ومستقلين والذين من ضمنهم دائركيين وألمان) .

٤- (إن حجم هذه الشهادات ذات العلاقة المتبادلة والصادرة عن مصادر، مختلفة هو كبير إلى درجة، أن الأحداث الرئيسية لا خلاف حولها بالكامل) .

٥- (يجب بشكل خاص ملاحظة أن ، العديد من هذه الروايات الفظيعة والتي تقشعر لها الأبدان هي تلك التي يوجد عنها شهادات وافرة من قبل أكثر الشهود المحايدون والجديرين بالثقة .ولا تعتمد هذه الفظائع حتى ولا واحدة منها على شهادات أشخاص محليين لوحدهم) .

ويضيف قائلاً : (إن تعداد هذه المذابح التي سبقت يشير إلى أن هذه الجرائم هي جزء من سياسة الزعماء الأتراك،التي تعود إلى زمن بعيد وتم تكرارها باستمرار.... هذا وإن المحاولات التي تمت لإيجاد تبريرات للمذابح الجماعية واقتلاع شعب بأكمله من مواطن سكناه لاتدع مجالاً للشك من أن المذابح وأعمال التهجير قد حدثت بالفعل. كما تم تقبل الأحداث الرئيسية من قبل المجرمين أنفسهم ... إن سقوط التبريرات التركية هي كاملة قدر الأدلة بخصوص الفظائع ذاتها). وبكتابته للورد برايس ، يعطينا السيد مورفيلد الرئيس السابق لاتحاد الحقوقيين الأمريكيين، رأي الحكم الطبيعي لأحد الذين لديهم خبرة في تقرير الأدلة قائلاً :

(حسب رأي ، إن الدلائل التي يحويها تقريركم هي مصدر ثقة بقدر تلك التي تستند عليها اعتقاداتنا لأحداث تاريخية تم تقبلها على نحو عالمي واعتقد أنها تُبرهن فضلاً عن كل شيء منطقي بالقرار الجائر للسلطات التركية لإبادة الأرمن ومسؤوليتهم عن الفظائع البشعة التي اقترفوها بحق هذا الشعب البائس) .

ليس أمراً مسروراً أن يستدعي أحدٌ لذاكرته هذه الأحداث المأساوية، لكن توجد أدلة قليلة بأن الحكومة التركية والشعب التركي في مجموعهم قبلوا أو أدانوا جريمة المذابح الأرمنية أو أنهم قاموا بعمل محاولة تستحق الذكر لتصحيح الوضع .

هذا وقد قامت بعض الجماعات التركية الصغيرة بإعطاء الأوصاف المناسبة لهذه الجرائم ، لكن لا يوجد شيء يشير إلى الندم أو ثمار الندم من قبل الغالبية العظمى للشعب التركي أوزعمائهم أو تقلد عود مؤكدة من أنه من غير الوارد أن يتم تكرارها ، مع أنه يوجد بلا شك مبرر ما للامبالاة المتعلقة بذلك والتي يتصدى الأتراك فيها لهذه المذابح، بسبب بعض النشاطات الثورية للأرمن في بعض الحالات وحالة الشقاء منذ عهد بعيد، والحرمان والآلام التي يعاني منها مجمل السكان الأتراك بعد عشر سنوات من الحروب والاضطرابات .

هذه الجرائم - والتي هي من أكبر جرائم التاريخ - لا يمكن نسيانها وعدم أخذها بعين الاعتبار حين البحث عن حل عادل للمسألة التركية .
إذا لم يكن من الوارد التغاضي عن المآسي المبالغ فيها، فإن ما لا يمكن تجنبه هو أن أي حل عادل للمسألة التركية يجب أن يتضمن قدراً بسيطاً من العدالة التي يمكن أن تعطى في هذه الحالة .

ترى هل من الغرابة بمكان أن شعر اللورد برايس بالحاجة للكتابة في مقدمة تقريره حول مذابح الأرمن عام ١٩١٥ - ١٩١٦ في القول :
(إن سجل هؤلاء الذين يحكمون تركيا هنا ومنذ ٢-٣ قرون، من السلطان الجالس على عرشه إلى آخر متصرف، هو بمجمله جدول مستمر من الفساد، والمظالم والاضطهاد والتي تصل باستمرار إلى الوحشية الشنيعة ...

أيمكن للمرء أن يأمل من أن مساوئ مثل هذه الحكومة يمكن معالجتها ؟
إن الشهادات التي يتضمنها هذا التقرير تقدم أكبر برهان مخيف ومقنع من أنه يجب أن لا يسمح لها بعد الآن من أن يكون تحت حكمها مواطنون ينتمون إلى ديانات أخرى) .

من الغريب أن ليس بإمكان اللورد برايس أن يترع عنه الاعتقاد بأن هذه الأحداث ترتبط على نحو لا يمكن تفاديها بالحل المناسب للمسألة التركية .
(يبدو مرغوباً بوضوح) يكتب اللورد برايس (أن يتمكن الرأي العام للدول المحاربة - وكنت سأضيف أنا الدول المحايدة أيضاً - بما أنه سيتم إعلامها بكل ماجرى في آسيا الصغرى وأرمينيا

من أن يكونوا في وضع من يلقي العبء تجاه المسيرة الصحيحة المتعاقبة عندما تنتهي هذه الحرب ويتم القيام بإعادة الصياغة السياسية للشرق الأدنى) .
بالتأكيد إن مؤتمر السلم كان محققاً بالكامل عندما اتخذ القرار التالي :
(..... خاصة وبسبب الإدارة التركية السيئة المثبتة تاريخياً للشعوب الخاضعة لها والمذابح الأرمنية المخيفة فإن الدول الحليفة والمشاركة معها توافق على وجوب اقتطاع أرمينيا بالكامل من الإمبراطورية التركية) .

هذا وكان مؤتمر السلم يهدف إلى إنشاء وطن أرمني مستقل ويبدو ذلك واضحاً من نشاطات المؤتمر فيما بعد بخصوص أرمينيا مثل تعيين الكولونيل هاسكيل بصفة مندوب سامي على أرمينيا من قبل الدول الأربعة الكبرى وتعيين الجنرال هاربرد من قبل الرئيس ويلسون كي يقوم بتقصي الظروف التي كانت سائدة في أرمينيا

كما أن أحداثاً كثيرة لا على التعيين تشير للتطلعات العامة من قبل الحلفاء إلى أن من المنتظر إنشاء دولة أرمنية .

٤ - السبب الكبير والأساسي لقرار مؤتمر السلم هذا هو بلا شك المذابح الأرمنية التي أشرنا إليها أعلاه . غير أنه يجب طرح السؤال ما إذا كان بالإمكان التصدي للحالة التي نشأت بخلق دولة أرمنية مستقلة وحسب ؟
لأنه يجب أن نتقبل أن إنشاء هكذا وطن هو أمر صعب جداً ومعقد .
لماذا إذاً من الضروري إنشاء وطن أرمني مستقل ؟

ماهي الأسباب التي تجعلها ضرورية ؟

فالبديل الوحيد الممكن لإنشاء أرمينيا هو وصاية عامة ، من قبل إحدى الدول العظمى، على كامل آسيا الصغرى والذي سيضمن حقوق متساوية لكل عناصر السكان، ولكل الشعوب والديانات .

لو أن مثل هذه الوصاية تم تنفيذها بأمانة سيكون بوسعنا بالتأكيد أن نتنظر حكماً أفضل بكثير وفق النماذج العصرية .

غير أن نظام وصاية عصبة الأمم ينص على أن الوصاية ستكون لفترة زمنية محددة . لكن لو تم تمديد فترة الوصاية ماذا كان سيحصل عندما كانت

ستنسحب الدولة المكلفة بالوصاية ؟

بالطبع سيكون من غير المحتمل ألا يواصل الأتراك الذين كانوا سيشكلون الغالبية القيام بإغراق هذه الدولة في الكثير من مآسيهم القديمة ، والمتضمنة اضطهاد الكثير من الشعوب الأخرى .

مع الأسف فإن تاريخ الأتراك يدع القليل جداً من المجال كي نأمل في شيء أكثر من ذلك .

يمكن إذاً القول أن الأسباب التي تدعم فكرة إنشاء وطن أرمني مستقل هي :

- ١- عدم قدرة الأتراك المثبتة من أن يحكموا الآخرين أو حتى أنفسهم.
- ٢- تبني المذابح المتكررة من قبلهم . كسياسة حكومية جائرة .
- ٣- انعدام السند التام تقريباً بخصوص المذابح أو إدانة الجريمة (ربما يحاول الأتراك تبريرها) .
- ٤- عدم قيام الأتراك بعمل أي شيء لجهة إعادة توطين الأرمن أو القيام بدفع تعويضات لهم .
- ٥- على العكس من ذلك ، توجد أدلة على استمرارهم في تغذية مشاعر العداء تجاه الأرمن بالإضافة إلى تهديدات مبطنة بمذابح جديدة .

٦- كما أنه أمر مثبت على نحو كاف من أن الشعبين لا يستطيعان العيش معاً بسلام وكرامة ، وبأي طريقة إلى درجة أن من الأفضل أن يعيشا في دول منفصلة .

٧- على الرغم أن شروط معاهدة - برلين - عام ١٨٧٨ ، مهما كانت ضارمة فإنها فشلت في حماية الأرمن .

٨- إن أساسيات العدالة تتطلب وجود منطقة على الأقل في تركيا يستطيع الأرمن اللجوء إليها والتي سوف لن يكونوا ملزمين على العيش فيها تحت الاحتلال التركي

٩- سوف لن يقدم شيء أقل من هذا ضماناً أمن كافية للأرمن وسوف لن يرضي رغبة العالم بخصوص هذا الموضوع .

١٠- لقد تمكن الأرمن بالتأكيد في العهد الحالي لعصبة الأمم ، من أن يربحوا بآلامهم ، وتحملهم وتمسكهم بالمثل ، وإرادتهم التي لا تتزعزع ، وطموحاتهم وخيبهم للعمل وقدرتهم وثقتهم بأنفسهم الحق في أن يطمحوا للعيش في وطن مستقل .

١١- إن وجود مثل هذا الوطن المستقل قد يجعل معاملة الأرمن في مناطق تركيا الأخرى أكثر احتراماً .

١٢- كما أنه لا يوجد بديل كاف لمثل هذه الدولة .

هذا وأن مصلحة الأرمن و الأتراك والسلم العالمي تقتضي أن يدفعوا قدماً موضوع إنشاء وطن أرمني مستقل .

١٣- علاوة على أن السبب الوحيد لتقسيم عادل لتركيا ليس (سوء الحكم المثبت تاريخياً) والذي يضع بحق موضع شك حقها في أن تحكم شعوباً أخرى ولكن أيضاً عدم أهليتها بالكامل بالنسبة لأهمية موقعها الإستراتيجي الذي توجد فيه .

إن حقيقة سوء الحكم منذ القدم على وجه التحديد وارتباط ذلك مع حقيقة امتلاكها موقع في منتهى الأهمية بالنسبة للعالم ، يحولها إلى (خطر بالنسبة لحرية وأمن كل الدول) ويجعل ضرورياً تحديد حجمها لمصلحة معظم البشر والشعوب الخاضعة لها .

١- ولأنه تم الاستحواذ على تركيا كما قال دومينيان (من قبل شعب ثبت تاريخياً عدم قدرته على تحويل هبات الطبيعة إلى شيء مفيد أو مربح) . ولكن مهما كان مدهشاً فشلهم الاقتصادي ، فإن فشل الأتراك هو بعيد كل البعد من أن يكون ببساطة فشلاً خارجياً أو مادياً . لقد كانت تركيا لعنة بالنسبة للشعوب التي احتلتها .

كما يصفها - ربما بشكل صارم ومبالغ فيه - السيد رامسي :
قائلاً : (إن نشاط الأتراك في أي من جوانب الحياة لم يكن شيئاً سوى القيام بالتدمير دون القيام بالبناء ... فقد قاموا بتدمير المؤسسات الروحية والمعنوية لأمة ، كما قاموا بتحطيم وتفكيك بنيته الاجتماعية وقوضوا كل نفوذ حضاري وثقافي في البلاد ودفعوا قسماً كبيراً منها للحياة البدائية البسيطة الرعوية ... لا يوجد تقريباً في آسيا الصغرى ، تشريع تركي يمكن أن يبدو منه قدر من الفائدة الاجتماعية إسلامي ربما في مظهره الخارجي ومزور عادة مع مرور الزمن) .

٢- ولأن مصاعب النفوذ المدمر للحكم التركي تزداد بدرجة كبيرة من الأهمية الكبيرة للموقع الذي تحتله ، أولاً وقبل كل هذا ، ووفقاً لأقوال أحد العارفين بيوطن الأمور .

(فتركيا هي فوق كل شيء ممر ، دولة — جسر— وإن أي حل يتعلق بهذه المسألة السياسية لا يمكن تنفيذه ما لم يؤخذ بالكامل بعين الاعتبار خصوصياتها الجغرافية ... لقد كانت تركيا دائماً طريقاً للتجارة و الحضارة بين أوروبا

من جهة و آسيا و أفريقيا من جهة أخرى...والطرق التي تمتد من هذه المناطق،تلتقي على الأرض التركية وربما هي من أقدم طرق العالم التجارية على كل حال فإنها تأتي من المناطق التي نشأت فيها أقدم الحضارات) .

إذاً فتركيا موجودة في (ملتقى القارات الثلاث وبالتالي على مسرح الأحداث)،وهي نقطة (التقاء طرق المواصلات البرية الرئيسية) وقد تحولت هكذا بدرجة مميزة (إلى نقطة التقاء الشعوب الذين يرتبطون عموماً بالقارات الثلاث التي توحيدها هذه البلاد . هكذا يوجد في هذه البلاد تمثيل حاد للشعوب الآرية و الطورانية و السامية) .

كما يترافق موقعها الجغرافي مع طبوغرافيتها * كي (تصنع علاقة تركيا مع العالم الواقع خارج حدودها .

هذه العلاقة تصبح سهلة تستحق الإعجاب من سلسلة من الطرق الطبيعية التي تقود من وإلى البلاد عبر المتوسط ،وبحر إيجه، والمضائق والبحر الأسود والتي موانئها هي آخر محطات الطرق الكبيرة لشمال شرق أوروبا وشمالها وآسيا الوسطى وعبر سهول سوريا) . إلى هذا (فإن المسألة الشرقية هي قديمة قدم تاريخ الحضارة في هذه النقطة المحددة من العالم ولم يكن سوى المشكلة الدولية الخطيرة في تحديد الشعب أو الأمة التي ستسيطر على المضائق التي تفصل أوروبا عن آسيا ، وفي من سيحصل على ضرائب المرور الضخمة لتجارة المنطقة) .

الآن وبموجب وجهات النظر الجديدة لعصبة الأمم والدول الوصية، التي ينبغي أن تهم برفاهية وتطور الشعوب التي وضعت بشكل مؤقت تحت وصايتها مثل (وديعة حضارة مقدسة) ، توجد نية في أن تتحول المسألة الشرقية الأزلية من معركة أنانية بين الدول إلى مسألة الاعتراف الدولي

* طبوغرافيا : هي السيمات السطحية لموقع أو إقليم (وتشمل الهضاب والأودية والبحيرات والأنهار والطرق والجسور الخ) .

الكبير أو الاهتمام العالمي بمشكلات المنطقة وأن يؤخذ بعين الاعتبار جدياً هذا الاهتمام العالمي، دون إحداث خسائر كبيرة لمصالح الشعب التركي المعني مباشرة، ولكن على العكس من أجل أكبر قدر من الفائدة لهذا الأخير لأنه إذا استثنينا حالة دولة في منتهى القوة فإن موقعاً مثل موقع تركيا يحول البلد الذي يملكه إلى فريسة مستمرة للدول المحاربة، بطريقة إلى الحد الذي كان فيه السيد دومينيان محقاً حين قال بخصوص تركيا :

(إن البلاد تهتز تحت ثقل البؤس الذي أثقل كاهلها موقعها المركزي في نصف الكرة الشرقي). لقد كانت هذه الحالة سبباً لصعوبات جمة بالنسب لتركيا. حسناً أليس الوقت مناسب، بعد أزمة التاريخ العالمية التي حدثت مؤخراً وتضحيات الحرب العالمية التي لا تحصى، في أن يعترف الأشخاص الأذكياء بحماقة وبطلان الطريقة القديمة للتنافس السياسي التجاري الوطني المستمر وأن يتصدوا للمسألة الشرقية الأزلية بروح جديدة بالكامل؟

٣- ولأن تركيا تتميز بأنها (دولة -جسر) فإنها أصبحت (دولة محط أطماع الدول الأخرى) هكذا إلى درجة أصبح فيهارامسي في موقع القائل بأن النقطة المركزية في مشكلة آسيا اليوم هو ما كان موجوداً على الدوام : أي الاصطدام بين الروح الشرقية والغربية. (حيث كان الجزء الأكبر من آسيا الصغرى قد أصبح شرقياً فيما يتعلق باللغة وطريقة الحكم قرابة العام ١٠٧٠ وعلى مدى ثمانية قرون لم تكن سلطة العنصر الشرقي في آسيا الصغرى موضع نقاش .

طبعاً كان هذا العنصر يتغلغل بعمق في أوروبا ... غير أن آسيا اضطرت للتراجع تدريجياً خطوة وراء خطوة وبدأ السباق ثانية في آسيا الصغرى .

ففي الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى كان العنصر اليوناني قد زاد على نحو ضخم فيما كان العنصر التركي قد ضعف . كان العنصر الشرقي في تلك المناطق قد بدأ يشيخ ويموت ببطء ولكن على نحو راسخ . وكان عبد الحميد وفيما بعد حركة الأتراك قد قاموا بالتخطيط والإعداد لمحاولة إحياء الروح الشرقية .

غير أنه كان محكوماً على الروح الشرقية بالاندثار حتى في الجزء الشرقي من آسيا الصغرى... فكل شيء شرقي كان يتراجع ويموت في هذه البلاد) . ربما كان تحليل رامسي صحيحاً وهاماً. ولكن ألا يوجد شيء أكثر أهمية مما يجب أن نتصوره من الإبعاد التدريجي (للروح الشرقية) من تركيا ؟ فمن جهة ، هذه الروح هي محكوم عليها ويجب إبعادها .

هل بوسعنا أن نأمل من أنه سيتم وضع حد للاستبداد الشرقي في تركيا عندما تنشأ في تركيا دول، سوف لن تنظر إلى المواطنين كأصحاب إمتيازات وإلى آخرين ممن لا إمتيازات لهم ، ولكن كمواطنين على قدم المساواة أمام القانون ؟

ولكن حتى نحن أنفسنا من غير الوارد أن نتحرر من الاستبداد الغربي ألم تكن إحدى مبادئ الحلفاء الرئيسية في الحرب من أن أي أمة وأي(حضارة) (يشير الكاتب إلى النظريات المتعلقة بتفوق الحضارة الألمانية ، والتي يدعيها منظر جامعة الشعوب الألمانية) مهما كانت كبيرة ومتفوقة ، فهي ليست جيدة حينما تزيل الحضارات الأخرى ؟

ألا توجد مثل شرقية يجب أن نعترف بجميلها وأن نحافظ عليها بعناية ؟ ألا تستطيع تركيا ، لأنها أصبحت (دولة - جسر) ودولة محط أطماع الدول الأخرى ، أن تصبح دولة - تتوسط بين الشرق والغرب بالمعنى الرفيع والغني المضمون ، وأن تعلم الشعوب كيف يوفقون بين هدوء

الشرق وواقعية الغرب ، وشعور الشرق الديني مع روح الغرب العلمية وروح تضامن الشرق مع روح استقلالية الغرب ؟
وكمثال مميز للقيم الروحية ، التي يستمر الإسلام في الحفاظ عليها، نستطيع الإشارة إلى الإنجازات الهامة لمذهب السنوسية ،التي أنشأت دولة مترامية الأطراف في صحراء بلاد غير مضيافة ، حيث أشادوا ونظموا ووقفوا بين سكان متخلفين بالكامل في قلب أفريقيا خلال سنوات قليلة وتحت تأثير واضح للمبادئ الإسلامية .

إن دولة كهذه ما كان يجب أن يتم إلغاؤها دون سبب خاص .
إن وجودها يقدم ضمانات عديدة من أنه،وفق نظام حكم ديمقراطي جديد، وفي الوقت المناسب ،فإن المسلمين سيبرهنون على مقدرتهم في بناء وإدارة دولهم في العالم العربي وفي شبه جزيرة آسيا الصغرى .

لو أن إعلانات دول المحور من أنهم سوف لن يضايقوا العالم الإسلامي أكثر،معطين هكذا الذرائع لحركة جامعة إسلامية ،هي صادقة، فإنه يتوجب على هذه الدول أن ترفض أيضاً بشكل نهائي وعلائية كل تغلغل إضائي في هذا العالم وأن تقوم بإعداد خطة تنمية واضحة لاتباع هذه الديانة من المسلمين ، مع فرص واسعة في التعليم أو في الخدمات الاجتماعية لهم .

٤- واضعين بعين الاعتبار مثل هذا الهدف على نطاق واسع على قدر الإمكان بخصوص هذا(البلد - الجسر) أو(البلد محط أطماع الدول الأخرى) من نصف الكرة الشرقي ، يقترب المرء من مسألة الإشراف على إستانبول والمضائق بروح مختلفة حيث الحالة فريدة، والعلاقات معقدة وخطيرة إلى حد والمسؤوليات ضخمة إلى حد كبير والإمكانات واسعة بقدر كبير إلى حد أن أي أمة لن تكون قادرة بمفردها على التجاوب مع متطلبات هذا العمل وبخاصة تركيا بسجلها المثقل إلى أقصى الحدود بالحكم السيء .

لا يوجد في العالم حالة أخرى تستوجب على نحو ملح الإشراف الدولي - ليس فقط لوضع حد للزاعات الانانية والدسائس المستمرة ولكن - فوق كل شيء - ل يتم استغلال إمكانيات هذه الفرصة الهامة لصالح البشرية عامة. ولكي يتم هذا يستدعي الأمر إنشاء دولة في منطقة إستانبول، تكون تحت الإشراف المستمر لعصبة الأمم، لكن ربما سيكون من الأفضل أن يتم إدارتها من قبل دولة واحدة وصية والتي ستقدم باستمرار تقريراً لعصبة الأمم ، التي سيكون من حقها نزع هذه الوصاية عنها.

للهولة الأولى إن مثل هذا الحل سيلقى بلا شك معارضة غالبية الأتراك. غير أن تركيا ليست في وضع يمكنها من التجاوب مع حجم المسؤولية العالمية حيث يجب أن تسود المصالح العالمية الأوسع .

فضلاً عن أن من الأفضل لتركيا ذاتها أن تتخلص من هذه المسؤولية التي لا يمكن تحملها وأن تنشئ دولتها بعيداً عن هذه المنطقة، والتي كانت على مدى قرون مركز عدد لا يحصى من الدسائس والمؤامرات وسيعيش المواطنون الأتراك العاديون أكثر سعادة في دولة ستكون محمية من الإمبريالية التي ترصدها وستكون حرة في أن تخصص اهتمامها من أجل رفاهية مواطنيها .

الآن لو أننا تركنا هذا الجانب من المشكلة المباشرة لآسيا الصغرى ونظرنا للمشكلة العامة للإمبراطورية العثمانية السابقة بمجملها، حيث يمكن أن تظهر أسباب أخرى لتقسيم الإمبراطورية العثمانية .

١- إن الحفاظ على كامل الإمبراطورية العثمانية ، حتى لو كانت تحت الوصاية، سوف يتضمن فيما بعد خطر إحياء وإعادة التاريخ مع الأخذ بعين الاعتبار إذكاء نار الخلاف المستمرين الدول الكبرى لذا يجب ألا يتم إغفال هذا الخطر .

٢- لا تشكل الإمبراطورية العثمانية في صورتها الحالية وحدة متجانسة من أي وجهة نظر وبالتأكيد ليس من وجهة نظروحدة أجزائها الناطقة بالعربية وغير الناطقة بها . حيث لا توجد وحدة مصالح بين أجزائها عدا عن الحاجة المشتركة للجميع لحكم جيد .

هذا وسوف لن يكون مبالغاً فيه القول أنه على الرغم أن البلاد كانت وحدة متجانسة من وجهة نظر التجارة القارية والأسفار إلا أنها كانت في الحقيقة مقسمة .

ومن ثم فإن من المحتمل وجود فائدة منفصلة من تقسيم مشكلاتها بهذه الطريقة والبحث عن حل منفصل لكل واحدة من هذه المشاكل .

فعلى سبيل المثال،تشكل كل من سوريا،وبلاد ما بين النهرين والحجازوحدة منفصلة كل على حدة .ومن ثم كان طبيعياً بالنسبة لمؤتمر السلم أن يقرر وجوب اقتطاع سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين والحجاز بالكامل من الإمبراطورية العثمانية .هذا وقد تم بحث الأمور المتعلقة بالدول الثلاث ، في تقاريرلجنتنا السابقة

على كل حال كان بوسعنا الإشارة بإيجاز إلى أن هذه المناطق هي مقطعة من تركيا بسبب الاختلاف في اللغة ، والعادات والحضارة، وأن سكانها لا يرغبون في ارتباط أكثر مع تركيا بل على العكس انهم استقبلوا بحماس تحررهم من النير التركي وأنه توجد إمكانية لإنشاء دولتين وطنيتين قوميتين: على الأقل في أجزاء الإمبراطورية العثمانية السابقة الناطقة بالعربية وهما سوريا وستشمل فلسطين، وبلاد ما بين النهرين ،وفقاً لرغبات مؤتمر السلم ورغبات السكان أنفسهم .

يجب بالطبع ، سواء بالنسبة لسوريا أوبلاد ما بين النهرين البقاء تحت الوصاية لفترة زمنية محددة .

- إن نتائج بحثنا بخصوص الطريقة العادلة لتقسيم الجزء التركي من الإمبراطورية العثمانية - إذا كان إنشاء دولة في منطقة إستانبول واقتطاع الأجزاء الناطقة بالعربية يعتبر حقيقةً مسلماً بها - تشير إلى ضرورة الحفاظ على دولة تركية صرفة، بضمانات لنظام عادل لكل الشعوب التي ستشكلها خلاصة الأمر ، إن المسائل الواجب دراستها هي :
مسألة أرمينيا الحرة ، ومسألة دولة عالمية في إستانبول ، والمسألة التركية ،
ومسألة اليونانيين ومسألة الاقليات الأخرى .

الوحشية التركية في آسيا الصغرى

مذابح أعوام ١٩١٥ - ١٩١٦، الكشف عن الأوامر السرية

تقرير من أحد المراسلين الدبلوماسيين

إذا كان أحد يشك بشهادات موظفي النيرايست ريليف بخصوص الأعمال الوحشية ، التي اقترفها الأتراك في آسيا الصغرى بعد هدنة ١٩١٨ وبعد ، ليس عليه سوى قراءة البرقيات التركية الرسمية ، التي تشير إلى مذابح الأرمن وتهجيرهم في أعوام ١٩١٥ - ١٩١٦ .

حيث كان قد تم إرسال هذه البرقيات من قبل طلعت باشا وزير الداخلية آنذاك ورئيس الوزراء لاحقاً ، والتي كانت موجهة لولاية حلب التركية . أشك ما إذا كان التاريخ العالمي قد سجل أعمال تهجير وجرائم أكثر بشاعة ودليل أكثر إدانة لتصرفات الأتراك الجدد المعاصرين القذرة و القاسية ، والذي يحتبئ الآن خلف قناع الكمالية . فلا زالت روح طلعت تبعث حياة في زملائه السابقين ومرؤوسيه الذين يوجد العديد منهم على رأس السلطة في أنقرة .

(يجب تصفية الجميع)

٩ أيلول عام ١٩١٥ .

يحرم جميع الأرمن بالكامل من حق العيش و العمل على الأرض التركية . هذا وقد قامت الحكومة ، التي أخذت على عاتقها كل مسؤولية هذا الشأن ، من إعطاء أوامر بعدم ترك حتى الأطفال الرضع أحياء في المهده . وقد تم مسبقاً تطبيق هذه الأوامر في بعض الأقاليم .

وبالرغم من كل هذا ولأسباب مجهولة بالنسبة لنا ، تم استثناء بعض الأشخاص ، الذين بقوا في حلب بدلاً من إرسالهم إلى مناطق نفهم .

وهكذا وجدت الحكومة نفسها في مواجهة مصاعب جديدة . ينبغي تصفية هؤلاء جميعاً دون استثناء ودون إعطاء أي أهمية لاحتجاجاتهم وبصرف النظر ما إذا كانوا نساءً ، أو أطفالاً أو مرضى أوضاعهم خطيرة ، ودون السماح للسكان المحليين بأي ذريعة لحمايتهم .

وقد قام الشعب نظراً لجهله بوضع مصالحه المادية فوق أحاسيسه الوطنية كما أنه ليس في وضع يمكنه من إدراك السياسة الهامة التي تتبعها الحكومة . وآخذين بعين الاعتبار أنه تم في مناطق أخرى تطبيق وسائل إبادة غير مباشرة مثل المعاملة القاسية ، والإسراع في المسير، والمرور عبر طرقات وعرة ومشاق أخرى بإمكانكم اللجوء دون إبطاء إلى استخدام وسائل مباشرة .

هذا وقد قامت وزارة الحربية بإخطار القيادات العسكرية بعدم وجوب تدخل قادة المخططات العسكرية في أمر نقل المهجرين .

بلغوا الضباط الذين سيكونون مسؤولين عن تنفيذ هذا العمل ، بوجوب عدم الخوف من المسؤوليات وأن يتغلبوا على أحاسيسهم ليتم تحقيق هدفنا الحقيقي .

ستقومون بإخطاري كل أسبوع عن نتائج نشاطاتكم ببرقيات مشفرة .

(دون تأنيب الضمير)

١٥ أيلول عام ١٩١٥ .

كما تم إعلامكم سابقاً، فإن الحكومة وبأمر الجمعية (جمعية الاتحاد و الترقى) قررت إبادة الأرمن ، الذين يقيمون في تركيا على نحو تام ، وكل الذين يعارضون هذا القرار والأمر لا يستطيعون الاستمرار في خدمة الحكومة .

يجب وضع حد ، دون سماع صوت تأنيب الضمير ودون أي استثناء ، لوجود النساء والأطفال و المرضى الذين حالتهم سيئة .

(في الصحراء)

٢٩ أيلول ، عام ١٩١٥ .

علمنا أن بعض أفراد هذا الشعب بالإضافة إلى الضباط قد تزوجوا من أرمنيات. هذا الأمر ممنوع بصرامة . وأعتبر أن من الأهمية بمكان أن يتم طلاق هؤلاء النساء و إرسالهن إلى الصحراء .

(يجب إخفاء الطرق الاعتيادية)

١٨ تشرين الثاني عام ١٩١٥ .

بموجب احتجاجات، قدمتها لنا مؤخراً السفارة الأمريكية وفقاً لأوامر حكومتها يبدون أن القناصل الأمريكيين قد حصلوا على معلومات بطرق سرية وكان جوابنا أن التهجير يتم بطريقة مضمونة ومريحة ، غير أن هذا التأكيد فشل في إقناعهم .

لذا يجب أن تكونوا حذرين بحيث لا تحصل حوادث لدى مرور الأرمن خارج المدن والقرى الكبيرة والمراكز الأخرى والتي يمكن أن تلفت الانتباه . وبموجب سياستنا الحالية من المهم جداً أن يقتنع الأجانب الذين ينتقلون في هذه المناطق من أن الهدف الوحيد للتهجير هو تغيير مكان الإقامة .

لهذا السبب من المهم أن تظهروا في الوقت الراهن لطفاً وأن تلجؤوا للطرق الاعتيادية فقط في الأماكن المناسبة. كما أطلب منكم بخصوص هذا الموضوع أن تعتقلوا الأشخاص ، الذين يقومون بنشر هذه الأخبار والذين يطلبون التحقق من الأحداث وأن تقودوهم بعد ذلك إلى المحكمة العسكرية بتهم أخرى مختلفة .

(التسامح أمر لا يغتفر)

١ كانون الأول عام ١٩١٥ .

مع أنه كان ينبغي أن تظهروا نشاطاً خاصاً بخصوص إبادة الأشخاص المذكورين ، فقد علمنا أنه تم إرسال البعض من هؤلاء إلى مناطق مشبوهة مثل القدس .

إن مثل هذا التسامح خرق لا يغتفر . فالمكان المناسب الوحيد لتهجير هذا النوع من مسيحي الاضطرابات هو الصحراء .
كنت سأنصحكم العمل وفقاً لما ذكر أعلاه .

(التخلص من الجثث)

٢ كانون الأول عام ١٩١٥ .

علمنا أن بعض الضباط الأجانب يقتربون من جثث الأفراد الذين تعرفون ، على طول الطريق ويقومون بالتقاط صور لهم .
أحيطكم علماً أنه أمر في منتهى الأهمية أن يتم دفن هذه الجثث مباشرة وأن لا تترك مكشوفة في الطرقات .

(الإبعاد دون توقف وسط الطريق)

٤ كانون الثاني عام ١٩١٥ .

أنصحكم مستقبلاً وبصورة عامة أن ترسلوا مباشرة إلى مكان التهجير كل الأرمن الذين يصلون من الشمال ، دون أن تسمحوا لهم بالتوقف في أي مدينة أو قرية كبيرة .

(يتطلب الأمر نتائج سريعة)

١٥ كانون الثاني عام ١٩١٦ .

تم إعلامنا بوجود ٤٠ - ٥٠ ألف من النساء والأطفال بخاصة في ضواحي أيدلمي وإيران وعلى طول الطريق حتى حلب .

هذا وسيتم بمنتهى الصرامة معاقبة كل الأشخاص المسؤولين عن تجمع هؤلاء الضالين في مناطق لها مثل هذه الأهمية لتنقل قوات الجيش .

قوموا بالتفاهم مع مسؤولي ولاية أضنة باتخاذ الإجراءات المطلوبة لعودة هؤلاء مباشرة سيراً على الأقدام إلى أماكن إبعادهم ولا تسمحوا لهؤلاء الأرمن بالمرور عبر حلب .

سوف أنتظر بفارغ الصبر إعلامي بالنتائج التي ستكونون قد حققتموها خلال أسبوع .

(ربما سيكون من المهم الإشارة إلى أن واليين على التوالي من ولاية حلب وهما جلال بك وبكر سامي بك قد رفضا تنفيذ هذه الأوامر الإجرامية وقد قام طلعت بعزلهما الواحد بعد الآخر) .

(الحكم على الأيتام بالموت)

كل هذه الرسائل متعلقة بمصير أطفال الأرمن اليتامى .

١٥ كانون الثاني عام ١٩١٥ .

علمنا أن بعض دور الأيتام ، التي فتحت في بعض المناطق، تقبل أطفال بعض البشر وبما أن الحكومة تعتبر وجود دور الأيتام ضاراً لأن إطعام هؤلاء الأطفال أو إطالة أعمارهم أو إظهار الشفقة لهم سيكون على النقيض من سياستنا في التخلص من هؤلاء ، إما لأن هدفنا الحقيقي لم يصبح مفهوماً للقائمين على دور الأيتام أو لأنه لم يصبح مقبولاً من قبلهم . فإنني يجب أن

ألفت انتباهكم حتى لا تقبلوا مثل هؤلاء الأطفال في دور الأيتام ولا أن تنشئوا دور أيتام خاصة هؤلاء .

٣ أيلول عام ١٩١٥ .

ننصحكم أن تطبقوا على النساء أو على الأطفال على حد سواء التعليمات التي كانت قد أعطيت لكم بخصوص رجال من نوع محدد من الناس وأن تعينوا لهذا الهدف ضباطاً جديرين بالثقة .

٢١ أيلول عام ١٩١٥ .

لا توجد حاجة لمثل دور الأيتام هذه ، فليس هذا الزمن الذي نخسر فيه الوقت من أجل إطعامهم وإطالة أمد حياتهم والرضوخ لأحاسيسنا . أرسلوهم إلى الخلف (بقصد إلى الصحراء) وأعلمونا ما أن تقوموا بهذا العمل

٥ تشرين الثاني عام ١٩١٥ .

علمنا أن أطفال الشعب المذكور ، الذين تم تهجيرهم مؤخراً من ولايات سيواس معمورة العزيز ، ديار بكر وأرضروم ، قد بقوا أيتام ودون وسائل عيش بسبب موت والديهم ، و يتم تبنيهم غالباً أو يؤخذون كخدم من قبل عائلات تركية أمركم أن تجدوا كل الأطفال ، الذين يعيشون في مثل هذه الظروف وأن ترسلوهم إلى مناطق إبعادهم . كما يجب أن توضحوا هذا الموضوع للسكان ، بالوسائل التي ترونها مناسبة .

١٢ كانون الأول عام ١٩١٥ .

اقبلوا واحتفظوا فقط بأولئك الأيتام ، الذين لا يمكنهم تذكر الفظائع التي مر بها والداهم ، وارسلوا البقية مع القوافل .

٧ آذار عام ١٩١٦ .

بذريعة أن إدارة المهجرين ستقوم بالعناية بالأطفال ودون أن تثيروا الشبهات اعتقلوا واقتلوا كل أطفال هذا النوع المحدد من الناس ، الذين تم جمعهم والاعتناء بهم في مراكز عسكرية بأمر وزير الحربية .

أعلمونا بخصوص هذا الأمر .

هذا وإن الطريقة التي وقعت فيها هذه الوثائق في أيدي الحلفاء هي هامة على نحو استثنائي .

ففي خريف عام ١٩١٨ وعندما أدرك الأتراك أن خسارتهم واحتلال بلدهم الوشيك من قبل الحلفاء هو أمر لا يمكن تفاديه ، قاموا تقريباً بإتلاف كل الوثائق التي تدينهم والتي كانت تتعلق بهذه الفترة المرعبة . وقد قام مسؤولو الأقاليم بتقليد ما قام به الوزراء .

ولكن في بعض المناطق ، وبسبب الوصول الصاعق لقوات اللورد اللني لم يكن هناك متسع من الوقت لإتلاف كامل أرشيف الأحداث المفجعة فيما احتفظ المسؤولون الأدنى مرتبة والذين بقوا في المؤخرة بالوثائق التي تدين هذه الأحداث وقد حدث شيء كهذا في حلب حيث كشف أحد المسؤولين الأتراك من إدارة المهجرين سلسلة برقيات والتي تم منها اختيار البرقيات المذكورة أعلاه .

(مأخوذة من صحيفة الديلي تلغراف الصادرة في ٢٩ أيار عام ١٩٢٢) .

اتفاقية تبادل الشعوب بين اليونان وتركيا

(إن الاتفاقية المتعلقة بتبادل الشعوب بين اليونان وتركيا) هي اتفاقية بين حكومة المجلس الوطني التركي الكبير والحكومة اليونانية .
وإن مايلي هو اختيار أهم نقاط هذه الاتفاقية التي تتكون من ١٩ بنداً وبرتوكول .

البند ١- يبدأ اعتباراً من الأول من أيار عام ١٩٢٣ التبادل الإلزامي للمواطنين الأتراك من أصل يوناني ومقيمون في تركيا مع المواطنين اليونانيين من أصل تركي وبقيمون في اليونان ولا يمكن لهؤلاء الأشخاص العودة والعيش في تركيا أو اليونان بالتوازي دون إذن الحكومة التركية أو اليونانية .

البند ٢- سوف لن يشمل التبادل الذي ينص عليها البند (١) الأفراد التاليين :
آ- اليونانيين المقيمين في إستانبول .

ب- الأتراك المقيمين في تراقيا الغربية .

سُيعتبر كل اليونانيين الذين كانوا يقيمون قبل ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨ ضمن حدود محافظة إستانبول والذين تم تحديدهم بموجب قانون عام ١٩١٢ بمثابة يونانيين مقيمين في إستانبول .

كما سُيعتبر جميع المقيمين في المنطقة الواقعة إلى الغرب من خط الحدود التي تم ترسيمها عام ١٩١٣ بموجب معاهدة بوخارست في حكم الأتراك المقيمين في تراقيا الغربية .

البند ٣- سُيعتبر اليونانيون والأتراك الذين كانوا قد غادروا أصلاً، اعتباراً من ١٨ تشرين الأول عام ١٩١٢، المناطق التي سيجري تبادل سكانها اليونانيين والأتراك في حكم المشمولين بمن نص عليهم التبادل في البند (١) . هذا وإن مصطلح موجود خارج البلاد في الاتفاقية الراهنة يشمل كل الأشخاص

العادين والاعتباريين الذين غادروا أو اضطروا للمغادرة اعتباراً من ١٨ تشرين الأول عام ١٩١٨ وفيما بعد .

البند٤- سيشكل جميع الرجال القادرين جسدياً ،والذين ينتمون إلى السكان اليونانيين ،والذين كانت عائلاتهم قد غادرت سابقاً الأرض التركية ،والذين كان الأتراك يحتفظون بهم ، الدفعة الأولى من اليونانيين ،الذين سيتم إرسا لهم لليونان وفقاً للاتفاقية الحالية .

البند٥- وفقاً لما هو منصوص عليه في البنود ٩ و ١٠ من الاتفاقية الحالية، سوف لن تمس حقوق الملكية والأموال النقدية ليونانيي تركيا وأتراك اليونان كنتيجة لهذا التبادل ، الذي سيتم تنفيذه وفقاً لهذه الاتفاقية .

البند٦- سوف لن يتم وضع أي عائق ولا أي سبب كان على مغادرة أي شخص كان ينتمي للسكان الذين سيتم تبادلهم.وفي حال تم الحكم على أحد الموجودين خارج البلاد بالسجن النهائي أو فرضت عليه عقوبة لم يتم البت فيها بشكل نهائي أو تم تحريك إجراءات ملاحقة ضده ، فإنه سيسلم من قبل الدولة التي حكمت عليه إلى سلطات البلد الذي خرج منه ليقضي هناك عقوبته أو يتم الحكم عليه .

البند٧- سيفقد المواطنون الذين خرجوا من بلدتهم جنسية البلد الذي كانوا يعيشون فيه وسيحصلون على جنسية البلد الذي يقصدونه بترولهم في أراضي هذا البلد . أما المواطنون الذين غادروا أحد هذين البلدين ولم يحصلوا على جنسيتهم الجديدة سيحصلون عليها بتاريخ التوقيع على الاتفاقية الراهنة .

البند٨- سيكون المواطنون أحراراً في أن يأخذوا معهم أو أن يقوموا بترتيب أمر نقل كل أملاكهم المنقولة دون الاضطرار إلى دفع رسوم الدخول والخروج أو أي ضريبة أخرى .

وبالمثل، سيشمل هذا إعفاء كل جماعة قومية (من هيئة العاملين في الجوامع والتكايا، والمدارس الشرعية، والمدارس والكنائس، والأديرة والمشافي، والروابط والنقابات، والأشخاص الاعتباريين أو مؤسسات أخرى من كل نوع)، وسيكون من حق الذين من المرتقب مغادرتهم إحدى الدول المساهمة وفقاً للاتفاقية الراهنة، أحراراً في أن يأخذوا أو يقوموا بتنظيم عملية نقل أملاكهم المنقولة، والعائدة ملكيتها إلى جماعاتهم القومية.

هذا وستقوم سلطات البلدين بمنح كل التسهيلات الممكنة لنقل ما تم ذكره بعد توصيات بهذا الشأن من قبل اللجنة المشتركة والتي ينص عليها البند (١١) وسيكون بوسع المواطنين الغائبين عن بلادهم، أن يأخذوا معهم كل أو جزء من أملاكهم المنقولة، أو أن يتركوها وراءهم.

وفي هذه الحالة، ينبغي على السلطات المحلية القيام بمجرد وتقدير قيمة الأملاك التي تركها وراءه الشخص الغائب موضع البحث آخذين بعين الاعتبار رأيه بخصوص هذا الموضوع...

البند ٩- سيتم تحديد الأملاك غير المنقولة، من الأملاك الزراعية أو المدنية، والتي تخص الغائبين التي تم ذكرها في البند (٨) والأملاك المنقولة، التي ستركها الغائبون أو الجماعات القومية، وفق الشروط التالية من قبل اللجنة المشتركة، التي ينص عليها البند (١١). كما سيتم تحديد الأملاك الموجودة في المناطق التي ستطبق فيها عملية التبادل الإلزامية وتخص مؤسسات دينية أو إنسانية أو جماعات، تقطن في المناطق التي سوف لن يطبق فيها عملية التبادل وفق الشروط ذاتها.

البند ١٠- سيتم بموجب البند (٩) تسوية أوضاع الأملاك المنقولة وغير المنقولة للأشخاص، الذين غادروا مسبقاً أراضي الأطراف المشاركة في عملية التبادل والذين يعتبرون، مشمولين بموجب البند (٣) من الاتفاقية الراهنة في عملية

تبادل السكان . هذا وستتم تسوية هذه الأوضاع بصرف النظر عن الإجراءات (مثل الاستيلاء والحجز بموجب أمر قضائي ، أو البيع الإجباري الخ)، التي تم فرضها بموجب قوانين تم التصويت عليها أو بإجراءات تمت في اليونان أو تركيا بعد الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩١٢ والتي نجم عنها إنقاص حقوق الملكية على الأملاك المذكورة أعلاه .

وفيما يتعلق بالأملاك التي نزع ملكيتها، ستأخذ اللجنة المشتركة على عاتقها إعادة تقدير قيمة الأملاك التي تم نزع ملكيتها بعد الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩١٢ ، وتخص أفراداً هم خاضعون لعملية تبادل السكان بين البلدين ويتواجدون في منطقة تشملها عملية التبادل . هذا وستقوم اللجنة بتحديد تعويضات لمصلحة المالكين قياساً للخسارة التي ستأكد من تعرض الآخرين لها . وسيقيد إجمالي مبلغ التعويضات لحساب المالك وكدين على الحكومة ، على الأرض التي توجد بها الممتلكات التي تم نزع ملكيتها .

وفي حال عدم حصول أي شخص من الذين تمت الإشارة إليهم في البند (٨) والبند (٩) على إيراد من أموالهم أو ممتلكاتهم التي تم فقدانها بطريقة أو بأخرى فإنهم سيحصلون على هذه النقود على أساس متوسط نتاج ثروتهم قبل الحرب وبموجب الطرق التي اتبعتها اللجنة المشتركة . وفي السعي نحو تسوية أوضاع الأملاك غير المنقولة لأوقاف الأديرة والكنائس في اليونان والحقوق والمصالح المرتبطة بها بالإضافة إلى تسوية أوضاع أملاك المؤسسات اليونانية المماثلة في تركيا، المنصوص عليها في البند (١) ستتع اللجنة المشتركة مبادئ المعاهدات التي تم تحديدها سابقاً بهدف الحماية التامة لحقوق ومصالح هذه المؤسسات والأفراد المهتمين بها .

البند ١١- خلال شهر من سريان مفعول هذه المعاهدة ستشكل لجنة مشتركة في تركيا أو اليونان ، مكونة من أربعة مندوبين لكل طرف من الأطراف

المشاركة وثلاث أعضاء سيتم تعيينهم من قبل مجلس عصبة الأمم والذين سيكونون رعايا دول لم تشارك في حرب عام ١٩١٤-١٩١٨....

البند ١٢- إن واجب اللجنة المشتركة هو أن تقوم بالإشراف وبتهيئة الهجرة المنصوص عليها في الاتفاقية الراهنة وأن تنفذ عملية تحويل الأملاك غير المنقولة إلى أموال منقولة المنصوص عليها في البند (٩-١٠)....

البند ١٤- ستقوم اللجنة بمنح كل مالكٍ معنيٍّ مصادقةً، ستشير إلى المبلغ الذي له بدمتهم إزاء الاملاك التي أخذت منه والتي ستبقى بحوزة حكومة البلد الذي هو موجود على أرضها. وسيشكل إجمالي المبلغ المستحق بموجب هذه المصادقات ديناً حكومياً للبلد الذي تنفذ فيه عملية تحويل الأملاك غير المنقولة إلى أموال منقولة على البلد التي ينتمي إليها الغائبون عن بلدهم. وسيحصل كل غائب في البلد ، التي هاجر إليها ، على أموال مساوية ومماثلة لطبيعة الشيء الذي تركه إزاء المبلغ الذي له بدمتهم....

وإذا استمر بعد تساوي الحسابات بقاء دين من قبل حكومة على أخرى ، فسيدفع هذا الدين نقداً. وإذا طلبت الحكومة المدينة مهلة لدفع ما هي مدينة به ، فإن بوسع اللجنة منحها مهلة مماثلة. وإذا كان المبلغ الذي سيتم دفعه كبيراً على نحو كاف ويحتاج إلى مدة تأجيل أطول ، فإن الحكومة المدينة ستدفع حتى ٢٠% من إجمالي الدين وستقوم بإصدار سندات بهذا الدين إزاء باقي المبلغ الذي سيدر فائدة مركبة ، سيتم إقرار مقدارها من قبل اللجنة وسيتم سدادها خلال فترة لا تتجاوز ٢٠ عاماً. وستقوم الحكومة المدينة بإعطاء ضمانات متعلقة بهذا الدين ، الذي سيتم إقراره من قبل اللجنة....

وفي حال الخلاف بخصوص هذه الضمانات ، سيتم اختيارها من قبل مجلس عصبة الأمم .

البند ١٥- بهدف تسهيل عملية الهجرة ستقوم الدولتان المعنيتان بدفع مبالغ مسبقة للجنة المشتركة وفق الشروط التي ستضعها اللجنة المذكورة أعلاه .

البند ١٦- ستأخذ الأطراف المشاركة على عاتقها الالتزام على نحو مشترك بعدم ممارسة ضغط مباشر أو غير مباشر على السكان الذين سيتم تبادلهم ، بإجبارهم على ترك مواطني سكتانهم أو ممتلكاتهم قبل المدة المحددة لمغادرتهم .

كما ستأخذ على عاتقها عدم فرض ضرائب خاصة أو تبرعات على الغائبين الذين تركوا أو من المنتظر أن يتركوا البلاد. وسوف لن يتم وضع أي عائق على سكان المناطق المستثناة من عملية التبادل وفق البند (٢)، الذين سيكونون أحراراً في البقاء أو العودة إلى هذه المناطق وسيتمتعون بكامل حرية وحقوق الملكية في اليونان أو تركيا . وسوف لن تتخذ هذه الميزة كدافع لمنع الحياة الحرة للملكية، التي تعود لسكان المناطق المستثناة أعلاه من عملية التبادل أو المغادرة الطوعية لكل هؤلاء الذين يريدون مغادرة تركيا أو اليونان .

البند (١٩) سيكون للاتفاقية الراهنة المفعول ذاته وستكون فعالة للطرفين المشاركين طوال الوقت الذي سيستغرقه عقد اتفاقية السلام التي من المنتظر التوقيع عليها مع تركيا . وستكون سارية المفعول بعد التصديق مباشرة على المعاهدة المذكورة أعلاه من قبل الجهتين المشاركتين .

ويشير البروتوكول ، الذي تم التوقيع عليه من قبل المندوبين الأتراك ، أنه وبدون إنتظار دخول المعاهدة حيز التنفيذ، وعلى نحو استثنائي البند (١) من الاتفاقية ، فإن الحكومة التركية، وبالتزامن مع التوقيع على معاهدة السلام ستقوم بإطلاق سراح كل الرجال القادرين جسدياً، والذين تمت الإشارة إليهم في البند (٤) من المعاهدة المذكورة وستهتم بعملية مغادرتهم .

المعاهدة التركية - الأمريكية

تم اختيار شروط المعاهدة التي أبرمتها الولايات المتحدة الأمريكية مع تركيا بعد التوقيع على معاهدة لوزان بين الدول الحليفة وتركيا .

فبعد التوقيع مباشرة على معاهدة الصداقة والتجارة بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا قامت وزارة الخارجية الأمريكية بإصدار التصريح التالي :

في واشنطن ومع هذا موجز لشروط المعاهدة :

(لقد تم قطع العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا في العشرين من نيسان ١٩١٧ . وعلى الرغم من أنه لم يتل ذلك إعلان حرب ولم تكن هناك علاقات رسمية بين البلدين منذ ذلك التاريخ ، إلا أن رعاية المصالح الأمريكية كانت تتم منذ عام ١٩١٩ من قبل المندوب السامي الأمريكي في إستانبول .

كانت مفاوضات السلام قد بدأت بين الدول الحليفة وتركيا في مستهل عام ١٩٢٠ حيث أسفرت عن عقد معاهدة سيفر في العاشر من آب عام ١٩٢٠ والتي لم يتم التوقيع عليها من قبل تركيا . كما لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية قد قامت بالتوقيع على المعاهدة . وقد قامت الدول الحليفة بدعوة تركيا لاجتماع بدأ أعماله في العشرين من تشرين الثاني في لوزان بهدف إحلال السلام في الشرق الأدنى وتعديل معاهدة سيفر .

وما أن قامت حكومات بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا بإبلاغ حكومتنا من أنه سيتم قبول تمثيل الولايات المتحدة الأمريكية حتى قامت حكومتنا بإرسال السفير الأمريكي في روما غوسميرن تشايلد إلى لوزان ، والمندوب السامي الأمريكي في روما الأميرال مارك . ل . بريستول، ومندوبنا السياسي الأمريكي في بيرن السيد جوزيف . س . كرو . وقد تابع المندوبون الأمريكيون أعمال الاجتماع وعبروا عن موقف الحكومة الأمريكية في القضايا التي كانت

تمس مباشرة أمريكا أو كان لها طابع إنساني عام. وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم مطلقاً بإعلان الحرب على تركيا ولم تكن تتفاوض على عقد معاهدة سلام مع هذا البلد، لذا فإن اشتراك أمريكا لم يكن بهدف التوقيع على المعاهدة التي يجري التفاوض بشأنها .

وكانت أعمال المؤتمر قد توقفت في الرابع من شباط عام ١٩٢٣ بسبب رفض المندوبين الأتراك بعض الشروط التي كان قد اقترح أن تتضمنها المعاهدة التي يجري التفاوض بشأنها . وقد بدأت جولة ثانية من أعمال مؤتمر لوزان في ٢٣ نيسان عام ١٩٢٣ واستمرت حتى ٢٤ أيلول من العام ذاته تم فيها التوقيع على معاهدة سلام بين الدول الحليفة وتركيا. وفي هذا القسم الثاني من أعمال المؤتمر كان السيد كرو ممثلاً للولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وكان السلام الذي بدا واضحاً إبرامه بين الدول الحليفة الرئيسية وتركيا قد جعل واضحاً ضرورة إجراء تنظيم عاجل للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا بهدف حماية المصالح الأمريكية .

وكانت الحاجة لمثل هذا التنظيم قد أصبحت أكثر إلحاحاً عندما تمت الموافقة أثناء المفاوضات مع الدول الحليفة على إلغاء الاتفاقيات ، التي تمنح الأجانب المقيمين في تركيا معاملة خاصة . وقد قام عصمت باشا ، رئيس الوفد التركي إلى مؤتمر لوزان في ٥ أيار عام ١٩٢٣ ، بالكتابة إلى السفير كرو مقترحاً عليه التفاوض على معاهدة صداقة وتجارة .

بعد ذلك قامت الخارجية الأمريكية بتفويض السيد كرو البدء بمحادثات غير رسمية مع المندوبين الأتراك للتأكد من مدى إمكانية وجود أساس مناسب للتفاوض . وقد تلت المحادثات مفاوضات رسمية وتم إعطاء السيد كرو تفويضاً كاملاً كما جرت مفاوضات للتوقيع على معاهدة تسليم المتهمين الذين لم يتم الحكم عليهم بشكل نهائي .

بعد قرابة ثلاث أشهر من المفاوضات ، قامت الخارجية الأمريكية بتفويض السيد كرو بالتوقيع على معاهدة الصداقة والتجارة ومعاهدة تسليم المتهمين . وقد تم إبلاغ الخارجية الأمريكية بأنه تم التوقيع على هذه المعاهدات في لوزان يوم الاثنين الواقع في ٦ آب عام ١٩٢٣ .

تتضمن موجز معاهدة الصداقة والتجارة ٣٢ بنداً والتي تضمن للولايات المتحدة الأمريكية ولرعاياها في تركيا معاملة حسنة مثل أي دولة أخرى، تمت في النهاية إطالة أمدھا. وتتضمن معاهدة تسليم المتهمين النصوص المعتادة في مثل هذه المعاهدات ولا تحتاج إلى تفسيرات خاصة .

كما قام عصمت باشا بنقل نسخ من التصريح التركي للسيد كرو بشأن تعيين مستشارين قضائيين أجانب من قبل الحكومة التركية وتعميم بخصوص المدارس والمؤسسات الأجنبية في تركيا ، التي تضمن للمؤسسات الأمريكية المماثلة المعاملة ذاتها مع المؤسسات المماثلة لأي دولة أجنبية كانت وتحدد بالتفصيل نوع الحقوق والامتيازات التي سيتم منحها لهذه المؤسسات) .

موجز المعاهدة

مقدمة - إن هدف هذه المعاهدة هو أن يتم تحديد شروط الاتصال بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وأن يتم تحديد حقوق رعايا كلا البلدين في الدولة الأخرى وفقاً لمبادئ القانون الدولي وعلى مبدأ المعاملة بالمثل .

البند ١ - يمنح دبلوماسيو البلدين المعاملة التي تعطى لدبلوماسي الدولة الأكثر رعاية

البند ٢- ينص هذا البند على إلغاء امتيازات المواطنين الأجانب المتعلق بالنظام القانوني للأجانب في تركيا ، سواءً فيما يتعلق بشروط الدخول والإقامة أو بما يتعلق بالأمور الاقتصادية والقضائية .

البند ٣- لرعايا الأطراف الرئيسية المشاركة حرية الدخول الكاملة ، والسفر والإقامة وفقاً لقوانين البلاد وسيتم حمايتهم بموجب القانون الدولي. وسوف لن يكون بالإمكان نزع ملكيتهم إذا لم يسبق ذلك الإجراءات القضائية الواجبة أو لم تدفع لهم تعويضات. وسيكون بمقدورهم ، بموجب القوانين المحلية ، أن يمارسوا أي عمل لا يمنع جميع الأجانب وفقاً للقانون من ممارسته. وسيكون لهم حق التملك وحيازة جميع أنواع الأملاك المنقولة على قاعدة المساواة مع مواطني الدولة . وفيما يخص الأملاك غير المنقولة، سيكون لرعايا كل دولة حق المعاملة المعدة للأجانب في الدولة الأخرى على أساس قوانين المنطقة التي توجد بها هذه الأملاك وعلى مبدأ المعاملة بالمثل .

وسيكون بوسعهم أن يمتلكوا ، أو أن يستأجروا أو أن يقوموا بإشادة مبان بهدف استخدامها للسكن أو لأي هدف آخر يسمح به بموجب هذه المعاهدة كما سيكون لهم أيضاً وفقاً للقوانين حرية ممارسة شعائرهم الدينية وسيكون لهم كمواطنين البلاد حق اللجوء إلى المحاكم .

البند ٤- سيتم الاعتراف بالشركات التجارية والصناعية والاقتصادية والاتحادات التي تعمل بموجب قوانين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا التي لها مراكز رئيسية في البلد الذي أقيمت فيه من قبل البلد الآخر شريطة أن لا تكون أهدافها على النقيض من قوانين هذه البلاد. وسيمنحون الحماية المنصوص عليها على انفراد بالنسبة للأفراد في البند (٣) وسيكون بوسع الشركات بموجب القوانين السارية المفعول حق اللجوء إلى المحاكم . كما سيكون من

حقهم بموجب القوانين السارية المفعول امتلاك كل أنواع الأملاك المنقولة والتصرف بها .

وفيما يخص الأملاك غير المنقولة سيكون من حق هذه الشركات تطوير نشاطاتها التجارية والصناعية ، اعتماداً على مبدأ المعاملة بالمثل المعاملة المعدة عموماً لمثل هذه الشركات ، بموجب قوانين المنطقة التي بها مراكز هذه الشركات. وسيكونون أحراراً في تطوير نشاطاتهم طالما أن هذه لن تعكس صفو النظام العام

البند ٥- بخصوص اللجوء العائلي وتفتيش المنازل ، والمستودعات، والمعامل بالإضافة إلى رقابة الدفاتر الحسابية ، والحسابات إلخ . سيتم القيام بها وفق الشروط والطرق التي تنص عليها القوانين بالنسبة لرعايا الدولة المقابلة .

البند ٦- سوف لن يكون مواطنو الدولة المقيمون في دولة أخرى ملزمين بتأدية الخدمة الإلزامية وسيتم استثناء الأشخاص على انفراد والشركات على أملاكهم على حد سواء من الرسوم الإلزامية أو ضرائب أخرى استثنائية .

البند ٧- سيكون لمواطني كل بلد من هذين البلدين المعاملة ذاتها التي للمواطنين المحليين على أرض البلد الآخر في كل القضايا التي تخص الضرائب، والرسوم أو ضرائب إضافية أخرى .

غير أن لا علاقة لهذا البند بالاستثناء من الضرائب إلخ التي تعطى للمؤسسات الحكومية أو لمالكي امتيازات النفع العام .

البند ٨- بالنسبة للمسائل ذات الطابع الشخصي أوقانون الأحوال الشخصية (على سبيل المثال. الزواج ، الطلاق، المهر، التبني إلخ) وبكل ما يخص الأملاك المنقولة، وقانون التركات، وتحويل الأملاك غير المنقولة لأملاك منقولة إلخ .

وسيحضع مواطنو الولايات المتحدة في تركيا بالكامل لإجراءات المحاكم الأمريكية أو السلطات* الأمريكية الأخرى المتواجدة في تركيا .

البند ٩- ينص هذا البند على حرية التجارة والملاحة بين البلدين على أساس مبدأ الدولة الأكثر رعاية ووفقاً لقوانين الصحة العامة ، والأمن والجمارك . وسوف لن تخضع السفن التجارية لكلا البلدين إلى ضرائب حمولة أو رسوم موانئ أعلى من السفن الوطنية. على كل حال لاعلاقة لهذا البند وبقية البنود التي تنص عليها المعاهدة بالتجارة الساحلية .

البند ١٠- سيكون للسفن التجارية والبحرية وطائرات الولايات المتحدة الأمريكية الحرية الكاملة في الملاحة وعبور الدردنيل، وبحر مرمرة والبوسفور على أساس المساواة مع مثيلاتها من سفن الدول الأكثر رعاية وبموجب قوانين اتفاقية لوزان للمضائق في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣، الناطمة لأموار الملاحة والعبور المذكورة أعلاه .

البند ١١- سيتم فرض رسوم استيراد على السلع المستوردة من بلد إلى آخر مساوية لمثيلاتها من الدول الأكثر رعاية وسوف لن يتم فرض رسوم إنتاج أعلى من الرسوم السارية على سلع أي دولة أجنبية . كما سوف لن يفرض أي منع وتحديد على استيراد وتصدير أي سلعة إذا لم يكن هناك رسوم مماثلة على السلعة ذاتها للدولة الأكثر رعاية ...

البند ١٢-١٦ تشير إلى تفاصيل أخرى متعلقة بالتجارة بين البلدين .

البند ١٧-٢٦ تشير إلى واجبات وحقوق الموظفين القنصليين .

البند ٢٧- ينص على ما له علاقة بالحماية من غرق السفن وعمليات إنقاذها
البند ٢٨- يعمل بالأمر المنصوص عليها في المعاهدة الراهنة في كل مجال مائي أو جوي يتواجد تحت سلطة البلدين باستثناء منطقة قناة بنما .

* المقصود هنا المحاكم القنصلية في تركيا آنذاك.

البند ٢٩- ينص على الضرائب التي على المواطنين الأمريكان في تركيا .

البند ٣٠- تعتبر كل المعاهدات السابقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا ملغاة وستحل محلها معاهدة جديدة لتسليم المتهمين بدل معاهدة ١٨٧٤ .

البند ٣١- ستكون المعاهدة سارية المفعول بعد شهرين من تاريخ التصديق عليها

البند ٣٢- سيتم التصديق على النص الفرنسي الإنكليزي والتركي للمعاهدة. وفي حال نشوب خلافات فإن النص الفرنسي هو الذي سيسود . وسيتم تبادل المعاهدات المبرمة في إستانبول بأقصى سرعة ممكنة .

(لم يتم تحقيق اتفاق بخصوص طريقة تسوية الأمور بين الحكومتين المعنيتين . وقد تبادل السيد كرو مع عصمت باشا تصريحات ، كانت تنص على إعادة الاتفاق على هذه القضية خلال فترة زمنية قصيرة وقد احتفظت الحكومتان بحق إيقاف التصديق على المعاهدات حتى يتم الاتفاق على هذه النقطة) .

(نقلاً عن صحيفة (كارينت هيستوري) الصادرة في تشرين الأول عام ١٩٢٣) .

المصالح الأمريكية في تركيا

إن التحليل التالي لمعاهدة ((الصداقة والتجارة)) التركية الأمريكية ، التي تم إبرامها في لوزان صادر عن تصريح يحمل توقيع السيد جيمس . غ . جيرارد وكان قد تم نشرها من قبل اللجنة الأمريكية لاستقلال أرمينيا لايعرض التصريح في مجمله

هذا وكانت وزارة الخارجية الأمريكية قد قامت في المذكرة الموحدة التي أرسلتها لسفراء دولنا الخليفة الرئيسيين في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٢٢ ، بتحديد المواضيع الرئيسية السبعة التي كانت هم أمريكا بخصوص علاقتها مع تركيا وهي .

١-الحفاظ على نظام الامتيازات الممنوحة للأجانب في تركيا .

٢- حماية المؤسسات الإنشائية الأمريكية .

٣- التعويض عن الخسائر التي تعرض لها الأمريكيان .

٤- حرية عبور المضائق .

٥- تسهيل أعمال البحث عن الآثار .

٦- سياسة الباب المفتوح .

٧- حماية الأقليات .

أ- فيما يخص الامتيازات الممنوحة للأجانب ، فقد تخلينا عن هذا النظام بالكامل ، فتعليق جريدة النيويورك تايمز بخصوص هذا الموضوع في مقالها الرئيسي المميز .

بعنوان ((الصداقة والتجارة)) هو واضح حيث يقول المقال :

((وفقاً للأبناء الصحفية الواردة من لوزان ، فقد وضحت المعاهدة على نحو

جلي حالة الشك التي كانت قد ولدتها حتى الآن عملية إلغاء نظام

الامتيازات الممنوحة للأجانب من قبل تركيا .

وهكذا هي فحالة الشك كانت قد نجمت عن حقيقة مفادها أن تركيا كانت قد ألغت نظام الامتيازات هذا ، على الرغم من أن السيد هيوز كان قد صرح بعدم قدرة تركيا على فعل شيء من هذا القبيل دون اخذ موافقتنا . وقد أعطينا الآن موافقتنا حيث أصبحت الحالة واضحة ، فبموجب نظام الامتيازات الممنوحة للأجانب كانت محاكمة الأمريكان لجرائم تم اقترافها في تركيا تتم ، من قبل المحاكم القنصلية الأمريكية . وقد تم الآن إبطال هذه الإجراءات من قبل المحاكم القنصلية .

حيث يمكن اعتقال الأمريكان من قبل الشرطة التركية والحكم عليهم من قبل المحاكم التركية غير أن الحكومة التركية تعد أن تقوم من تلقاء نفسها وبسبب حسن نيتها بتعيين بعض المستشارين القانونيين الأجانب من قبل دول ، وقفت على الحياء أثناء الحرب الأخيرة والذين سيتم اطلاعهم على مثل هذه الاعتقالات ما أن يتواجد الضحايا في زنزانة السجن وسيخضع الأمريكان في تركيا لإجراءات المحاكمة الأمريكية في موضوع واحد فقط هو

((القضايا الشخصية والقضايا المتعلقة بقانون الأحوال الشخصية))

أي ليس بوسع أي أمريكي الزواج من أربع نساء . حالة أخرى تستحق عليها وزارة الخارجية الأمريكية التهئة بموجب الأنباء الصحفية الواردة من هناك ، وهي تنظيم قضية الضرائب .

فحتى الآن لم يكن الأمريكان في تركيا يكلفون بأي ضريبة ، وكما علمنا فقد ألهم ذلك . هكذا قاموا بتطويق السفارة الأمريكية متوسلين إليها أن يتم تسجيلهم في اللوائح الضريبية وقد حصلوا الآن على هذه الميزة . وسيتمتع الأمريكان في تركيا ((بحرية العقيدة وبحق ممارسة شعائهم الدينية تماماً كما يتمتع الأرمن اليوم بذات المزايا))

٢- ستخضع مؤسساتنا التبشيرية في تركيا ، والتي كانت تلقى الدعم من ملايين الأمريكيان ، منذ الآن إلى القوانين التركية .

وقد وعد عصمت باشا في رسالة وجهها لمراقبنا في لوزان ، بحماية هذه المؤسسات دائماً كانت هناك وعود لحمايتها ، ولكن غالباً لم يتم الحفاظ على هذه الوعود . فبعد تسليم رسالة عصمت باشا قام وزير التربية التركي بإصدار مرسوم ، سوف لن يسمح بموجبه للتلاميذ الذين تقل أعمارهم عن الثامنة عشر بدخول مدارس أجنبية ، وسيتلقى تلاميذ دول البلقان الذين يدرسون في مدارس أمريكية دروساً في التاريخ التركي والجغرافيا من قبل مدرسين أتراك ، فيما يتعين على المدارس الأجنبية استخدام مواطنين أتراك فقط كمدرسين . ربما لن يتم فرض هذا المرسوم مباشرة .

لكنه يدل على كل شيء سوى على استعداد الأتراك للحفاظ على وعودهم فضلاً عن أنهم ينتظرون منا ، بموجب القوانين السارية ، القيام بدفع رواتب عدد كبير من مفتشي المدارس الأمريكية الأتراك والمراسلين الأتراك ، كي يقوموا ببث وجهة النظر التركية بشأن الحضارة .

هذا وإن الموقف الودي الظاهري للأتراك إزاء مندوبي منظماتنا التبشيرية أثناء مؤتمر لوزان كان ناجماً عن الأمل في أن يستخدموا رغبة هؤلاء المندوبين الحسنة لضمان الدعم الدبلوماسي الأمريكي ، لكن الحقيقة هي إن الأتراك لا يكونون أي احترام لرجال البعثات التبشيرية فخلال

الـ /٩٢/ سنة الأخيرة يمارس رجال بعثاتنا التبشيرية نشاطاتهم التعليمية والدينية في تركيا تقريباً بالكامل في أوساط غير المسلمين ، لم يكن هناك وجود لأتراك قاموا بتغيير دينهم وكان يدرس في مدارس البعثات التبشيرية تقريباً أرمن ويونانيين بصورة خاصة والذين كانوا أصلاً مسيحيين .

ففي عام ١٩١٤ كان هناك تركي واحد فقط في معهد روبرت وفي عام ١٩١٠ لم يكن هناك وجود لأحد منذ سنوات عديدة .

أضف إلى أن الأتراك كانوا يدركون إن تخليهم عن الإسلام كان سيعني بدء اضمحلال قوميتهم ، والتي كانت الديانة بمثابة أكبر عنصر تماسك لها . فضلاً عن تقديرهم الكامل للحقيقة مفادها أنه ، فيما تحتل تركيا بسكانها المسلمين والذين هم أقل من خمسة ملايين كدولة مسلمة المكانة الأولى في الإسلام هذه المكانة التي تعطيها نفوذاً سياسياً هاماً وأخذاً - فإنها كدولة مسيحية - ستكون فقط بإحدى الدول المسيحية الضعيفة وما كانت ستحصل من قبل الدول الغربية الكبرى والكنيسة المسيحية على معاملة أفضل من المعاملة ، التي حصلت عليها اليونان وأرمينيا . مما لاشك فيه إن رجال بعثاتنا التبشيرية يدركون إنه طالما كانت هناك دولة تركية فإن الأتراك سيقون مسلمين .

من جهة أخرى ، وبأخذنا بعين الاعتبار حالة الأتراك الجدد ندرك إلى أي حد يمكن للثقافة أن تؤثر على شخصية الأتراك .

٣- تم تحريك قضية دفع تعويضات عن الخسائر التي تعرض لها المواطنون الأمريكيان ((بسبب الأعمال الجائرة وغير القانونية)) لتبحث فيما بعد . وقد رفض الأتراك دفع الفوائد التي أضيفت على ديونهم العائدة للملكي الأسهم الفرنسيين .

فقد تعرض الأمريكيان لخسائر ناجمة عن حرق مدينة إزمير ، والاستيلاء على ممتلكات البعثات التبشيرية وتدميرها أثناء الحرب وبسبب الرفض الوقح لمنح العدالة من قبل الحكومة العثمانية .

هذه الأفعال التي تملك وزارة الخارجية تقارير ضخمة عنها .

هذا وكان عصمت باشا قد وصف إضرام النيران في مدينة إزمير بمثابة حدث .

((عسكري)) وقد طلبت الحكومة التركية من شركات التأمين الأوروبية القيام بدفع تعويضات لها عن الدمار الذي حل بالقطاع الأرمني في المدينة .
(إذ لم يتعرض القطاع التركي للحريق) ومثلما حاولت عام ١٩١٥ وفقاً
للسفير موريمنتاوا، الحصول على أموال الضمان على حياة الأرمن ، الذين
كانوا قد قتلوا بموجب أوامرها .

٤- حرية عبور المضائق . هنا ضمنا امتياز حقاً كنا نملكه دائماً . فنحن غير
ممثلين في لجنة الإشراف على المضائق ، كما إن يوسع سفننا التجارية اجتياز
الدرنديل ، كما في الماضي في زمن السلم والحرب - إذا لم يقيم الأتراك
بإغلاقه كما فعلوا عام ١٩١٤ .

٥- في مجال التنقيب عن الآثار . فقد ضمنا كما تشير على نحو صحيح مجلة
التائم على ذات الحقوق التي يملكها علماء الآثار الأتراك للتنقيب عن الآثار
لكن ، وبما انه لا يوجد علماء آثار أترك فإننا مضطرون للانتظار فترة
زمنية غير محدودة قبل أن نتمتع بحقوقنا الشكلية في هذا الأمر البالغ الأهمية .
في غضون ذلك سيستمر الجهل واللامبالاة وحتى التدمير المتعمد ، والهمجي
السريع لكل اثر للمدن الكبيرة والحضارات الراقية التي ازدهرت في هذه
المناطق قبل أن يخيم عليها ليل البربرية التركية الطويل .

وفيما ينظر المختصون بفارغ الصبر إعطاءهم الإذن بالتنقيب ، فإن الأدلة
والبراهين التي يتم البحث عنها تتعرض للدمار من قبل شعب رعوي نصف
متوحش .

عامباً بعد عام يتم حرق عدد لا يحصى من النصب والتماثيل الجميلة
للحرق ليتم تزويد المنازل التركية الأرضية بالكلس .

عاماً بعد عام وبسبب عادات القرويين الأتراك المقرفة والاعتباطية ، فإن النيران والعواصف تقوم بتدمير الآثار التي لا تقدر بثمن ، والتي بوسع المرء أن يجدها يوماً هذا بحوزة أي كان .

عاماً بعد عام يتبدل وجه الأرض وتعرض إنتاجيتها للتخريب من قبل هذه الأيدي الاعتباطية ذاتها ، والذين يقومون باقتلاع أشجار الزيتون وأغصان كروم العنب ليقوموا باستخدامها كحطب للوقود دون المبالاة إذا ما تلا ذلك عواصف لا يمكن تجنبها تقوم بجرف التربة نحو البحر .

٦- سياسة الباب المفتوح . حيث نملك بموجب معاهدة لوزان الحق في أن نقوم بالتجارة والاستثمار معها كما في الماضي .

ولكن ما هي الفرص المتاحة في تركيا بالنسبة للرأسمال الأمريكي ؟
ففي عام ١٩٢٣ وصلت صادراتنا إلى تركيا إلى ٨٢١/٣١٣ر٣ / دولار .
آنذاك كان عدد سكان تركيا يقدر بـ / ٥٠٠.٠٠٠ ر ١٧ نسمة /
ومساحتها

/ ٦٩٤ر٩٦٠ / ميل مربع .

ويقدر عدد سكانها الآن ب ٥-٦ ملايين ومساحتها بـ ٣٠٠.٠٠٠ ميل مربع وقد تم اقتطاع بلاد الحجاز وبلاد ما بين النهرين وسوريا منها والتي يبلغ عدد سكانها ٦ ملايين وأكثر من / ٤ / ملايين أرمني ويوناني مع إمكانية استثناء

/ ٣٠٠.٠٠٠ / الذين كانوا المنتجين والمستهلكين الرئيسيين وفق التقويم التجاري (نشرة فرنسية)

حيث كان تحت إشرافهم ٦٦% من التجارة تم طردهم من تركيا .

(فالأتراك كانوا يشرفون فقط على ١٢% فيما كانت الـ ٢٤% موجودة في أيدي السوريين واليهود والأوروبيين الذين ولدوا وترعرعوا في الشرق وكذلك في أيدي العرب والأجانب).

إلى ذلك فإن هذا الفلاح التركي الحامل والأمي ذي مستوى الحياة البدائية ولا يريد تقريباً شيئاً من كل ما تنتج كما لا تملك بلاده مصانع فضلاً عن أن الطرق الزراعية التي يستخدمها هي بدائية وحتى عام ١٩٢٣ لم تكن مداخل الحكومة التركية تغطي نفقاتها الجارية .

ففي عام ١٩١٣ كان مقدار عجزها التجاري يبلغ ٤٥/ مليون دولار أو ١/٣ ثلث مداخلها .

وكان قد ارتفع عام ١٩٢٢ إلى ٧٢/ مليون دولار ولم يكن بالإمكان حتى لو قامت بتعبئة كل إيراداتها الحسنة ، أن تتجاوز مع التزاماتها إلا إذا كانت ستفترض اعتمادات .

غير إنها سوف لن تتمكن من الحصول على قروض جديدة ما لم تقم برهن مصادر إنتاج ثرواتها .

هذا ويملك الأوروبيون الذين يقومون بالاستثمار في تركيا دعم حكوماتهم والتي لديها أهداف أخرى ، عدا أهدافها الاقتصادية ولديهم الوسائل التي يدعمون بها رعاياهم ويقومون باستغلال الفرص المتاحة كي يحققوا مكاسب سياسية .

ولاتبعد الحكومة الأمريكية هذه السياسة وبالتالي فإن الأمريكان الذين يقومون بالاستثمار في تركيا يجدون أنفسهم بالتأكيد في موقع من فقدوا هذه الميزة وعدا عن الفوضى الاقتصادية التي تنخبط فيها تركيا هناك عوامل أخرى تتأمر على وجود حكومة راسخة في هذه البلاد .

وتلك هي وجود فصائل عديدة ، داخل وخارج تركيا ، معادية لكمال حيث بغذي الأخير مطامع واضحة في تراقيا ، وسوريا ، وبلاد ما بين النهرين وأعالي القوقاز . فضلاً عن وجود علاقاته مع روسيا في نقطة حرجة.

ووفقاً للأخبار الواردة في صحيفة نيويورك هيرالد الصادرة في ١٥ أيلول عام ١٩٢٣ أدلى السلطان محمد المعزول . والموجود حالياً في سان ريمو بالتصريح قائلاً :

((سوف لن اقبل بتاتاً حق حفنة من المواطنين الذين يبقى اعتقادهم موضع شك بأنهم سيحلون بطريقة سياسية قضية الخلافة الإسلامية ولا حتى الأمة التركية ، التي يبلغ تعدادها ٦/ ملايين نسمة تملك الحق في تقرير مصير ديارتنا التي يؤمن بها
/٣٠٠/ مليون نسمة)) .

كما إن أكثرية ضباط الباب العالي السابقين - الذين يبلغ تعدادهم أكثر من ١٠/ آلاف وجزء هام من الجيش هم مع السلطان السابق ويعملون على نحو محموم لإعادته .

٧- حماية الأقليات - وهذه تعتبر كواجب إنساني فقط ، غير أن لدينا في الحقيقة مسؤولية أخلاقية وقانونية محددة تجاه الشعب الأرمني تنبع من إعلانات وأعمال رئيس حكومة الولايات المتحدة ، ومن المفروض علينا أن نفعل كل شيء - على الأقل ما فعلناه من اجل البترول - كي نتجاوب مع هذا الالتزام ولكن ما هي الحقيقة الأمور المتعلقة بالقضية الأرمنية ؟ ففي خطاب لي في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٢٢ إلى الرئيس هاردينغ كتبت قائلاً :

لقد عبرت في خطابي المصادف ٥ أيلول عام ١٩٢٢ عن مخاوفي من أنه إذا لم نتبنى على نحو فاعل قضية أرمنيا ، فإن الحلفاء سيضحون بها في التسوية النهائية مع تركيا ، وأشرت إلى بعض تقديراتي ، والتي يجب حسب رأيي أن توجه سياستنا إزاء أرمنيا .

أود الآن أن اعرض على نحو اشمل الأسباب الرئيسية التي تفرض على الولايات المتحدة الأمريكية الواجب والمسؤولية أن تنشط كضامنة لأرمنيا وأن تحافظ على حريتها

١- لقد استسلمت تركيا في ٣١/تشرين الأول ١٩١٨ . وكان تعداد الجيش التركي بمعنوياته المحطمة ، يبلغ فقط / ٥٠ / ألفاً وكان بوسع الحلفاء أن يفرضوا على تركيا أية شروط سلام أرادوا . إلا أنهم لم يطلبوا من أمريكا مساعدتهم على تسوية المسألة الأرمنية . ولم يطلب حتى الأرمن من أمريكا أن تساعدهم في إقامة الدولة الأرمنية المقترح إنشاؤها .

وكان الأتراك قد قاموا بقتل أكثر من / ٨٠٠ / ألف من الأرمن العزل وكان / ٢٠٠ / ألف قد حاربوا في خطوط الجيوش الحليفة أو كوحدات مستعلة وكان الحلفاء قد أعطوا وعوداً رسمية محددة من إن خلق دولة أرمنية كانت ستكون أحد شروط السلام الجوهرية ،

((وفق هذه الأجواء الأنفة الذكر بدأ مؤتمر السلم بتفحص المسألة التركية في شباط عام ١٩١٩ وقام مندوبو فرنسا الرسميون بحث الأرمن على الطلب من فرنسا أن تأخذ على عاتقها الوصاية على بعض أجزاء أرمنيا . غير أن الرئيس ويلسون (متأثراً بلا شك من الرسائل العديدة التي وجهها إليه جمهوريون وديمقراطيون من أمريكا وبينهم السادة روت . هيوز . لوتز . برايان . باركيز . ايليوت . باثلر . وهيمين . الذين أيدوا وجوب

قيام أمريكا بالمساهمة في ضمان الأوضاع في أرمينيا (طلب من الدول الحليفة أن يقوموا بتأجيل مناقشة أمر معاهدة السلام مع تركيا وقد قام الأرمن حينها برفض الاقتراح الفرنسي وولوا أنظارهم صوب الولايات المتحدة الأمريكية

٢- كانت بريطانيا العظمى قد أعلنت في صيف عام ١٩١٩ ، عن نيتها سحب قواتها من أعالي القوقاز وأرمينيا . (كان لبريطانيا العظمى قرابة الـ ٥٠٠ رجل في أرمينيا) . آنذاك لم يكن لدى الأرمن وسائل دفاع كافية ، في هذا السياق كان عدد كاف من أعضاء لجنتنا من ضمنهم هيوز . روت . لوتز . ايليوت . وآخرين ، قد عهدوا إلي في صيف عام ١٩١٩ أن أطلب من الرئيس أن يرسل قوات أمريكية إلى أرمينيا لحل محل القوات البريطانية والاهتمام بعملية تزويد الجيش الأرمني بالأسلحة .

وقد قام آنذاك وزير الخارجية في الخامس من أيلول عام ١٩١٩ بإعلامي أنه (بإجماع ودي لوجهة نظر الحكومة الأمريكية ، فقد قبلت فرنسا بإرسال جيش مكون من ١٠-١٢ ألف جندي محل القوات البريطانية) هذا وكان عضو مجلس الشيوخ ويليامس قد عرض على مجلس الشيوخ في الثامن من أيلول عام ١٩١٩ مشروع قرار كان سيتم بموجبه تفويض الرئيس الأمريكي القيام بإرسال قوات إلى أرمينيا بالإضافة إلى عتاد حربي لتسليح الجيش للأرمني الخ .

وقد تم دمج مشروع القرار هذا في مشروع قرار لوتز وجرت مشاورات في إطار لجنة مجلس الشيوخ الفرعية التي ترأسوها .

أمام نشاط مجلس الشيوخ الأمريكي هذا أوقفت فرنسا إرسال قواتها إلى أرمينيا وقد تجنبت بريطانيا العظمى ، للسبب ذاته إرسال سلاح وعتاد حربي .

بعد انتهاء المشاورات في العاشر من تشرين الأول عام ١٩١٩ انتم سيدي الرئيس بصفتكم رئيساً للجنة مجلس الشيوخ القرعية ، قمتم بإعلامي إنه إدراكاً منكم لوضع أرمينيا المثير لليأس ، كنتم ستذكرون مباشرة فضلاً عن إنكم كنتم ستشيرون بدقة لوجهات نظر اللجنة الفرعية .

وها قد مضت اشهر ولم يتم عمل أي شيء

((أخيراً وبعد برقيات ورسائل عديدة ، نقلت إليكم معلومات ، أشارت إلى أن الأحوال في أرمينيا تسوء من يوم إلى آخر وإلى إن الأتراك كانوا قد اطمأنوا واستمدوا الشجاعة من تأخرنا وإن الأرمن كانوا دون حماية وما كان سيكون بوسعهم الحصول على مساعدة أصلاً من مكان آخر طالما بقي مشروع قرار لجننتكم الفرعية معلقاً وأنا سنكون مسؤولين عن نتائج سياسة تأخرنا .

((لقد اعترفتم بعدالة وقوة هذه الحجج ولكن بسبب انتخابات الرئاسة التمهيدية التي كنتم قد تورطتم فيها لم تقوموا بتقديم تقريركم على مدى سبعة اشهر أي حتى ١٣ أيار عام ١٩٢٠ كما لم يتضمن تقريركم الاقتراحات التي كنتم قد وعدتم بعملها . هذا وإن فترة تأخير السنة ونصف السنة ، التي فرضناها على الحلفاء حرمت أرمينيا من إمكانية طلب مساعدة من مكان آخر وقدمت لبعض الحلفاء الفرصة كي يتآمروا على الأرمن وسمح للأتراك أن ينظموا صفوفهم بالمساعدة الفعالة من قبل دولتين من الدول الحليفة وموسكو.

إن القضاء على استقلال أرمينيا بالإضافة إلى قتل /٣٠٠/ ألف أرمني آخرين من قبل الأتراك منذ عقد الهدنة وبعد والحالة المزرية للشعب الأرمني اليوم هي نتائج منطقية لسياسة التأجيل التي اتبعناها .

في هذا السياق كان لنا أنا والسيد جيساب شرف إجراء محادثات معكم في السابع عشر من كانون الأول عام ١٩٢٠ بعد انتخابكم بخصوص هذه المسألة حيث عبرتم عن رغبتكم في إرسال مذكرة موحدة من قبل وزارة الخارجية إلى الحلفاء والتي كانت ستلح في الحفاظ من قبلهم على كل ما نصت عليه معاهدة سيفر بخصوص أرمينيا .

وعلى ضوء مسؤوليتنا عن مآسي أرمينيا وعودكم الشخصية بهذا الخصوص والتي ذكرت بعضها ، فإنني اعبر عن أكثر الآمال صدقاً من أنكم ستقودون وزارة الخارجية الأمريكية لجهة اتخاذ الإجراء الذي وجهتهم إليه بشكل حسن في السابع عشر من أيلول عام ١٩٢٠ .

وفي جواب على رسالتي ، قال الرئيس أنه :

..... سيتم عمل كل ما هو ممكن لحماية الشعب الأرمني وسيتم الحفاظ

على حقوقه الناجمة عن معاهدة سيفر .

هذا وقد قام اللورد كورزون بإعلام الوفد التركي في لوزان في العاشر من كانون الأول عام ١٩٢٢ من إن الحلفاء سيلحون على إنشاء وطن قومي للأرمن .

وقد تحدث مراقبنا في لوزان عن ((قضية المبدأ)) معبراً في الثلاثين من كانون الأول عام ١٩٢٢ عن الرغبة في إنشاء ((ملاذ)) آمن للأرمن .

وفي صبيحة اليوم التالي قام وفدنا بتعليق إعلان رسمي في لوحة إعلانات مبنى المؤتمر كان يوضح فيه من إن تصريح اليوم السابق بخصوص أرمينيا لم يكن ((رسمياً)) .

ويبدو الدور الذي لعبه مراقبونا في خدمة تركيا في برقية لمراسل الجريدة في لوزان نحو الجريدة التركية الرسمية (فاكيت) حيث يشير المراسل إلى انه علم من شخص رفيع المستوى إلى إن جريدة (فاكيت) كانت تشكر فيها الأمير ال مارك . ل. بريستول أحد مراقبيننا في لوزان والمندوب السامي الأمريكي في استانبول (لمحاولاته المستمرة لصالح الأتراك) وتعبر عن (العرفان بالجميل تجاه الولايات المتحدة الأمريكية لموقف مندوبيهم الجيد في لوزان) . وفي الحقيقة وكما أشرت في رسالتي إلى الوزير هيوز ، في الرابع عشر من نيسان عام ١٩٢٣ ، (....) كانت الصحافة في إستانبول تثني على الخدمات التي قدمها دبلوماسيونا للأتراك في لوزان ، ومما لاشك فيه أن هذه الخدمات تتضمن الدور الذي لعبوه في دفن المسألة الأرمنية) .

هذا وقد كتب (تيفخيتي ايفكيار) صحيفة يومية تركية أخرى في استانبول ما يلي:

(..... لو إن الدول الغربية كانت ترغب بصدق في حماية الأرمن لكانت ألحت على إقامة وطن قومي للأرمن ولو دعت الحاجة لكانوا جاهزين لنفض المؤتمر بسبب هذا الموضوع ، كما أعتادوا أن يفعلوا بالنسبة لقضايا كانت تعنيهم بقوة)

وقد كانت القضية الأرمنية أضعف نقطة في المواقف التركية . فلو أننا وقفنا بجانب الحلفاء على نحو راسخ ونزيه بإلحاحنا على ضمان قدر من العدالة بالنسبة لأرمينيا فإن الاحتمال المؤكد هو إن الأتراك ووفقاً لوجهة النظر الجديدة - كانوا سيقدمون - كما يجب أن يعملوا أخيراً * بعض التنازلات الواجبة للأرمن .

* المقصود هو إن على الأتراك أن يقدموا في وقت ما بعض التنازلات لحل المسألة الأرمنية .

ولكن كما تلاحظ بشكل صحيح (النيويورك ايفينينك بوست).
(ففي تعاملنا مع تركيا لم نقوم ببذل محاولة جادة لإزالة الوصمتين اللتين
تلطخان الاتفاقيات المعقودة بين الدول الكبرى وحكومة أنقرة :
وهما شرط تبادل السكان الإجباري والتخلي عن أرمينيا .
لقد رفضنا الوقوف بجانب الحلفاء أو أن ننشط على نحو فاعل
لقد بذلنا جهودنا بصورة رئيسية لضمان بعض الحقوق الأمريكية التي
أصابت أوروبا بكارثة كما برهنت إن سياسة الباب المفتوح يمكن أن تتخذ
شكل صورة تغطي على نحو استثنائي مجالاً واسعاً)
فحكومتنا لم تحقق فقط في القيام بأي محاولة نزيهة في إنجاز وعودنا تجاه
أرمينيا معبرة هكذا عن أحاسيس الشعب الأمريكي ، أضف إلى إن دلائل
اهتمامها المثالي والكاذب ، والتي كانت توصف على نحو رسمي (بشكل
غير رسمي) .
بل قد شجعت ، كما كان طبيعياً الأتراك في أن يصروا على موقفهم
المتشدد وسمحت هكذا للحلفاء أن يتجنبوا اخذ المسؤولية على عاتقهم ، وقد
أصرت الحكومة الأمريكية أن تحصل على امتيازات منابع نفط الموصل
لصالح بعض دوائر أصحاب الامتيازات بتقليل ادعاء مفاده أن (الولايات
المتحدة الأمريكية كانت قد ساهمت في هزيمة تركيا) .
ولكنها تجنبت الحديث بزاوية عن حقوق الكائنات البشرية المعذبة بالادعاء
أن أمريكا لم تقوم بإعلان الحرب ضد تركيا) .

هذا الكتاب

إن شعباً يتخلى عن ذاكرته الجماعية هو شعب محكوم عليه بالفناء
وعلى ضوء هذه الحقيقة جاء هذا الكتاب ليحفظ أرمنيا في الذاكرة ، وليعيد إلى الأذهان
الماسي التي تعرض لها الشعب الأرمني بالإضافة إلى نضالاته من أجل الحرية والاستقلال
لقد عرف الشعب الأرمني وموطنه ويلات لا يمكن تصورها من قبل برابرة محتلين وتعرض
لأهوال مروعة من أعمال الإبادة المتكررة .
إن الشعب الأرمني هو أكثر شعوب الأرض المعذبة ، شأنه في ذلك شأن اليونانيين في فترة
الإحتلال النازي ، والفلسطينيين من قبل الإسرائيليين الذين يحكمون دولة إسرائيل
إن تذكير معاصرنا بالأهوال التي تعرض لها الأرمن ويونانيو آسيا الصغرى يساهم بصورة
رئيسية في إبطال العنف من العالم .
ومن وجهة النظر هذه ، إن نشر وثيقة الأمريكي إدوارد هايل بريستاد (الخيانة الكبرى)
التي تصف الأعمال البربرية التركية ضد السكان اليونانيين والأرمن أثناء الدمار الذي
حل بآسيا الصغرى عام ١٩٢٢ ، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته المصالح الإمبريالية في أحداث
تلك الفترة ، وفي معاهدة لوزان التي جاءت بدلاً من معاهدة سيفر يقدم خدمة جليلة لقضية
الحرية والديمقراطية .

المترجم

تصميم الغلاف سالار شيخاني

